## كلمة العدد

# مكة المكرمة

## خصوصية المكان وخصوصية المكانة

**بقلم سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة**

تنفرد أكرم وأشرف وأطهر وأعظم بقعة على وجه الأرض بخصوصية المكان والمكانة . . فمنذ أن عطرت ثراها أقدام أبو الأنبياء وهي مقصد الجميع وقبلة الجميع وملتقى الجميع من كل أرجاء الأرض . . منها تنطلق رحلة الشتاء ورحلة الصيف . . وفي رحابها تُلقي القوافل العابرة والقادمة، أو الذاهبة لكل أرجاء العالم المعمور رحالها تبيع وتشتري وتحكي . فلما انطلقت من رحابها بعثة خاتم الرسل والأنبياء، أصبحت قبلة الأرض . . إليها تهفو قلوب الملايين المنتشرين في كل مكان من العالم . . وإليها ترنو أبصارهم وأرواحهم وأحلامهم وآمالهم . . ويشد الرحال إليها العلماء من كل جنس ولون . . ينقلون إليها معارفهم

وينقلون منها معارف إخوانهم في مهرجان دائم ومتجدد ومتواصل للثقافة والمعرفة .

فخصوصية المكان جعلتها ملتقى الجميع في العالم القديم . . وخصوصية المكانة جعلتها وتجعلها إلى أن يشاء الله قبلة الجميع في الحاضر والمستقبل .

وليس هناك في الماضي عالِم لم يجاور في البيت عاماً أو عامين أو أقل أو أكثر أو يقضي خاتمة عمره إلى جانب البيت العتيق . والغادون والرائحون لم يكونوا مجرد عابرين يملأون آنيتهم من مـــاء زمـزم المبارك . . وإنما كانوا قصّاداً للمكان الطاهر يأملون أن ينالوا رضى الله بمجاورته . . ينقلون إليه ما يعرفونه وينقلون منه ما يجهلونه . .

هذه الظاهرة جعلت من مكة مكاناً متفرداً ليس له مثيل في العالم كله فليس في العالم قديمه وحديثه مدينة يقصدها عشرات الملايين من كل جنس ولون ومكان . . وليس هناك في العالم قديمه وحديثه مدينة كتب تاريخها خالق الكون والإنسان . . فتاريخها موثق منذ أن أقام إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت - وهو توثيق متواتر ومتصل — ذلك أن علماء المسلمين من الشرق والغرب مروا من هناك، أو أقاموا هناك وكتبوا وسجلوا . .

مكة المكرمة إذن هي أم القرى بكل المقاييس . . وإذا كانت المنظمة الإسلامية للثقافة والتربية والعلوم قد اختارتها كأول مدينة إسلامية عاصمة للثقافة . . فذلك إنما يأتي من قبيل تقرير الواقع . . فبجوار البيت العتيق التقى منذ القدم العلماء من كل مكان . . تبادلوا الفكر والرأي . . قدموا نظرياتهم وأخذوا نظريات غيرهم . . والقادمون من كل مكان إنما هم جزء من ثقافته . . لغته . . عاداتـــه وتقاليده . . وأفكاره

. . نظام حياته . . علومه وآدابه . . كل ذلك يأتي في رحال القادمين من كل مكان وهم يلتقون بإخوانهم القادمين من مختلف الأمكنة لقاء حب ولقاء أخوة ولقاء أشقاء في عقيدة واحدة . . جاءوا يقيمون شعائر واحدة . . فالقلوب والحالة كذلك مفتوحة، والعقول مفتوحة، والتبادل مطلوب ومرغوب ومحبوب .

من هنا فأن أثر مكة المكرمة في الحياة العقليـــة للأمم كبير وملموس . . فليس هناك من علماء المسلمين من لم يتأثر بالحركة الثقافية في مكة ثم هو بعد ذلك متأثر ومؤثر . . والحديث عن مكة المكرمة حديث يطول نظراً لهذه الخصوصية وارتباطها بالحركة الثقافية الإسلامية ليس مقصوراً على علوم الدين فقط . وإنما ارتباطها بالحركة العلمية والثقافية العالمية كبير وعميق . . فليس كل القادمين من المسلمين من علماء الدين وإنما منهم العلماء في كل فروع العلم . . والمثقفين في كل أركان الثقافة . . وإذا كان [ ١٤٢٦هـ ] سوف يشهد مهرجاناً ثقافياً لأم القرى فلاشك أن ما يمكن أن يقدم في هذا المهرجان شيء كثير وهام . . لارتباط تاريخها بتاريخ العرب وتاريخ الإسلام عبر الكثير من الحقب والعصور .

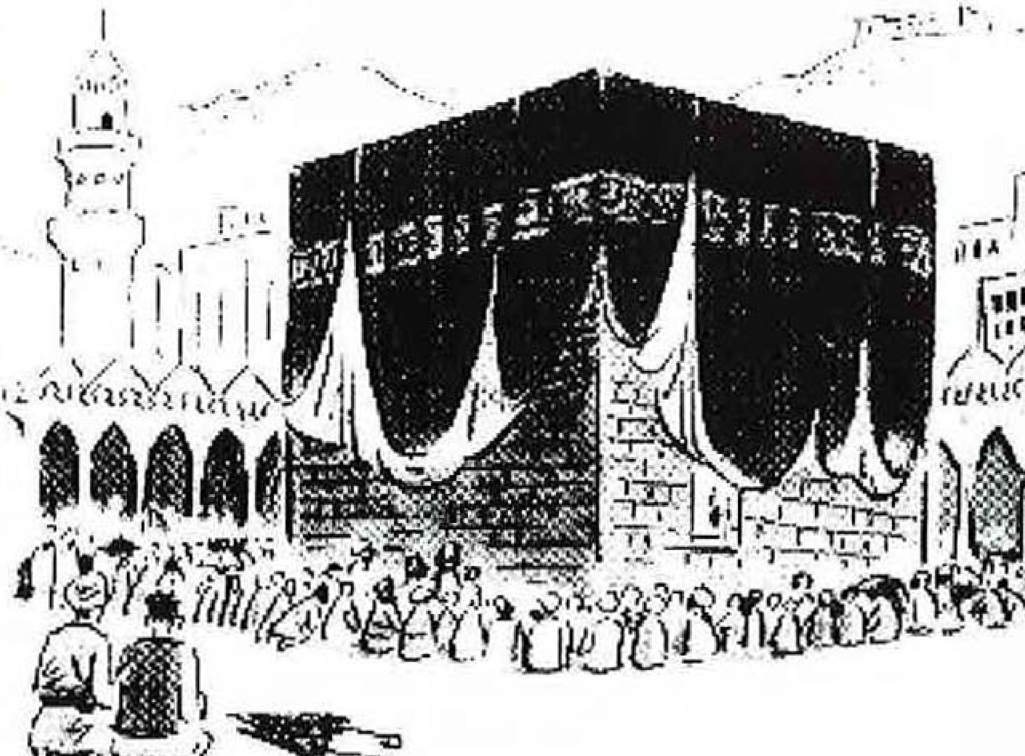
**عبد الله بن خالد آل خليفة**

# مكة المكرمة
## مركز الدعوة العباسية
### ونبذة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية

إعداد : الدكتور علي أباحسين

اعتبر المؤرخون أن (الحميمة) و(الكوفة) و(خراسان) مراكز الدعوة العباسية سواء في دور السر والكتمان حتى دور الظهور وإعلان شخصية الخليفة العباسي على منبر الكوفة سنة ١٣٢هـ.

ولدى بحثي المتواصل اهتديت إلى أن هناك مركزاً مدبراً ورئيساً تتصل به هاتيك المراكز الثلاثة . وفيه يختفي الإمام العباسي تحت ستار من التعبد في البلد المقدس (مكة المشرفة)



وهناك ملتقى الدعاة والنقباء . ومن مكة يوجه الأمراء وإليها ترسل الأموال من سائر الأمصار للإمام العباسي القابع هناك بعيداً عن أنظار الأمويين .

إن هذا المركز هو مكة المكرمة حيث ولد (العباس) جد الخلفاء العباسيين وإليه تنسب الدولة العباسية . فقد كانت له المكانة التي ورثها عن أبيه عبد المطلب وجده هاشم . وفي المكان المناسب من الديار المقدسة من أرض الحجاز كان الفكر السياسي يحرك الدعاة . ويهيئ الرأي العام لنجاح دعوة سرية تمخضت عن الدعوة العباسية .

الوثيقـة ١٣٠

وكان موعدهم في موسم الحج مع كبيرهم (الإمام إبراهيم) فيعطونه ويأخذون منه . وهم يقدمون له ما لديهم من غرس غرسوه في نفوس الناس في المراكز الأخرى وفي الأمصار الإسلامية الدانية والقاصية .

لقد كان للعباس عم النبي ﷺ منزلة كبيرة في مكة قبل الإسلام إذ كان بيده (السقاية) وهي إحدى الوظائف التي توزعتها بطون قريش . وظلت سقاية الحجيج بيد العباس بن عبد المطلب ولم تزل بيده في الجاهلية وصدر الإسلام إذ أقرها رسول الله ﷺ بيده لما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح في السنة الثامنة للهجرة .

ولما توفي العباس ولي السقاية من بعده ابنه عبد الله واستمرت في عقبه إلى أن آلت الخلافة لبني العباس فعهدوا بها إلى آل الزبير لانشغال بني العباس في الحكم[١] . وعهد للعباس بوظيفة أخرى هي (عمارة المسجد الحرام) ومهمته فيها هي ألا يدع أحداً يسب أحداً في المسجد الحرام في مكة المشرفة ولا يقول فيه هجواً[٢] .

هاتان الوظيفتان كانتا بيد العباس بن عبد المطلب مما يدل على مكانته بين قومه، فسقاية الحجاج في بلد تفتقر إلى الماء وهو في غاية الأهمية . ثم عمارة البيت الحرام يحتاج إلى سلطة تحافظ على الأمن فيه فلا يدع أحداً يعتدي على أحد . وكانت العرب قبل الإسلام وبعده تجل الكعبة وتقدسها . وللمسجد الحرام في نفوسهم مكانة محترمة حيث يسود الأمن فيه فلا يجوز أن يقول المرء كل ما من شأنه أن يعيب الآخر . كان ذلك في بيئة تسود فيها العصبية القبلية وما ينجم عنها من قطيعة وهجر وذم . وقد عهد للعباس بن عبد المطلب بهذه المهمة وهي مهمة حفظه النظام والأمن . مع ما كان للعباس من مكانة مالية فهو من كبار أصحاب المصارف . إذ قال عنه النبي ﷺ في خطبة الوداع : "كل رباً في الجاهلية موضوع وأول رباً أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب" . وللعباس مكان يقع في زاوية زمزم على يسار من دخل يسمى (موضع العباس) ويبعد هذا الموقع عن (الحجر الأسود) خمسة وتسعون ذراعاً[٣] .

وذكر الدارقطني في الموقف أن أول من كسا الكعبة الديباج هي والدة العباس (نتيلة بنت حيان) . كانت أضلت العباس صغيراً – وقيل ضرار شقيق العباس – فنذرت إن

وجدته أن تكسو الكعبة الديباج[٤] . وهذا إن دل على أمر فإنما يدل على مكانتها بين قومها وثروتها بحيث استطاعت أن تكسو الكعبة الديباج . ولم يكسها في التاريخ امرأة بل كساها الخلفاء والسلاطين .

وللعباس بن عبد المطلب (دار) في مكة تقع في المسعى بين الصفا والمروة جنب الدار التي بيد جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . و(دار العباس) هي الدار المنقوشة التي عندها العلم الذي يسعى منه من جاء من المروة إلى الصفا بأصلها ويزعمون أنها كانت لهاشم بن عبد مناف . ودار العباس تقابل باب العباس وهو من أبواب الحرم المكي الشريف وكان يسمى باب الجنائز[٥] . ويقع باب العباس عند علم المسعى من خارج وفيه ثلاث مداخل ودعي بباب الجنائز لأن الجنائز يصلى عليها فيه[٦] وباب العباس أو باب النعوش أو باب الجنائز يقع قرب الصفا[٧] . وأصبحت دار العباس رباطاً يسمى (رباط العباس)على ما ذكره الأسدي بتاريخه[٨] .

وتوفي العباس بن عبد المطلب في سنة ٣٢ هـ عن عشرة ذكور سوى الإناث . ومن أولاده عبد الله بن عباس ﷺ .

تلك مكانة العباس بن عبد المطلب أورثها لابنه (عبد الله بن عباس) ﷺ ابن مكة البار . ولد فيها قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين أيام قاطع المشركون من أهل مكة مسلمي بني هاشم وبني عبد المطلب وغيرهم[٩] . وشب في حجر النبي ﷺ وترعرع في مكة . وكانت له مكانته العلمية بحكم صلة القرابة وكثرة اتصاله بالرسول ﷺ . ولما انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى كان لعبد الله بن عباس ثلاث عشرة سنة وقيل كان في الخامسة عشرة[١٠] .

لقد اهتم عبد الله بن عباس بجمع الحديث والتفسير . ثم أخذ يجلس للعلم في الحرم المكي الشريف وازدحم رجال الحديث والتفسير خاصة في موسم الحج بمجلسه . واتخذ من موضع أبيه العباس مكاناً له على يسار الداخل إلى الحرم في زاوية زمزم التي تلي الصفا والوادي . وهاجر ابن عباس إلى المدينة المنورة في العهد الأموي، ثم عاد إلى مكة . وبقي ابن عباس بمكة ينشر معارفه وعلومه . وحلقت حوله حلقات واسعة في المسجد المكي الشريف[١١] . ثم انتقـل إلى الطائف وفيها توفـي سنة ٦٨هـ وقيل في سنة

٦٩هـ[١٢] . وخلف عبد الله بن عباس من الأولاد (علي) و(العباس) و(عبيد الله) و(الفضل) و(عبد الرحمن) ومن الإناث (لبابة) و(أسماء)[١٣] .

ورغم اهتمام ابن عباس بنشر العلم والمعرفة إلا أنه تمسك بوظيفة (السقاية) : سقاية الحاج في المسجد الحرام التي ورثها عن أبيه فقد احتفظ بها وجعلها في ذريته .

وجلس (علي بن عبد الله بن عباس) مجلس أبيه . فكان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلس علي بن عبد الله بن العباس إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً فإن قعد قعدوا وإن نهض نهضوا وإن مشى مشوا جميعاً حوله . وكان لا يرى لقريش في المسجد الحرام مجلس يجتمع فيه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم المكي . حدث عنه أولاده (محمد) و(داود) و(عيسى) و(سليمان) و(صالح) وأسند عامة حديثه عن عبد الله بن عباس[١٤] .

كيف لا يكون لعلي بن عبد الله بن عباس مكانة وهو الذي نهل العلم النبوي عن أبيه الذي لازم الرسول ﷺ . ففي علمه أصالة وليس بينه وبين رسول الله إلا والده عبد الله بن عباس . وهو قريب عهد بالنبوة . عاصر صحابة الرسول آل بيته ﷺ . فلا غرو إذا ما لازم المكيون ومجاورو المسجد الحرام مجلس ابن عباس وعلي بن عبد الله بن عباس . وهما قد تخصصا في حفظ حديث الرسول ﷺ وتفسير آي القرآن المجيد . وأصبحت لعلي مكانة في نفوس أهل مكة تلك المكانة العلمية التي تمتع بها والده والمنزلة الاجتماعية التي اتصف بها جده العباس ابن عبد المطلب فأصبحت قريش تعظمه وتجله مع ما كان يتحلى به من صفات فتنقاد إليه الناس . (كل هذا مهد للزعامة السياسية في المستقبل) لأبنائه وأحفاده وإن لم نعلم عنه نشاطاً سياسياً بقدر ما علمنا نشاطه العلمي وشخصيته المرموقة والمحترمة بين أهل مكة[١٥] . وتوفي علي بن عبد الله بن عباس في سنة ١١٨ هـ في (البلقاء) من بلاد الشام حيث كان معتقلا هناك، فقد اعتقله الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[١٦] . وسكت المؤرخون عن سبب اعتقاله . فهل أن الخليفة الأموي أوجس في نفسه خيفة منه لما يتمتع به من مكانة في نفوس المكيين وتعاظم نفوذه فأراد إبعاده عن مكة . وهي (الترمومتر) السياسي للعالم الإسلامي إذ يؤمها الحجاج والمعتمرون ورجال السياسة والقادة الطامعون في الخلافة . فكان الخليفة الأموي يريد أن

يضعه تحت نظارته . أو أن الخليفة وجد عنده نشاطاً سياسياً فاعتقله . وربما أن بعض بني العباس قد استقروا في (الحميمة) بعد أن أقطعهم معاوية فيها فسالموه[١٧] .

لقد توفي علي بن عبد الله بن العباس وخلف أبناءه الذين سيكون لهم شأن عظيم في عالم السياسة وسينهضون بالدعوة العباسية ومنهم :

(سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس) وهو أول من بنى القبة التي على زمزم في موضع مجلس جده ابن عباس وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك . وكان والي مكة يومئذ خالد القسري[١٨] . وهنا دلالة على أن بني العباس كانت لهم مكانة في مكة منذ ظهور الإسلام فإنهم يقومون بعمران في المسجد الحرام في أيام عنفوان الدولة الأموية في الشام . والدارس للتاريخ العباسي يجد أن عمران المسجد المكي لم يتم إلا على أيدي الخلفاء والوزراء والأمراء والسلاطين . فكيف يقوم سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في عمران بالمسجد الحرام وخلافة الأمويين لازالت قائمة وليس له من الحكم شيء في عهدهم ؟ إن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على مركزه وزيادة ثروته وتمهيده للحصول على تأييد الرأي العام الإسلامي متخذاً من مكة المكان المناسب . وفيها ملتقى المسلمين من كل فج عميق . كما أنه أراد الحفاظ على مكانة جده العباس . فبنى قبة تبقى أثراً قائماً يذكر أهل مكة ووفود بيت الله الحرام بمكانة العباسيين .

واستقر بنو العباس أو بعضهم في مكة قبل ظهور الدولة العباسية وكانت لهم (دور) ذكرها مؤرخو البلد الحرام . ومن دور العباسيين في مكة :

١ — دار العباس بن عبد المطلب التي عندها العلم الذي يسعى منه من جاء من المروة إلى الصفا[١٩] .

٢ — ودار عبد الله بن عبيد الله بن العباس وتقع على جبل الراحة والذي يشرف على شعب الصفي أو صفي السباب فوق شعب عامر[٢٠] .

٣ — ودار عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس قرب المروة .

٤ — ودار لبابة ابنة علي بن عبد الله بن العباس التي عند القواسين بفم شعب الخوز . كانت لحنظلة بن أبي سفيان . وكانت إذا قدمت العير من السراة والطايف وغير

ذلك تحمل الحنطة والحبوب والسمن والعسل تحط أمام هذه الدار في رحبة تقع أمامها فتباع فيها[٢١] . وبنت لبابة بنت علي بن عبد الله بن عباس مسجداً على باب شعب علي ﷺ وسمي المسجد (مسجد الكبش) وقيل إن مسجد الكبش يقع على يسار الذاهب إلى عرفات وفي شمالي جمرة العقبة[٢٢] .

٥ – ودار محمد بن داود بن علي بن عبد الله بن العباس وهي الدار التي صارت لجعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وتقع بالحتمة مما يلي دار إدريس في مبطح السيل بأسفل مكة[٢٣] . ويشرف على جبل الصيرة الذي عند الميل على يمين الذاهب إلى منى .

٦ – ولمحمد بن داود بن علي دار أخرى على الطارمة عند الغزالين[٢٤] .

٧ – ولجعفر بن سليمان دار في زقاق العطارين[٢٥] .

٨ – ودار لمحمد بن سلمان بن علي بن عبد الله بن العباس بفم شعب الخوز على طريق منى وطريق العراق ويشرف على حايط مورش وكان في شعب الخوز المسمى (النوية) يشرف على جبل حراء ويحتمل أن يكون قرب المعابدة[٢٦] إذا جاوزت المقبرة على يمين الذاهب إلى منى[٢٧] .

٩ – وسكنت زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس في مكة وأمرت بحفر بئر عكرمة بأصل الخندمة[٢٨] . وجدير بالذكر أن هذه البئر التي أمرت زينب بحفرها تذكرنا بتاريخ الأمويين أيام فتح الرسول ﷺ مكة في السنة الثامنة للهجرة وعن هذه البئر قال الشاعر :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

وصفوان من بني أمية وقد فر مع عكرمة بن خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة .

١٠ – أما العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فإن داره (بالمروة)على الصيارفة وتسمى الدار البيضاء، ابتناها معاوية بن أبي سفيان وبابها من ناحية المروة وجهها شارع على الطريق العظمي . وكانت فيها طريق إلى جبل الديلمي . فلم تزل حتى أقطعها العباس بن محمد بن علي (أخو السفاح والمنصور) فسد ذلك الطريق .وسميت

(البيضاء)لأنها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء[٢٩] . وهنا نتساءل كيف أصبحت دار معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي التي بناها على المروة للعباس بن محمد بن علي العباسي ؟ ثم كيف استطاع العباس أن يسد الطريق المؤدي إلى جبل الديلمي ؟ لابد وأن له من المال والجاه والسلطان بمكة المكرمة بحيث استطاع هذا الرجل العباسي أن يشتري تلك الدار وهي دار خليفة أموي وله من النفوذ بحيث استطاع أن يسد الطريق . ولعل الدار التي بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام وهي دار العباس بن محمد بناها وأمر قومه أن لا يرفعوا دورهم على الكعبة وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة المشرفة لتكون دونها، إعظاماً للكعبة . وأورد الأزرقي : قال جدي فلم يبق بمكة دار لسلطان ولا غيره حول المسجد الحرام تشرف على الكعبة إلا هدمت أو خربت إلا هذه الدار فإنها بقيت إلى الآن[٣٠] .

ونلاحظ مكانة العباس بن محمد، تلك المكانة الاجتماعية بين أهل مكة قبل نجاح الدعوة العباسية . ومكانته عند ولاة مكة فهو يأمر وينهي وأمره نافذ ، فقد هدمت كل الدور التي كانت أكثر ارتفاعاً من الكعبة إلا دار العباس التي كانت على الصيارفة . وكان له قوم يأمرهم وهم يأتمرون بأمره حتى لقد أمرعم أن لا يرفعوا دورهم على الكعبة وقد فعلوا ما أراد . أما داره — فإنها بقيت إلى أيام الأزرقي الذي عاش في القرن الثالث الهجري ثم أدخلت في توسعة الحرم مع دار الأزرقي ودور أخرى[٣١] .

١١ — وبنى عبد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس — (مسجد الراية) وهو من المساجد التي صلى فيها الرسول ﷺ ويبعد عن جدار باب بني شيبة — وهو من أبواب الحرم الشريف — نحو سبعمائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعاً بذراع الحديد وبذراع اليد أكثر من ألف ذراع وخمسين ذراعاً[٣٢] . ولقد بنى عبد الله بن العباس بن محمد المسجد الذي ركز فيه رسول الله ﷺ رايته حين فتح مكة . وهذا مما له كبير الأثر في نفوس المسلمين عامة وسكان مكة خاصة . إذ يعمروا مساجد الله . وفي ذلك تأييد لهم من الرأي العام إذا ما نادى المنادي بدعوة عباسية .

١٢ — ودار صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وتدعى الخالصة وتقع في طريق منى . وقيل أن داره تقع عند دار خالصة مولاة الخيزران[٣٣] .

١٣ – وابتاع صالح بن العباس قصر جعفر بن يحيى البرمكي فابتنى عليه وزاد فيه . ويقع هذا القصر بأصل جبل (سقر) أو (ستار) كما يدعى في الجاهلية ثم صار هذا القصر للمنتصر بالله الخليفة العباسي[٣٤] .

١٤ – ودار ريطة بنت أبي العباس السفاح وهي دار أبي سفيان والتي فتح معاوية فيها باباً من دار أبيه أبي سـفيان على بيت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها[٣٥] .

هذه بعض دور العباسيين في مكة إبان الدعوة العباسية . وكانت بعض دورهم وقصورهم قريبة من المسجد الحرام ونستدل على عظمتها أنها كانت ملكاً لخليفة كمعاوية . أو اتخذها خليفة له داراً كما فعل المنتصر العباسي . أو كانت قصراً لجعفر بن يحيى البرمكي ثم أنهم قاموا بحفر الآبار وبناء المساجد واتخذوا في أحياء مكة المهمة دورهم وفي طريق منى . وساهمت المرأة العباسية مع الرجل في المشاريع العمرانية في مكة المشرفة . وهذا له كبير الأثر في بلد مقدس يرتاده المسلمون في كل زمان ومن كل مكان .

وسكن أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مكة وهو والد كل من إبراهيم الإمام وعبد الله السفاح وعبد الله أبو جعفر المنصور وتوفي فيها سنت ١٢٥هـ وهو من دهاة بني العباس وساستهم يكاتبونه ويلقبونه بالإمام[٣٦] .

وتظاهر النقباء والدعاة بالتجارة واتخذوا طريق (الكوفة)-(خراسان) التجاري لإيهام الأمويين أنهم تجار وكان الاتصال بـ (الحميمة) غير مسموح إلا عن طريق المشرف في الكوفة . وهكذا لم ينكشف أمر الحميمة إلا في آخر مراحل الحركة العباسية[٣٧] .

وتبدو القيادة السياسية عند محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كأول شخصية عباسية في التاريخ السياسي لدعوة بني العباس إذ كان داهية من دهاة زمانه وكان قومه يلقبونه (الإمام) . والإمامة : نيابة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[٣٨] . وهو لقب من ألقاب الخليفة .

ولا يعلم شخصية الإمام إلا المقربين . وقد اتخذ من (مكة) المركز الذي يتصل به بالنقباء والدعاة الذين يفدون إلى مكة للحج والعمرة أو التجارة . وكان هناك مشرف على الدعوة في (الكوفة) يأتمر بأمر الإمام القابع في مكة . ومثل ذلك في (الحميمة) وبذلك

ظلت الدعوة العباسية تحت ستار الدين تارة والتجارة تارة أخرى فإن انكشف أمر الإمام في الحميمة فلم نعلم أنــه عرفت شخصيته في مكة رغم اتصالاته المستمرة بالأمصار الأخرى .

ثم ترك محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مكة وصار في الحميمة واستطاع أن يستغل تنازل (أبي هاشم) عن الإمامة . وأبو هاشم هو عبد الله بن محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - حينما مر به في سنة ٩٨هـ وأوصى لمحمد بن علي العباسي بقيادة الحركة السرية الهاشمية . هذا ما أذاعه العباسيون وأكدوه فقالوا : أن أبا هاشم العلوي أوصى لمحمد بن علي العباسي بالإمامة إثر عودة أبي هاشم من الشام - متوجهاً إلى الحجاز بعد زيارته للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك . وقد تمرض أبو هاشم إما بسبب السم الذي دسه الخليفة الأموي أو بسبب مرض طبيعي . وأنه عرج على ابن عمه العباسي . وبذلك حوّل محمد بن علي المنظمة الهاشمية إلى منظمة عباسية صرفة[٣٩] واختار محمد بن علي العباسي (خراسان) مركزاً تنطلق منه الثورة العباسية ضد الأمويين . بعد أن مهد لها وهو يوصي الدعاة بقوله : "أما مكة والمدينة فغلب عليهما أبي بكر وعمر ﷺ ويعني أنهما شهدا عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ وهو أصلح العهود . وبعد عهد رسول الله ﷺ فلا يرضى أهلها بسواه . أو قد يعني أن مكة والمدينة قرشية ويريد أن يعتمد على الموالي فيستعين بهم حين يقول : (وعليكم بخراسان) وأوصى من بعده لابنه إبراهيم الملقب بالإمام .

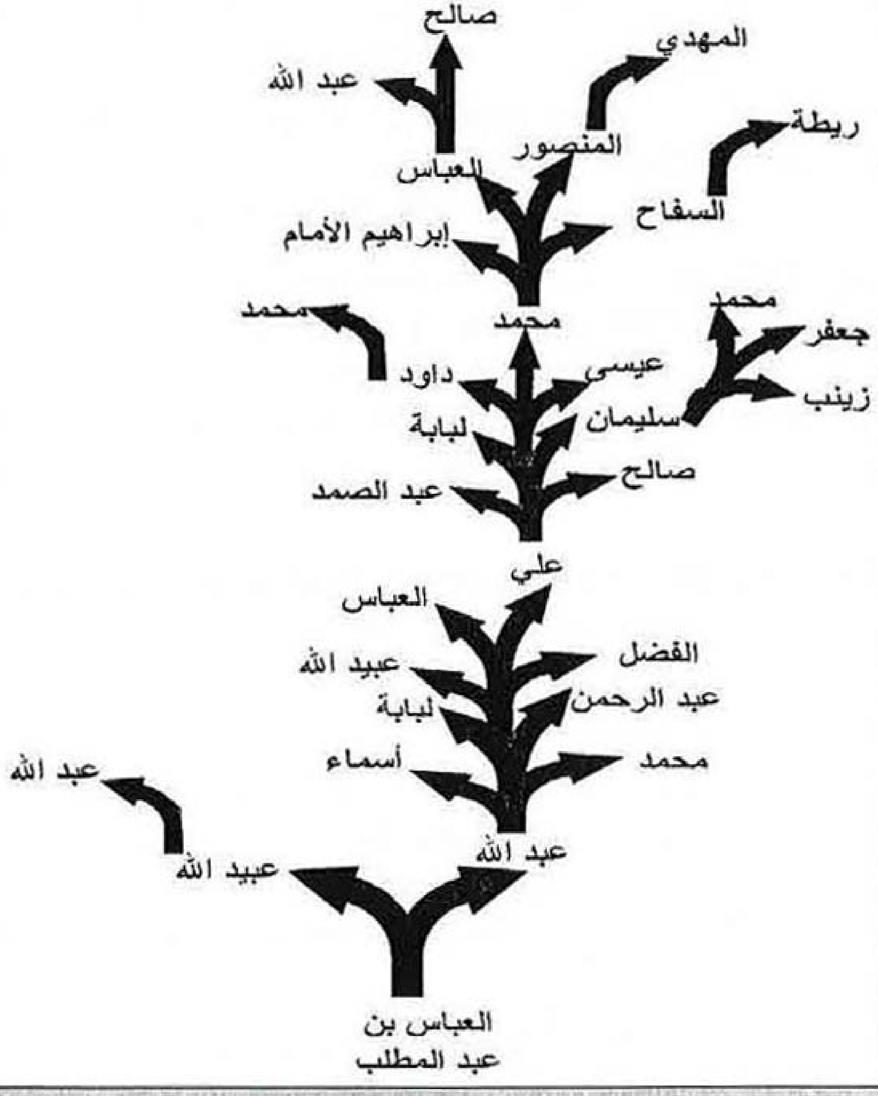
وفصل ابن قتيبه ذلك التنازل وهو يقول : أما أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ﷺ وبوصية منه بعد أن اجتمع العلويون في المدينة ومكة إلى محمد بن الحنفية وبايعته على طلب الخلافة إن أمكنه ذلك . وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهدته فقبلها . وولى على شيعة كل بلد رجلاً منهم وأمره باستدعاء من قبل منهم في سر وتوصية إليهم ألا يبوحوا بمكتومهم إلا لمن يوثق به حتى يرى القيام موضعاً . فأقام محمد بن الحنفية إمام العلويين قابضاً لزكاتهم حتى مات فلما حضرته الوفاة ولى ابنه عبد الله وهو المدعو (أبوهاشم) من بعده وأمره بطلب الخلافة إن وجد إلى ذلك سبيلاً وأعلم العلويين بتوليته إياه فأقام بعد الله على أمرهم حتى بلغ سليمان بن عبد الملك - الخليفة الأموي أن

العلويين بايعوا عبد الله بن محمد بن الحنفية بعد أبيه فبعث إليه . وقد أعد له في أفواه الطريق رجالاً ومعه أشربة مسمومة وأمرهم إذا خرج من عنده أن يعرضوا عليه الشراب . فلما دخل على سليمان أجلسه إلى جانبه وسأله وقال له : بلغني أن قومك بايعوك فأنكر ذلك . ثم خرج من عنده في وقت شديد الحر فقدم له البعض شربة لبن فشرب منه ثم مضى . فوجد أن السم فيه واتجه من العراق إلى الحميمة وبها جماعة آل عباس ونزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأخبره الخبر . وقال له إليك الأمر والطلب للخلافة بعدي . فولاه وأشهد له من العلويين رجالاً وأدلى إليه بأسرار الدعوة التي أودعها إياه أبوه محمد بن الحنفية وأعلم أبو هاشم ابن عمه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أعلمه أسماء الدعاة من العلويين . وسلمه كتباً يسلمها إلى دعاته في الكوفة كما أوصاه أن تكون الإمامة من بعده لابنه . ثم مات فأقام محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ووصف الأتباع والأصحاب وصفهم له(٤٠) أما قول السنجاري : أن سبب قيام بني العباس أن العلويين كانوا يعتقدون بإمامة محمد بن الحنفية بعد أخيه الحسن بن علي رضي الله عنهما ونقلوه بعده إلى أبي هاشم الذي أوصى حين حضرته الوفاة إلى ولده إبراهيم الإمام(٤١) .

هذا القول يخالف ما أورده المؤرخون الذين أجمعوا على أن التنازل والوصية كانت لمحمد بن علي العباسي وليست لإبراهيم الإمام بن محمد بن علي العباسي . وجدير بالذكر أن نتساءل لماذا سكن محمد بن علي العباسي (الحميمة) من بلاد الشام ؟

هل لأن والده اعتقل في بلقاء الشام وأراد أن يكون قريباً منه ؟ أم ليتخذ من الحميمة موقعاً مناسباً لبث الدعوة العباسية وهي على ممر القوافل التجارية والحجاج فيمكنه الاتصال بهم أو بنقبائه ودعاته بيسر وأمان بعيداً عن عيون الخليفة الأموي ؟

ويجوز أن يكون جد العباسيين هذا قد استوطن (الحميمة) لأن الخليفة الأموي أراد منه ذلك لكي لا يكون في مكة موطن أجداده العباسيين وحول أنصاره وأقربائه وبعض وجهاء بني العباس . .




بعض أصحاب الدور بمكة المكرمة من البيت العباسي إبان الدعوة العباسية

تحقيق الدكتور علي أباحسين

وخلاصة القول أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قد استفاد من اتخاذ (الحميمة) مقراً للدعوة بعد أن كانت (مكة) هي المقر للعباسيين . وستعود مكة ثانية تحتل مكانتها السياسية في أيام ابنه إبراهيم الإمام .

وقد استفاد محمد بن علي العباسي من وجوده بالحميمة ذلك التنازل من أمام العلويين بالإمامة له من بعده . وبذلك كسب جبهة علوية أضافها إلى جبهتهم العباسية وضمهم تحت شعار الدعوة لآل بيت النبي ﷺ .

وقدم الدعاة من (خراسان) للحج ومعهم (قحطبة بن شبيب) ومروا بواسط فالتقوا بـ (أبي مسلم الخراساني) ومنها نحو مكة على طريق البصرة فوصلوا (مكة) وقد وافاها الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن العباس حاجاً فلقوه وسلموا عليه وأخبروه بما غرسوا في جميع خراسان من الغرس وأخبروه دخولهم على إخوانهم المحبوسين بواسط في العراق ووصفوا له أبامسلم وهذا مما يدل على أن الخلافة الأموية أخذت تحسب حساباً للدعوة والدعاة فحبست بعضهم بواسط .

وأوصى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الدعاة بابنه إبراهيم إذا حدث له أمر فانصرفوا إلى خراسان . وبعد وفاته خلفه ابنه إبراهيم الإمام فأرسل (إبراهيم) إلى (أبي مسلم الخراساني) أن يسير يبلغ الدعاة في العراق وخراسان بوفاة أبيه محمد الإمام وقيامه بالأمر من بعده[٤٢] .

من هذا نلاحظ أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس اتخذ من الحج وسيلة للاتصال بالدعاة في البلد الأمين وفي (مكة) تكون الاجتماعات السرية يكون اللقاء بينهم وبين الإمام وتعقد الاتفاقات لدعوة تريد قلب نظام الحكم في الدولة الأموية . وكان محمد بن علي يجتمع بالدعاة ويطلع على أخبارهم حول ما أسموه بالغرس أي غرس روح الثورة العباسية ضد الأمويين .

وإلى مكة كانت تنقل زكاتهم من خراسان ومن العراق وغيرها لتحفظ في حين الوثوب أو ساعة الصفر التي يقررها الإمام وقد جعل من مكة مركزاً للدعوة ضد الأمويين .

وفي سنة ١٢٥هـ توفي محمد بن علي والد السفاح والمنصور . مات وهو في المعتقل وكان من دعاة بني العباس يكاتبونه ويلقبونه بالإمام . مات في عهد هشام بن عبد الملك

أو الوليد الثاني بن يزيد بن عبد الملك[٤٣] . لقد اعتقل أبوه من قبله وتوفي هو الآخر في الاعتقال . وسكت المؤرخون عن سبب اعتقال أبيه لأنه لم يكن له نشاط سياسي ملحوظ بقدر ما كان له من مكانة علمية واجتماعية عند أهل مكة بصورة خاصة . ولكنه كان يخفي وراء ذلك نشاطاً سياسياً محتملاً بإقامته في مكة .

أما ابنه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فقد أسهب طائفة من المؤرخين في ذكر نشاطه السياسي وهو يستقبل الدعاة ويوصيهم ويوجههم إلى الأمصار متخذاً من مواسم الحج خير زمان ومن مكة المكان المناسب لتحقيق أغراضه السياسية تحت ستار الدين ويبدو أن النصوص التاريخية تؤكد على اتخاذ مكة مركز الدعوة العباسية ففي عام ١٢٥هـ حج (شبيب بن شيبة التميمي) وكان في حاشية المنصور وولده المهدي . وبينما هو يستريح في المسجد الحرام إذ عرف رجلاً عثر في المقام فساعده واصطحبه إلى بيته وأعلمه أنه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أبو جعفر المنصور) وأنه يسكن بأعلى مكة وله رجال وأعلمه بقوله : "أن أنصار دولتنا وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالي القوم من أنفسهم فإذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا عن المسيء ووهبنا للرجل قومه" . وسأل بن شيبة عن ساعة الصفر بقوله : "ارتقب لظهور الأمر وقتاً ؟" فقال عبد الله : "الله المقدر للوقت" . وأرسل معه كسوة مع مولى لعبد الله كان يتبعه إلى منزله فأخذ بن شيبة الكسوة[٤٤] .

هذا النص يدل على أن مكة كانت هي المركز الأول للدعوة العباسية وفيها رجال من بني العباس في عهد بني أمية وكان لهم أنصار ورجال وأمراء للجيوش وأن لهم قوم وموالي كلهم ينتظرون ساعة الوثوب أو الثورة ووجهتهم نحو الإمام القابع بمكة . ولكن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المنصور) لم يفصح عن الساعة بل كان حذراً فلم يعلمه عن موعدها .

كما يدلنا على أن لعبد الله بن محمد بن علي بيت بأعلى مكة فلم يعد بنو العباس يتخذون بيوتاً لهم قرب المسجد الحرام فحسب بل وفي أعلاها بيت لهم اتخذوها كمراكز سرية للدعوة واللقاء بالدعاة بعيداً عن أنظار الأمويين وولاتهم في مكة .

وفي عام ١٢٦هـ حج (سليمان بن كثير) و(لاهز بن قرط) و(مالك بن الهيثم) و(قحطبة بن شبيب) . حجوا متنكرين حتى أتوا مكة وقد وافاهم الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فأخبروه بما اجتمع له الناس بـ (خراسان) وقد حملوا له ما بعثت له الشيعة عشرة آلاف دينار ومائتا ألف درهم ثم ولي أمرهم (أبا مسلم) وقال لهم : فاسمعوا له وأطيعوا فانصرفوا(٤٥) . وهكذا انتقلت الإمامة إلى إبراهيم وقد جمعت له الأموال وأخذ يعين الأمراء بعد أن علم أن أهل خراسان اجتمعوا له، وهنا برزت شخصية أبي مسلم الخراساني .

وفي سنة ١٢٧هـ اجتمعت جماعة من الدعاة إلى بني العباس عند إبراهيم بن محمد الإمام العباسي وكان معهم أبو مسلم الخراساني فدفعوا له نفقات كثيرة وأعطوه خمس أموالهم ولم ينتظم لهم أمر السنة لكثرة الشرور المنتشرة والفتن الواقعة بين الناس(٤٦) .

لقد أعطيت خمس الأموال لإبراهيم الإمام العباسي فهو ولي أمرهم مع أموال كثيرة أخرى فإن سليمان بن كثير ولاهز بن قرط وقحطبة توجهوا إلى مكة في سنة ١٢٧هـ فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام وأوصلوا إلى مولى له عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومسكاً ومتاعاً كثيراً وكان معهم (أبو مسلم) فأمَّر إبراهيم أبا مسلم على خراسان(٤٧) .

وهنا تبدو عبقرية إبراهيم الإمام السياسية حين بعث من كل بلد أميراً من أهلها فأبو مسلم أمَّره على خراسان وأبا سلمة الخلال على الكوفة لميل العلويين له وميله إليهم . وكان بعض الدعاة يطلبون من إبراهيم الإمام أن يوجه من قبله والياً معهم إلى بعض الأمصار فهو والحالة هذه يقوم مقام الخليفة . وأن مكة مركز الدعوة وفيها الإمام الذي يولي الولاة ويبعث بهم إلى خراسان والكوفة والولاية من الوظائف أو المهام المعهودة للخليفة وإن كان هناك خليفة أموي في بلاد الشام .

وفي مكة وقيل في الأبواء حدث اجتماع سري ضم أقطاب بني العباس والطالبيون فكونوا جمعية سرية وأسندوا الرئاسة في أول تشكيلها إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ الملقب بمحمد النفس الزكية . ثم تخلوا عنه ونقض العباسيون عهد هذه الجمعية السرية والتي انعقدت بمكة وأسندوها لأبي العباس

السفاح[٤٨] . وذكر ابن خلدون أن المنصور العباسي ممن بايع محمد النفس الزكية في تلك الليلة والتي عقدوا لمحمد النفس الزكية بالخلافة[٤٩] .

ومن الدلالات الواضحة على أهمية مكة في العوة العباسية أن إبراهيم الإمام أرسل وهو (بمكة) الراية وتدعى (السحاب) واللواء ويدعى (الظل) أرسلهما إلى أبي مسلم بخراسان . وكان أبو مسلم قد سار نحو الإمام بمكة من خراسان ليظهر الحج واجتمع به فأمره إبراهيم الإمام بالرجوع وإظهار الدعوة ونشرها[٥٠] . وأمر أبومسلم (قحطبة بن شبيب) أن يسير بما معه من الأموال والتحف إلى إبراهيم فيوافيه في الموسم بمكة فرجع أبو مسلم إلى خراسان وكانت الفرصة مناسبة لانشغال (نصر بن سيار) وإلى بني أمية على خراسان بقتال (الخوارج) والذين يقودهم (الكرماني) و(سيبان بن سلمة الحروري)[٥١] .

ففي سنة ١٢٩هـ بينما الناس بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم إعلام وعمائم سود على رؤوس الرماح ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم على مروان وآل مروان فراسلهم (عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان) وهو يومئذ على مكة والمدينة وطلب منهم الهدنة . فقالوا نحن بحجنا أحق وعليه أشح . فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأول فوقفوا بعرفة على حده ودفع بالناس عبد الواحد ونزل بمنى في منزل السلطان ونزل أبو حمزة الخارجي مقدم الفريق الآخر بقرن الثعالب . ويقال له (قرن المنازل) وهو ميقات أهل نجد قال ياقوت : (تلقاء مكة على يوم وليلة)، فلما كان النفر الأول نفر فيه عبد الواحد وخلى مكة فدخلها أبو حمزة الأباضي بغير قتال[٥٢] .

ونرى أن الدعوة العباسية ظهرت في مكة وعقد لواءها وشعارها من هناك . وكان موسم الحج بمكة هو الزمان الملائم في المكان الأمين للاتصال بالإمام في البلد الأمين . حيث تنقل الأموال إليه من كل مكان بقصد الحج حتى إذا ما دقت ساعة العمل ظهرت الرايات والعمائم السود العباسية هناك في مكة وقد حدث ذلك قبل إعلان الدعوة بثلاث سنين .

وفي سنة ١٢٩هـ كتب إبراهيم الإمام وكان بالحميمة إلى أبي مسلم يسأل عن أخبار الناس . فسار نحوه في النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفساً من النقباء، فلما صار

بالدانقان من أرض خراسان عرض له كامل (أبو كامل) فسأله عن مقصده فقال الحج ثم خلا به أبو مسلم فدعاه فأجابه ثم إن أبا مسلم بقي في خراسان ووجه قحطبة إلى الأمام إبراهيم بما معه من الأموال والعروض . وفي نيسابور عرض لهم صاحب المسلحة فسألهم فقالوا : أردنا الحج فبلغنا عن الطريق شيء خفناه[٥٣] .

وهكذا ينفذ أبو مسلم أوامر إمامه شأن النقباء والدعاة وكان إبراهيم الإمام على اتصال دائم بالناس في خراسان . واتضح أمر إبراهيم حين وجد الخليفة الأموي مروان بن محمد كتاباً من إبراهيم إلى أبي مسلم وفيه : يأمره إبراهيم أن يناهض (نصر بن سيار) ولا يترك هناك في خراسان من يحسن العربية إلا ويقتله . فما كان من مروان إلا أن أمر بقتل إبراهيم الإمام فقتله شر قتله[٥٤] .

وقيل أن إبراهيم الإمام اشتهر في موسم حج سنة ١٣١هـ حين وقف في أبهة عظيمة ونجائب كثيرة وحرمة وافرة . فأنهى أمره إلى مروان فأرسل عليه وقتله وكان مع إبراهيم حين حج أخواه أبو العباس وجعفر وولده وعمه ومواليه على ثلاثين نجيباً عليهم الثياب الفاخرة والرجال والأثقال . فشهرة أهل البوادي والشام والحرمين معهما مع ما انتشر في الدنيا من ظهور أمرهم . وبلغ مروان خبر حجهم فكتب إلى عامله بدمشق بتوجيه خيل له وكان مروان بأرض الشام ووجه العامل خيلاً فهجموا على إبراهيم فأخذوه وحملوه إلى سجن حران فأثقلوه وقيدوه حتى مات . ولما أحس إبراهيم بالطلب أوصى إلى أخيه أبي العباس ونعى نفسه إليه وأمره بالسير من (مكة) إلى (الكوفة) بأهل بيته فسار معه أخوه أبو جعفر وعمه وستة رجال حتى قدموا الكوفة مستخفين[٥٥] . وهنا نلحظ أتباع إبراهيم أولئك الذين قدموا معه على ثلاثين نجيباً وهم من الموالي فقط سوى أقربا،ه . من بني العباس ممن كانت لهم مكانة اجتماعية واقتصادية علاوة على الأهمية السياسية . وكان لهم الولاء في البوادي وفي مكة والمدينة وحتى في بلاد الشام . وقيل أن أبا مسلم يدعو الناس إلى إبراهيم الإمام ويسمونه الخليفة فلما علم مروان طلبه لأنه علم أن دعوة أبي مسلم له وأنه يؤهل لهذا الأمر[٥٦] .

وفي هذا الوقت خرج أخواه عبد الله أبو العباس السفاح وعبد الله أبو جعفر المنصور خرجا إلى الكوفة خوفاً على نفسيهما ومعهما داود بن علي[٥٧] .

والأرجح انتقال إبراهيم الإمام من (مكة) إلى (الحميمة) كان بعد أن رأي اجتماع أقطاب بني هاشم على رئاسة محمد النفس الزكية وتعيين وال على مكة من قبله فلم يعد له مكان هناك فرحل إلى الحميمة حتى إذا ما انكشف أمره كأن في ذلك حتفه .

ولما علم أبو مسلم الخراساني بقتل إبراهيم الإمام قدم من خراسان إلى الكوفة فعزى السفاح والمنصور ثم قال لأبي العباس : مد يدك أبايعك فمد يده فبايعه ثم سار إلى مكة ثم انصرف إليهما[٥٨] .

لقد كان المنصور أكبر سناً من السفاح إذ ولد السفاح سنة ١٠٥هـ أما ولادة المنصور ففي سنة ٩٥هـ فمبايعة أبي مسلم للسفاح قد يكون لعهد إبراهيم له أو لما كان بين المنصور وأبي مسلم الخراساني من وحشة . فأراد أبو مسلم أن تكون الخلافة لأخيه السفاح .

وسار أبو مسلم إلى مكة لكي يضلل عيون الخلافة الأموية أنه قادم إلى الحج فلا ترصد حركاته .

ونلحظ أن هناك بيعة وهي من شروط الإمامة أو الخلافة رغم أن خلافة الأمويين لازالت قائمة وهذا يدل على نشاط الدعاة وتفانيهم في سبيل الدعوة الجديدة .

ودخل أبو مسلم (مرو) سنة ١٣٠هـ وكان يدعو للرضا من آل بيت النبي ﷺ ونص البيعة : "أبايعكم على كتاب الله وسنة نبيه والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله وعليكم بذلك عهده وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله الحرام وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طعاماً حتى يتبؤكم به ولاتكم"[٥٩] .

في هذه البيعة تعاقد على الحكم بكتاب الله وسنة نبيه وطاعة من يرتضونه من آل بيت رسول الله ﷺ دون أن يفصح عن شخص الخليفة . أما الدعاة والنقباء فهم يعرفون شخصية الإمام وإن كانوا يدعون للرضا من آل محمد . فالدعوة غامضة بالنسبة للعلويين الذين يظنون أنها من أجلهم وكذلك الخراسانيون دعوا إلى (صاحب الحق) . وأحسن العباسيون استخدام الفريقين في تعمية الأمويين . فاعتقد الأمويون أن الدعوة والقائمين عليها من آل بيت علي ؓ . واختار العباسيون أنصاراً لهم من الفرس بدليل قول محمد الإمام إذ يقول (وعليكم بخراسان) .

ومن نصيحة إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم (إن استطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فأفعل) وتطرف إبراهيم كثيراً في إذكاء نار العصبية القبلية في خراسان خشية تجمع أهل يمن فيها فأوصى أبا مسلم في أهل يمن يريد فتنة ربيعة ومضر . وهذه من مبادئ أبي مسلم التي أشاعها بين جنده بقوله : "أكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام"[٦٠] .

ومما يجدر ذكره أن القائمين بالدعوة جلهم من العرب . وإن كان العنصر الفارسي له دوره في إعلان الدعوة العباسية . وأكد أبو مسلم على عدم مخالفة الخليفة المنتظر بأن جعل الإيمان والمواثيق عليه إذا هم خالفوه وزاد بعدم المطالبة بالمال حتى يقدمه ولي الأمر لهم . بينما أعلن إبراهيم الإمام وهو يوصي الدعاة بأن أبا مسلم من أهل البيت العباسي بقوله "يا عبد الرحمن إنك منا أهل البيت" . وقال له : "عليك بهذا الحي من اليمن" وحذره من بقية الأحياء وقال له .: "إن استطعت أن لا تدع بتلك البـلاد عربيـاً فافعل"[٦١] .

ولما تمكن أبو مسلم وقوي أمره ادعى أنه من (سليط بن عبد الله بن عباس) وكان من أولية هذا الزعم أن نصر الأمويون سليط على أخيه في إثبات حقه بالميراث لأسباب سياسية . وقيل أن أبامسلم ولد بأصبهان ونشأ بالكوفة فاتصل بإبراهيم الإمام فغير اسمه وكناه بأبي مسلم وأمّره على خراسان[٦٢] . وإبراهيم الإمام هو الذي أكد أن أبا مسلم من أهل البيت العباسي وهذا ما تقتضيه الدعوة وهي في مهدها لكسب أكبر عدد ممكن من الرجال الأشداء والذين عرفوا بالدهاء والشجاعة والنفوذ . وأبو مسلم قد تميز بهذه الصفات . المهم أن أبا مسلم هو الذي أظهر الدعوة العباسية من السر إلى العلن . وهو الذي استلم شعار العباسيين وهو السواد من إبراهيم الإمام العباسي أرسله إليه من مكة مركز الدعوة العباسية وأرسل معه اللواء وهو (الظل) — أو (السحاب) .

وكانت هناك عوامل كثيرة تداخلت مع بعضها البعض فأدت إلى نجاح الدعوة العباسية سواء في مكة المكرمة أو خراسان أو الكوفة أو غيرها . فقد رسم بنو العباس إبان دعوتهم خططهم على أساس الاستعانة بكل القوى المكنة لإنجاح دعوتهم . ومنها استغلالهم أخطاء الأمويين والقضاء على مصادر القوة من أفراد أو جماعات وعرفوا أهداف العلويين ومن تكتل معهم . وأهداف الفرس . وأخيراً قدروا السياسة لإقامة خلافتهم

العباسية[٦٣] . وأكد العباسيون حركة تنازل أبي هاشم وأذاعوه وساعدهم انقسام البيت الأموي على نفسه . وإذكاء نار العصبية القبلية . وللعامل الاقتصادي كبير الأثر في إثارة سخط الجماهير ضد الأمويين ومنهم (الموالي) و(الخوارج) الذين لعبوا دوراً خطيراً في إسقاط الأمويين وبصورة غير مباشرة في نجاح الدعوة العباسية . ومن الخوارج أبو حمزة بن عوف الأزدي البصري (المختار) وهو من الأباضية وهي فرقة من فرق الخوارج . وكان يوافي مكة كل موسم يدعو إلى خلاف مروان . وانضم إليه عبد الله بن يحيى المعروف بـ (طالب الحق) سنة ١٢٨هـ وهو من حضرموت وقال له : انطلق معي فاني مطاع في قومي فانطلق معه إلى حضر موت وبايعه على الخلافة وبعثه عبد الله سنة ١٢٩هـ مع (بلج بن عقبة الأزدي) في سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . فطلبهم بالموادعة حتى ينقضي الموسم وأقام الناس حجهم ونزل بمنى وأحكم نفر من الصحابة مع الخارجي والموادعة ونفر عبد الواحد مع النفر الأول فمضى إلى المدينة وزاد في عطاء أهلها ثم دخل حمزة المدينة سنة ١٣٠هـ في شهر صفر بعد أن لحق عبد الواحد بالشام وأحسن السيرة بأهلها . ثم أرسل مروان من يقتل أبا حمزة فقتله وانهزمت الخوارج . واستخلف على مكة والمدينة وقتل طالب الحق وتوجه والي مروان إلى مكة ليقيم الحج فلقيه قوم ونهبوهم وقتلوهم وركد ريح الخوارج من يومئذ إلى أن ظهرت الدعوة العباسية وبويع المنصور بعد السفاح[٦٤] .

وأضاف المسعودي أن عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق خوطب بأمير المؤمنين وكان أباضي المذهب من الخوارج وأن مروان أرسل قائده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فقتل أبو حمزة وأكثر من معه من الخوارج وذلك في سنة ١٣٠هـ ولحق القائد عبد الملك هذا مع جيش مروان إلى اليمن ونزل صنعاء سنة ١٣٢هـ[٦٥] .

لقد كانت مكة في هذه الفترة التاريخية – وهي فترة انتقال كانت مضطربة شأن أي مدينة أخرى خاصة وقد جعلت الخوارج كلاً منها ومن المدينة واليمن وحضرموت مسرحاً للحروب وأدى ذلك إلى توزيع جهود مروان آخر خلفاء الأمويين في الوقت الذي يعلن فيه أبو مسلم الدعوة العباسية في خراسان . والسفاح والمنصور وأعوانهما يهيئون لظهور الخليفة وإعلان اسمه تحت ظروف سياسية وحربية مضطربة تجاه الأمويين .

حتى أبو حمزة الخارجي لما قدم من الحجاز كان يظهر الحج في سنة ١٢٩هـ وهي السنة التي طلعت على الحاج وأهل مكة أعلام وعمائم سود على رؤوس الرماح وهي بعرفة وكان عدتهم نحو سبعمائة وقد راسلهم عبد الملك والي مكة والمدينة وطلب منهم الهدنة ثم احتل أبو حمزة مكة بعد هروب واليها عبد الملك وحدثت معركة بين الخوارج وجند مروان سنة ١٣١هـ (بقديد) قرب مكة فهزم في مكـة جيش مروان حرورية الخوارج[٦٦] .

هكذا واجه مروان الفتن من كل جانب ففي الشرق أبو مسلم الخراساني وقد أعلن الثورة واحتل خراسان . ومن الغرب كتائب من طبرية والأردن تهاجمه تحت قيادة نعيم بن ثابت الجذامي . ومن الجنوب من أرض اليمن رجفت أباضية الخوارج تدعو لزعيمها عبد الله بن يحيى الكندي الذي سمى نفسه بـ (طالب الحق) وخوطب بأمير المؤمنين واحتلت هذه القوات مكة والمدينة ودانت اليمن وحضر موت لها وسارت لقتال جيش مروان . وتمكن مروان من رد هذه القوات إلا جيش أبي مسلم[٦٧] .

كل هذه الفتن أوهنت قوة الأمويين ومهدت لنجاح دعوة العباسيين ولكن مكة وما حولها كانت مسرحاً لحروب الخوارج مع الجيوش الأموية التي بلغت نحو خمسة عشر ألف مقاتل . وقد فرق القائد الأموي الخيل على الخوارج من أسفل مكة ومن أعلاها فاقتتلوا إلى نصف النهار فقتل والي مكة من قبل أبي حمزة الخارجي وهو أبرهة ابن الصباح الحميري عند بئر ميمون في مكة وقتل حمزة وخلق كثير من جيش الخوارج وعادت مكة إلى الحظيرة الأموية[٦٨] .

**خلاصة القول** : أن ظهور (الخوارج) في أواخر أيام الدولة الأموية وعلى رأسهم أبو حمزة وغيره من قادتهم كان قد شغل الدولة الأموية في سني احتضارها . كما انضم إلى الخوارج كل ساخط على الأمويين وبعض القبائل من يمن ومضر . فحاربت الأمويين نحو ثلاث سنين وأخمدت حركتهم إلا أن لهذا أثره في إضعاف الدولة الأموية وتهيئة الظروف لنجاح الدعوة العباسية وهي تزحف من جهة الشرق ثم لا تلبث أن تعلن الخلافة العباسية في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢هـ وبويع السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بعد قتل مروان بن محمد الأموي بثمانية أشهر[٦٩] .

وهكذا كانت الدعوة العباسية استغلالا ذكياً للحركات الظاهرة والخفية ضد السياسات التي اتبعها الخلفاء الأمويون وعمالهم . وكان قيام الدعوة العباسية نتيجة مباشرة لتطور هذه الحركات التي ناوأت الأمويين تحت شعارات علوية أو خارجية أو غيرها(٧٠) . وكانت مكة الترمومتر السياسي والمركز المهم في الدعوة العباسية ففيها الإمام العباسي وبويع فيها الخليفة الهاشمي المنتظر وكان علوياً هو محمد النفس الزكية . وكان إمام العباسيين يرسل الدعاة ويستقبل النقباء دون علم الأمويين لتسترهم تحت شعارات علوية أو خارجية أو غيرها .

هكذا ينبغي أن يضاف إلى مراكز الدعوة العباسية مكة المكرمة مع الكوفة وخراسان والحميمة .

## نبذة عن الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة أيام العباسيين

لم يذكر المؤرخون الذين كتبوا في تاريخ مكة إلا يسيراً عن أحوال المجتمع المكي . بينما أسهبوا في اهتمامهم بالنواحي السياسية والتي تجد لها في كتب التاريخ حظاً أوفر وتفصيلاً أكثر . وقلما نجد وصفاً للحياة الاجتماعية في مكة في العصر العباسي . إلا أننا بعد الاطلاع على ما تيسر لنا من الكتب المخطوطة والمطبوعة ممن عاصروا الأحداث التاريخية فتعرضوا لحوادث اجتماعية بصورة غير مباشرة وهم يكتبون عن الأحوال الاقتصادية والسياسية .

وسوف أعرض للعادات والتقاليد في المجتمع المكي بما في ذلك أعيادهم وحفلات زواجهم ثم ملابسهم وطعامهم وطراز معيشتهم ونواديهم وربطهم وسبلهم وطراز بناء بيوتهم وفن الغناء وأدوات الموسيقى . ثم كيفية قضاء أوقات فراغهم وألعابهم والحمامات لديهم والعناية الصحية وأخيراً أعمالهم وطبقات المجتمع إذا صح ذلك(٧١) .

فالدارس للحالة الاجتماعية في مكة خلال القرن الأول الهجري يجد إلى حد كبير أن هناك علاقة اجتماعية لا سياسية بين الشام ومكة والمدينة . فالذوق العربي واضح كل الوضوح في العهد الأموي . والعلاقة متينة بين الشام والحجاز . علاقة اجتماعية فيها

تشابه كبير في الذوق . أما العباسيون فانتقلوا بعاداتهم وتقاليدهم إلى عادات وتقاليد جديدة يغلب عليها الطابع الفارسي تارة والتركي أخرى . سواء في لباسهم وطعامهم وشرابهم وفنونهم . حتى أن عمامة الرأس اختلفت حسب الطبقات . وأقول لما كانت مكة مدينة مقدسة فإن عادات أهلها انعكست عن واقع تلك المدينة ومن تاريخها وتراثها القديم .فهي تعتمد على موسم الحج . ومن عادات أهلها أن يوقد أهل مكة النار في فجاج مكة ويضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السرقة(٧٢) .

وبعد انقضاء الموسم تعم بينهم الأفراح فيزوجون الأولاد ويتروضون في جهة الطائف والزاهر ومر الظهران (وادي فاطمة) والأماكن التي فيها بساتين (٧٣) .

ويضيف المقدسي عن المجتمع في مكة في القرن الرابع الهجري فيقول : وبمكة تنصب القباب ليلة الفطر ويزين السوق بين الصفا والمروة . ولا يرى أحسن من زي أهل مكة في خروجهم إلى الحج في أن أحدهم ينوبه في ذلك ما ينوب العراقي(٧٤) .

وفي السابع والعشرين من شهر رمضان يشعل أهل مكة المصابيح والشموع . وفي ليلة النصف من شعبان توقد المشاعل والسرج .

وكذلك في أول ليلة من شهر شوال يسرجون المصابيح والشمع وتوقد السرج في الحرم كله . كذلك فوق سطح المسجد الذي بأعلى أبي قبس . والناس ما بين طواف وصلاة حتى بعد صلاة الصبح(٧٥) .ويحتفل أهل مكة في الأعراس بعد انقضاء موسم الحج(٧٦) .

وفي المأتم يتوارد الناس بعد أن تفيض الروح إلى بارئها فتأتي النسوة ويجدن قصعة على باب القاعة فيها معجون الحناء فيحنين منها إحدى أيديهن ثم يدخلن إلى القاعة معزيات صاحبة المصيبة(٧٧) .

أما طعام أهل مكة فإنهم يكتفون بالقليل في أيامهم الأولى كعادة العرب . فطعامهم لون أو لونين وخير أدمهم اللحم . ولكن سكان المدن ومنهم أهل مكة قد أخذوا بالعناية بالطعام والتفنن به أكثر من أهل البوادي . ومن أطعمتهم(الثريد) وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضع فوقه اللحم . و(الربيكة) وهي شيء يطبخ من بر وتمر ويعجن بالسمن ولعله يشبه الهريس أو العصيدة . و(القديد) وغيره . وشرابهم اللبن أو شراب العسل وحده وكان يدعى (الحلواء البارد)(٧٨) وهو من ألوان الطعام عندهم .

وقال المقدسي : فلا ثلج لأهل مكة ولا جليد ولا فواكه في الشتاء ولا قديد إلا ما يجفف من ذبائح منى[٧٩] .

ويعملون الولائم حين عقد الزواج ومتى صنع أحدهم وليمة يبدأ بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين .

ومن عادة أهل مكة أنهم يتناولون الطعام مرتين في اليوم في الضحوة وبعد صلاة العصر . ويفطرون عادة في شهر رمضان في الحرم وبعد صلاة المغرب يمدون الموائد[٨٠] .

أما لباس أهل مكة فقد تنوع لتنوع سكانها والشائع لبس الأزر . والأزر يلبسونها بلا قميص إلا القليل وأكثر ثيابهم القطن[٨١] . ولبس نسائهم القنوع والبراقع[٨٢] .

ويلبس القضاة والعلماء العمائم السوداء على قلنسوة طويلة في العصر العباسي الأول ثم صغرت القلانس في العصر العباسي الثاني[٨٣] .

ويكثر في لباس المكيين اللون الأبيض والألوان الزاهية الأخرى[٨٤] . والنساء يلبسن الجلباب الملون والقمصان عند الرقبة ويربطن رؤوسهن بعصابة تزينها الطبقة الراقية ببعض الحلي الثمينة[٨٥] .

وكان أهل مكة يلبسون الخواتم ويتطيبون بماء الخلوق ويدهنون الشعر بالزيوت ويكتحلون[٨٦] .

أما وسائط النقل المستخدمة في مكة في العصر العباسي فهي الإبل والخيل والبراذين وهي للأغنياء أما العامة فيركبون البغال والحمير[٨٧] .

واشتهرت مكة في الأربطة وهي الأماكن الاجتماعية لأهل ذكر والفقراء . كما أن بعضها أصبحت لطلبة العلم يقيم فيها الغرباء منهم[٨٨] . ومن الأربطة في مكة أيام العباسيين :

رباط الوقس بقرب رباط الأخلاطي ويقع في أعالي مكة ووقف في أواخر القرن الثاني الهجري[٨٩] .

ورباط السدرة ويقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام[٩٠] .

ورباط الفقاعية ويقع في زيادة دار الندوة[٩١] .

**أما بيوت أهل مكة** : فهي من حجارة سود ملس وبيض أيضاً وعلوها الأجر، كثيره الأجنحة من خشب الساج وهي طبقات مبيضة نظيفة حارة في الصيف إلا أن ليلها أطيب قد رفع الله عنهم مؤونة الدف،[٩٢] .

وفي مكة سبعة عشر حماماً ذكرها الفاكهي الذي عاش في القرن الثالث الهجري وبين مواقعها[٩٣] .

وفي مكة نواد يعقدون فيها حلقات السمر أو يقصون أساطير الأولين .أو نوادر تلك القصص التي يمر بها الناس حينما يجولون في الآفاق . فيجتمع في هذه النوادي حلقات من الكهول في أقبيتهم الفضفاضة . وشبيبهم في ثيابهم الموردة والمحمرة[٩٤] .

**ومن نواديهم ومنتزهاتهم :**

**الليط** : وهو في رأي بعض المؤرخين يقع أسفل مكة فيما يقرب من بركة ماجن . وحائط الحمام وهو متنزه بجوار المعلا وفيه نخيل ومزارع[٩٥] .

والواقع أن غزارة الأموال أدت إلى ازدهار الفن عند الخلفاء ومواليهم وهذا ما نراه في العصر العباسي ببغداد أكثر منه في مكة والمدينة[٩٦] .

ومن الألعاب المسلية في الأعياد بمكة لعبة (الكرك) وكان لكل حارة من حارات مكة كرك يعرف بهم يجتمعون له ويلعبونه في حارة ويذهب الناس ينظرون إليه في تلك المواضع[٩٧] .

واهتموا بالصيد وسباق الخيل واللعب بالكرة والصولجان والقلة والمقلاة . كما يتسابق الرجال بالخيل في حفلات زواجهم[٩٨] .

ويتكون المجتمع المكي بما يشبه الطبقات ومنهم : التجار والمزارعون وأصحاب المهن والحرف[٩٩] .

وكان في مكة في العهد العباسي جاليات عديدة من الترك والموالي الذين كانوا يتبعون ولاة بني العباس أحياناً وينضمون إلى الثوار أخرى[١٠٠] .

وإلى جانب الترك هناك جاليات من الفرس والبربر وبعض الناس من بلاد العرب والمظنون أن أغلب هؤلاء كانوا من أصحاب التقوى[١٠١] .

واستعان بنو العباس بالموالي فولى المنصور مكة الهيثم العتكي سنة ١٤٥ هـ وهو من أهل خراسان . وعهد الرشيد إلى حماد البربري ولاية مكة . وسليمان بن بلال كان بربرياً وكان يفتي بالبلد ولعله يعني البلد الأمين (مكة) . واشتهر الموالي بمكة بعلوم الدين وخاصة الفقه ومنهم عطاء بن رباح ومجاهد بن جبير وسعيد بن جبير وسليمان بن يسار وكلهم موالي .

## نبذة عن الحياة الاقتصادية في مكة أيام العباسيين

تعتمد الحالة الاقتصادية على عوامل منها : توفر المياه ومكة قليلة الماء . وما اشتقاق مكة إلا لقلة مائها . من قولهم امتك الفصيل ضرع أمه إذا استخرج ما فيه وقيل غير ذلك[١٠٢] . ونظراً لقلة مائها فقد قل إنتاجها الزراعي . وكانت في الجاهلية واستمرت في الإسلام وظيفة الرفادة لبني هاشم بن عبد مناف فكان يطعم الناس في كل موسم[١٠٣] .

أما السقاية فكانت وظيفة قد سنها قصي حيث توضع بفناء الكعبة حياض من آدم (جلد) ويستقي منها الماء العذب من الآبار على الإبل لسقي الحجاج[١٠٤] .

ويسمي الأزرقي أكثر من سبعين بئرا بمكة .

وجدد هارون الرشيد الخليفة العباسي العيون التي أجراها معاوية بن أبي سفيان في الحرم بعد انقطاعها وصرفت تلك العيون في عين واحدة .

وفي سنة ١٧٤هـ أمرت زبيدة بعمل بركتها التي بمكة فأجرت لها عيناً من الحرم . ثم أجرت لها عيوناً من حنين . فصرفت عينه إلى البركة وجعلت حائطه سداً يجتمع فيه السيل[١٠٥] . ويبدو أن هذه العين هي عين مكة المعروفة بـ (عين بازان) والتي نعرفها الآن بـ (عين زبيدة)[١٠٦] .

والملاحظ أن تاريخ المياه في البلد الأمين هو تاريخ تحد واستجابة . فالطبيعة في مكة جافة حارة وترتفع درجة الحرارة فيها بين ١١٥-١٣٠ ف ويندر فيها المطر . وبسبب قلة المطر إلى القحط بينما تكون الأمطار في بعض السنين غزيرة فتسيل السيول وتظهر الوديان وكأنها أنهار مما عرض المسجد الحرام إلى الغرق[١٠٧] .

كما أن الزراعة أصبحت قليلة جداً . وقد خص الله تعالى في محكم كتابه المجيد مكة بذلك من قوله تعالى : "رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم"[١٠٨] .

وأورد البلاذري قوله : أن في مكة البقل والسواك والشجر والنخل[١٠٩] .

أما الصناعة في مكة فكانت في العصر العباسي بسيطة وبدائية . وفيها على مسافة اثني عشر ميلاً من مكة جبل يقال له (جبل النورة) حيث تحرق حجارة الكلس لاستخراج النورة واستعمالها في البناء[١١٠] . وبمكة وأعمالها معدن الذهب وبعشم وذوعلق وعكاظ على ما ذكره اليعقوبي المتوفي سنة ٢٨٤هـ . وتوجد رواسب (الحديد) في منطقة وادي فاطمة[١١١] . وقد وجدت بعض الصناعات لتوفر بعض المواد الأولية، ومنها الأرائك والنمارق والزرابي والقدور والأبواب والأباريق والمصابيح والقوارير والزجاج والحلي والخيام والحجرات والسقوف والقواعد (المعارج) . والواضح أن طبقة من الصناع للبناء والنحت والحدادة والنجارة والصياغة والحياكة والنحاسة والسروجية والدباغة ونساء يشتغلن بالغزل والنسيج . ومثل ذلك صناعة الإدم أو دباغة الجلود . أما النجارة فهي من الحرف التي اشتهرت بها مكة وكان للنجارين زقاق بمكة .

وهناك أسواق كسوق الفاكهة وسوق القسي وسوق العطارين وغيرها[١١٢]

وعم الغلاء بسبب الفتن فقد بلغ الخبز بمكة في عام ٢٥١هـ ثلاث أواق بدرهم . ورطل اللحم بأربعة دراهم . وشربة ماء بثلاثة دراهم[١١٣] .

واختصت مكة بالسنامكي وهو الحلول أو المسهل ويجنى من بعض الأعشاب[١١٤] .

وتنتج مكة بعض أنواع الخضر كالخيار والكراث والفجل والأزهار والفواكه والثمار[١١٥] .

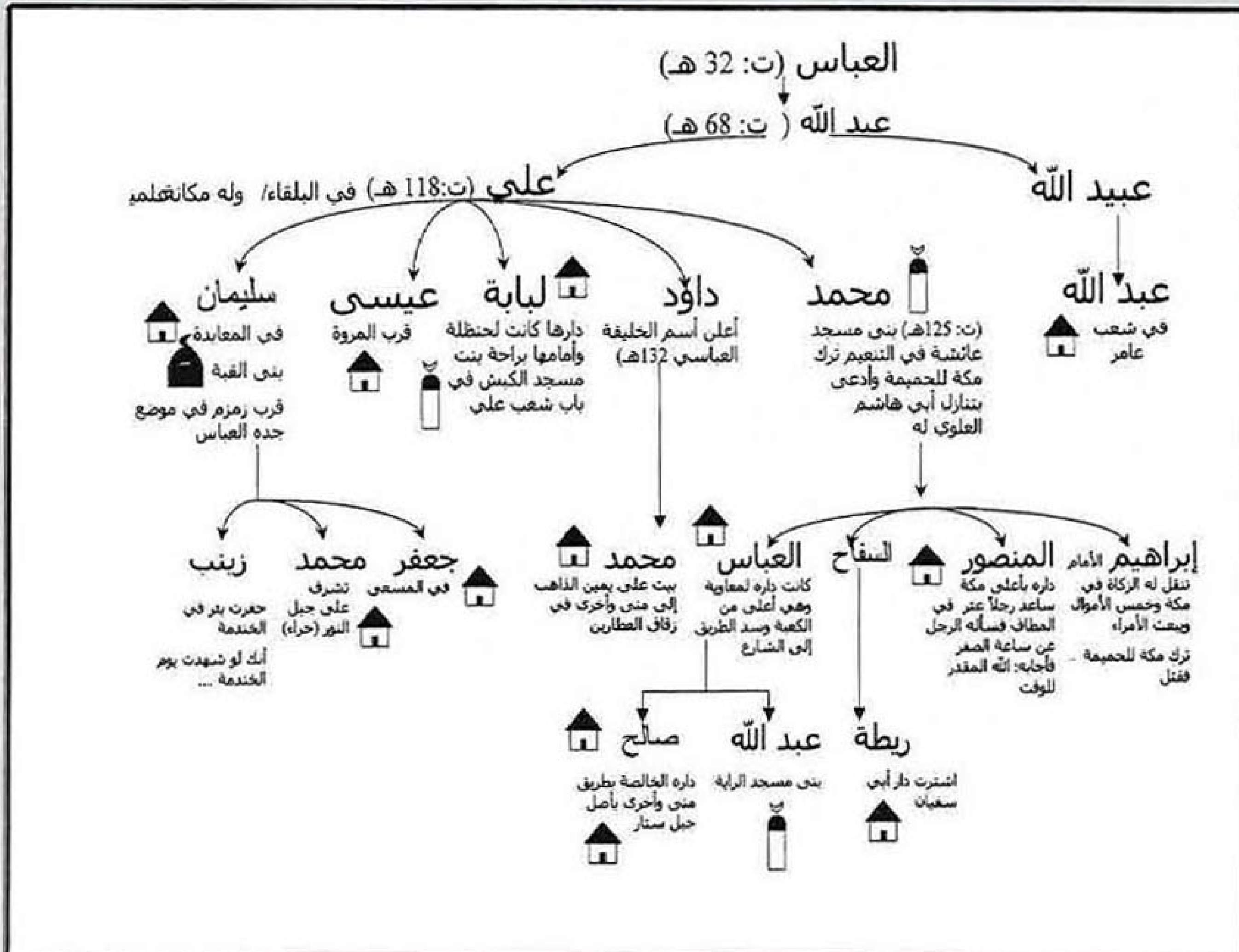
وبها عسل أطيب من الماذي المضروب به المثل ويعرف عندهم بالمسعودي[١١٦] .

وفي مكة أسواق متجولة . ففي داخل مكة سوق الحزورة وكانت سوق مكة ويقع بفناء أم هانئ ابنة أبي طالب وتقع هذه السوق عند باب الحناطين (بائعو الحنطة) وقد أدخلت في المسجد الحرام[١١٧] . وسوق الصيارفة أورده الأزرقي وفيها ضرب النقود[١١٨] .

أما مكيلات وموزونات ونقود أهل مكة فإن رسول الله (ص) قال : "الميزان ميزان أهل مكة" . وفي رواية أخرى ميزان أهل المدينة[١١٩] . والرطل بمكة اثنتي عشرة أوقية والأوقية هي أربعون درهماً، فيكون الرطل ثمانية وأربعين درهماً[١٢٠] . وجعلت الحكومة خاتماً مطبوعاً في أعلاه للحفاظ على وزن الصاع وهو خمسة أرطال وثلث[١٢١] . أما النقود المتداولة في مكة في العصر العباسي فهي الدراهم التي تسمى بمكة (المحمودية) ولأهل مكة (المربعة) وهي أربعة وعشرون بمطوق[١٢٢] . وورد الدينار بنقود أهل مكة وهو من الذهب[١٢٣] .

وبعد هذه النظرة عن أحوال مكة الاقتصادية أيام العباسيين وما تعرضت إليه من ظروف طبيعية أو سياسية أدت إلى تدهور الأحوال المعاشية فيها . فأما الأسباب الطبيعية فتتمثل في تأخر سقوط الأمطار أو ندرتها وما يترتب على ذلك من قلة الإنتاج الزراعي والرعوي . فترتفع قيمة السلع سواء في مكة أو حولها . وأحياناً سقوط البرَد الذي قيل أنه بحجم البيضة مما يتلف الزرع ويقتل الحيوان وعليه معاش أهل البادية . ويحل القحط والوباء الذي يفتك بأهل البادية فيندفعون نحو المدن أو يقطعون على الحاج طريقهم . وسواء هذا أو ذاك فإن له كبير الأثر على مكة .

أما الأسباب السياسية فإن وراء كل أزمة اقتصادية في الغالب هناك أحداث سياسية كالفتن والحروب وما تجره من ويلات ودمار واضطراب الأمن فتتوقف التجارة وتسوء الحالة الاقتصادية .


العباس (ت: 32 هـ)
عبد الله ( ت: 68 هـ)
عبيد الله
عبد الله
في شعب عامر
علي (ت:118 هـ) في البلقاء/ وله مكانهلمي
محمد
(ت: 125هـ) بنى مسجد عائشة في التنعيم ترك مكة للحميمة وأدعى بتنازل أبي هاشم العلوي له
داوّد
أعلن أسم الخليفة العباسي 132هـ)
لبابة
دارها كانت لحنظلة وأمامها براحة بنت مسجد الكبش في باب شعب علي
عيسى
قرب المروة
سليمان
في المعابدة
بنى القبة
قرب زمزم في موضع جده العباس
إبراهيم الأمام
تنقل له الزكاة في مكة وخمس الأموال وبعث الأمراء
ترك مكة للحميمة .. فقتل
المنصور
داره بأعلى مكة ساعد رجلاً عثر في المطاف فسأله الرجل عن ساعة الصفر فأجابه: الله المقدر للوقت
السفاح
العباس
كانت داره لمعاوية وهي أعلى من الكعبة وسد الطريق إلى الشارع
محمد
بيت على يمين الذاهب إلى منى وأخرى في زقاق العطارين
جعفر
في المسعى
محمد
تشرف على جبل النور (حراء)
زينب
حفرت بئر في الخندمة
أنك لو شهدت يوم الخندمة ...
ريطة
اشترت دار أبي سفيان
عبد الله
بنى مسجد الراية
صالح
داره الخالصة بطريق منى وأخرى بأصل جبل ستار

## مراكز الدعوة العباسية

الحميمة — الكوفة — خراسان

مكة المكرمة
(المركز الرئيسي)

رئيس الدعوة العباسية (إبراهيم الأمام)

- يلتقي بالدعاة والنقباء
- أرسل الراية (السحاب)
- يوجه الأمراء لخراسان
- أرسل اللواء لخراسان _الضل
- ترسل له الأموال (الزكاة وخمس الأموال)

||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||

## ينتسب العباسيون

## إلى

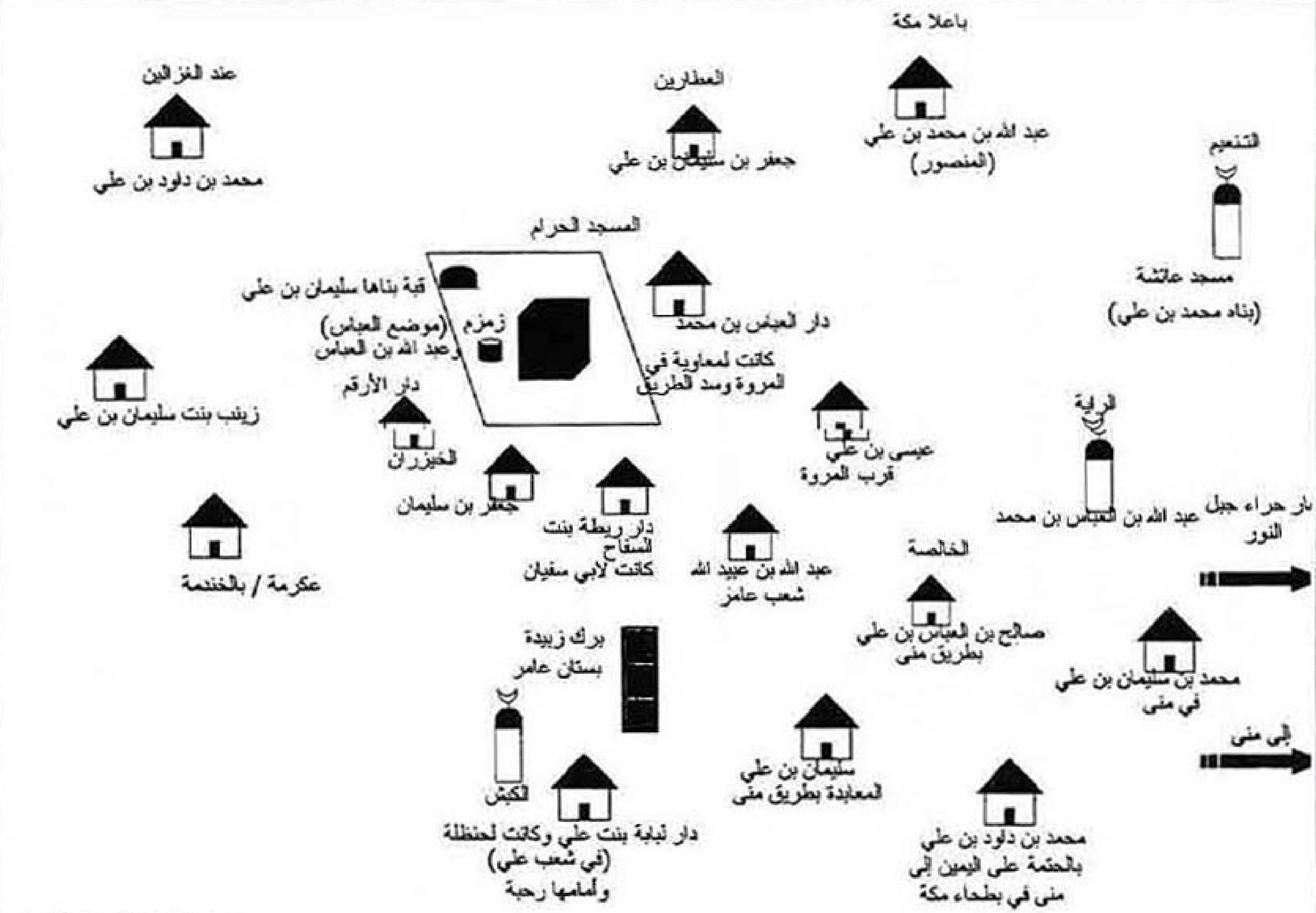
### العباس (ت:32 هـ)

- بيده السقاية
- والعمارة
- والمكانة المالية
- داره في المسعى
- موضعه قرب زمزم
- أمه نتيلة بنت حيّان

### عبد الله ( ت: 68 هـ)

- مجلسه قرب زمزم
- وله مكانته العلمية
  - في الحديث والتفسير والفقه
  - وأيام العرب والشعر

### علي ( ت: 118 هـ)




تحقيق / الدكتور علي أباحسين

مخطط لدور وآثار العباسيين خلال الدعوة العباسية في مكة المكرمة

# الهوامش

١ — الأزرقي، أخبار مكة ٨٥/٢، المطبعة الماجدية بمكة، ١٣٥٧هـ . هـ.و.م.س. ١٤٤/١، دار الثقافة بمكة، ١٣٨٥هـ .

٢ — الزركلي، الإعلام، ٣٥/٢، ط ٢، كوستا توماس .

٣ — مفتاح الأوائل مخطوط مجهول المؤلف، الباب الخامس' مكتبة أزاد في الهند . والسنجاري، منايح الكرم بأخبار البيت وولاة الحرم ١٨٠/١ وما بعدها . مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف . والفاسي، شفاء الغرام، ٢٥٩/١، طبع مصر ١٩٥٦م .

٤ — الأزرقي، ١٧١/١، مكة ١٣٥٧هـ .

٥ — ن.م.س.، ١٨٨/٢ و٢١٣ . والقسطي، الأعلام، ص٢٨٩ . والأزرقي ٧٠/٢ .

٦ — الديار بكري، رسالة أذرع الكعبة، مخطوطة في رامبور الهند .

٧ — باسلامة، ص١٢٠-١٣١ .

٨ — الأسدي، أخبار مكة،ص٨٧، مخطوط في رامبور بالهند . والقزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١١٥، بيروت ١٩٦٠م . واليعقوبي، البلدان، ص٧٤ ط ٣ .

٩ — الزبيري، نسب قريش، ص٢٨ . والمسعود مروج الذهب ١٠١/٣ .

١٠ — العصامي، سمط النجوم العوالي ٣٢٨/١ .

١١ — الأزرقي ٦٠/٢ .

١٢ — المسعودي، ١٠١/٣ .

١٣ — نسب قريش، ص٢٨ .

١٤ — ابن دحية، النبراس، ص٦، بغداد ١٩٤٦م .

١٥ — أخبار مكة، ٢١٣/١ .

١٦ — الذهبي، دول الإسلام، جـ ١، ص٥٦، حيدر أباد، الهند .

١٧ – محمد أحمد، الخلافة والدولة العباسية، ص٢٨، مصر ١٩٥٩م .
١٨ – مفتاح الأوائل، مخطوط مجهول المؤلف، الباب الخامس .
١٩ – أخبار مكة، ١٨٨/٢ و٢١٣ .
٢٠ – شفاء الغرام ٢٦٠/١ . وأخبار مكة ٢٢١/١ .
٢١ – أخبار مكة، ١٨٤/٢ و١٩٢ و١٩٥ .
٢٢ – ن.م.س، ١٤١/٢ .
٢٣ – أخبار مكة، ١٩١/٢ .
٢٤ – نفس المصدر ٢١٨/٢ .
٢٥ – نفس المصدر ٢٠٥/٢ .
٢٦ – شفاء الغرام ٢٧٩/١ . والأزرقي ١٨٤/٢ و١٩٥ .
٢٧ – أخبار مكة ٢١٧/٢ .
٢٨ – ن.م.س، ٢٩١/٢ .
٢٩ – ن.م.س، ١٧٧/٢ و٢٣٧ .
٣٠ – القطبي، الأعلام ص١١ وأخبار مكة ١٩٠/١ .
٣١ – إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين ٣٢٠/١-٣٢١ .
٣٢ – شفاء الغرام ٢٦١/١ .
٣٣ – أخبار مكة ٢٢١/١ و٢٢٣ و٢٢٤ .
٣٤ – ياقوت، معجم البلدان ٣/ ٢٢٦ . والأزرقي ٢٣٢/٢ و٢٨٧ .
٣٥ – الأزرقي ١٦١/٢ .
٣٦ – الذهبي، العبر في خبر من غبر، ص١٦٠، الكويت ١٩٦٠ .
٣٧ – محمد أحمد، الخلافة والدولة العباسية، ص٣٠ .
٣٨ – ابن خلدون، المقدمة، ص١٥٩، طبع بيروت ١٩٧٩م . والماوردي، الأحكام السلطانية ص١٣ .
٣٩ – الدكتور فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية ص١١٦، ط ١ بيروت ١٩٧٠م .

٤٠ – ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٢/٣٢٢ ط ١ القاهرة ١٩٠٩والطبري ٩/٢٢٣ . وابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية ص١٤٣ .والصباغ، بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، ص١٥ بغداد ١٩٦٩ .

٤١ – السنجاري، منايح الكرم ١/١٨٠ وما بعدها مخطوطة في مكة المكرمة .

٤٢ – الدينوري، الأخبار الطوال ص٣٣٩ ليدن ١٨٨٨م .

٤٣ – الذهبي، دول الإسلام ١/٦٠ .

٤٤ – عبد السلام رستم، أبو جعفر المنصور، ص٣٥–٣٧، مصر١٩٦٥م . وابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/٣٥٦–٣٥٨، القاهرة ١٩٠٩م .

٤٥ – الأخبار الطوال، ص٣٤٣ .

٤٦ – ابن كثير، البداية والنهاية١٠/٢٥ .

٤٧ – ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص١١٩ . وابن خلدون، تاريخه٣/١٠٢–١٠٣، بيروت ١٩٧١م . وابن كثير، ١٠/٢٧ . والإمامة والسياسة ٢/٣٢٢ .

٤٨ – عبد السلام رستم، أبو جعفر المنصور، ص٣٩ .

٤٩ – ابن خلدون، تاريخه ٣/٣٩٨ بيروت ١٩٥٧م . وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٥١٣، بيروت ١٩٦٥ .

٥٠ – الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٢٠٦ القاهرة ١٩٤٧ .

٥١ – مختصر تاريخ الدول، ص١١٩ . وابن كثير، ١٠/٣٥ .

٥٢ – شفاء الغرام ٢/٢١٥ .

٥٣ – الكامل ٥/٣٥٦ . وابن كثير ١٠/٣٠ .

٥٤ – البداية والنهاية ١٠/٣٣ .

٥٥ – مختصر تاريخ الدول، ص١١٩–١٢٠ .

٥٦ – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٤٢، بيروت ١٩٦٠ .

٥٧ – الأخبار الطوال، ص٣٥٧ .

٥٨ – نفس المصدر ص٣٥٨ .

٥٩ – الكامل في التاريخ، ٥/٣٨٠ .

٦٠ – الخلافة والدولة العباسية، ص٣١-٣٢ .

٦١ – البداية والنهاية، ١٠/٢٧ .

٦٢ – ابن العبري، ص١١٩ .

٦٣ – الخلافة والدولة العباسية، ص٣٧ .

٦٤ – ابن خلدون، تاريخه ٣/٢١٨، بيروت١٩٥٧ . والبد\اية والنهاية ١٠/٣٤ .

٦٥ – المسعودي، مروج الذهب، ٦/٦٦، باريس ١٨٧٧ .

٦٦ – ابن الأثير ٥/٣٧٣ . واليعقوبي، ٢/٣٣٩ . وياقوت ٤/٣١٣ . وشفاء الغرام، ٢/١٧٥ .

٦٧ – رستم، أبوجعفر المنصور، ص١٦ . والسنجاري، ١/١٨٠ وما بعدها (مخطوط) . واليعقوبي، ٢/ ٣٣٩ . والطبري، ٦/٩٦، طبع مصر ١٣٥٨هـ . وابن الأثير، ٤/٣٥٢ .

٦٨ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦/٧١، القاهرة ١٣٥٨هـ .

٦٩ – أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١/٢١٠-٢١٤ مصر .

٧٠ – محمد حلمي، الخلافة والدولة في العصر العباسي، ص٦-٧ مصر ١٩٥٩م .

٧١ – أحمد أمين، ضحى الإسلام، ١/١٠٥ و١٠٦، ط ٥، ١٩٥٢م .

٧٢ – الأزرقي، أخبار مكة، ١/٩٣، مكة ١٣٥٧هـ .

٧٣ – مرآة الحرمين، ١/٦٣ .

٧٤ – المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٠ و١٠٥، ط٢، ليدن ١٩٠٦م .

٧٥ – ابن جبير، رحلته،ص١٠٢-١٠٤ . وابن بطوطة، تحفة النظار، ص١١٩ و١٢٠ .

٧٦ – ابن المجاور، المستبصر، ص٦ و٧ . وابن بطوطة، ص١١٨ .

٧٧ – مرآة الحرمين، ١/٢٠٣-٢٠٥، ١٩٢٥م .

٧٨ – ابن بكار، جمهرة نسب قريش١/٣٠٤ و٣٠٦ . والأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢/٦١٩ . وحلية الأولياء، ٢/٢٧٠ . والطبري، ٩/١٨٢ . وابن قتيبة، عيون الأخبار،٣/٢٠٥ . ومتز ٢/ ١٨٤، ط٢، ١٩٤٨م . ومروج الذهب ٢/٨٤ .

٧٩ – مروج الذهب، ٢/٨٤ . ومتز ٢/١٨٤ . وأحسن التقاسيم، ص٩٥، طبع ليدن ١٩٠٦م .

٨٠ – مرآة الحرمين، ٢٠٤/١. وحسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي، ٥٤٦/١ و٥٤٧ . وابن بطوطة، ص٧٨ .

٨١ – أحسن التقاسيم، ٩٥-٩٩ .

٨٢ – تاريخ المستبصر، ص٥ و٦ .

٨٣ – الكندي، الولاة وكتاب القضاة، ص٣٧٨ . ومتز ٣٧٣/١ . والسيوطي، ٢٦٢ . وحسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص٢٨٣، ط٣، القاهرة .

٨٤ – مرآة الحرمين ٢٠٣/١-٢٠٥ .

٨٥ – المدونة الكبرى للإمام مالك، ٧٨/٢ . والسباعي، تاريخ مكة، ١٩٧/١، ط٣ . مكة ١٣٨٧هـ .

٨٦ – المدونة الكبرى، ٧٨/٢ . والصباغ ص١٤٠ . والوشاء الموشى، ص١٢٥ .

٨٧ – الأغاني، ١٧١/٦ و١٩١ . وابن سعد، الطبقات الكبرى ٤٧٩/٥ .

٨٨ – الفاسي، شفاء الغرام٣٣٠/١-٣٣٦ . والعقد الثمين ٩٩-١٠٢ . وتحصيل المرام، ١٩٢-١٩٥ مخطوط .

٨٩ – العقد الثمين، ٩٩-١٠٢ . وشقاء الغرام ١/ ٣٣٦ . وتحصيل المرام ١٩٥ .

٩٠ – أخبار مكة ٦٩/١ . وتحصيل المرام، ص١٥٥ . وشفاء الغرام، ٣٣٠/١، طبع مصر ١٩٥٩م . والعقد الثمين١١٩/١ و١٢٠، طبع القاهرة ١٣٨٥هـ .

٩١ – شفاء الغرام، ٣٣١/١ .

٩٢ – أحسن التقاسيم، ص٧١ .

٩٣ – شفاء الغرام، ٢٠/١ .

٩٤ – تاريخ مكة، ٣٨/١، ط٢، مكة ١٣٨١هـ .

٩٥ – ن.م.س. ٣١/١ و٣٢ . ٩٦ – ن.م.س

٩٧ – الفاكهي، تاريخ مكة المشرفة، ١١ و١٢ (مخطوط) . والمنتقى في أخبار أم القرى، ص١٠ .

٩٨ – تاريخ الإسلام السياسي، ٥٤٦/١ و٥٤٩ .

٩٩ – ابن جبير، ص٨٥ .

١٠٠ – ابن فهد، إتحاف الورى، ٣٥٢/١ (مخطوط) .

١٠١ — تاريخ مكة، ١/١٥٩ و١٦٠ . وابن سعد، ٥/٤٢٠ . وابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٤١٥ .

١٠٢ — البكري، معجم ما استعجم، ١/٢٦٩، ط١، مصر ١٩٤٥م . وابن المجاور، المستبصر، ص٣ ،ليدن ١٩٥١م .

١٠٣ — أخبار مكة، ١/٦٣ .

١٠٤ — ن.م.س. ١٠/٦٢ و٦٦ .

١٠٥ — شكيب أرسلان، الإرتسامات اللطاف، ص١٨ .

١٠٦ — أبو المحاسن، النجوم الزاهرة،٢/٣٢٢ . والصباغ، ص٧٦ .

١٠٧ — Hitti Ph.K. CAPITAL CITIES OF ARAB ISLAM. U. S.A. 1973.. P.24

١٠٨ — المستبصر، ص١٣ . ومعجم البلدان ٢/٢١ .

١٠٩ — البلاذري، فتوح البلدان، ١/٥٢، طبع مصر ١٩٥٧م .

١١٠ — د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ١/١٩٦-١٠٨، طبع بغداد ١٩٥٧م .

١١١ — اليعقوبي، البلدان، ص٧٥،ط٣ . وأبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص٢٣٣، ط١، مصر ١٩٦٥م . وأحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في عصر الرسول ﷺ، ص٢٢٠ و٢٢٣ و ٢٧٩ . والأزرقي، ٢/٢٤٣ و٢٩٦ . والمدونة الكبرى، ٤/٢٩٥، ط١، القاهرة ١٣٢٤هـ . وأحسن التقاسيم ص١٢ .

١١٢ — فيليب حتى، عواصم المدن العربية الإسلامية، ص٢٦ (بالإنجليزية) .

١١٣ — شفاء الغرام، ٢/٢٧٠ .

١١٤ — أحسن التقاسيم، ص٧٩ .

١١٥ — المستبصر، ص٩، طبع ليدن، ١٩٥١م .

١١٦ — ابن جبير، ص٩٧ .

١١٧ — الطبقات الكبرى، ٦/٣٧١، بيروت ١٩٥٧م . والأفغاني، ص٣٤٧ و٣٤٨ . وأخبار مكة، ٢/ ٢٣٨ .

١١٨ — شفاء الغرام، ١/٢٠٣ .

١١٩ — عبد الرءوف المناوي، تحرير المكيلات والموزنات (مخطوط) غير مرقم الصفحات .

١٢٠ – المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود، (مخطوط) رقم ٤٣ في مكتبة الحرم المكي الشريف (الدهلوي) .

١٢١ – المستبصر . ص١٣-١٥ .

١٢٢ – أحسن التقاسيم، ص٩٩ .

١٢٣ – ابن خلدون المقدمة، ص٣٥٣ .

# البحرين في عهد

البحرين لؤلؤة الخليج في بحار العرب، وموطن القبائل التي استقرت في هذه الأرض درعاً للدفاع عن العرب والإسلام . . فكانت البحرين حصناً منيعاً فيها احتمى المجاهدون وهم يطاردون المرتدين، ومن قلاعها رُدَّ الغزاة عندما حاولوا السيطرة على مقدراتها . . فكانت أرضها أرض عز وانتماء، وبطاحها موئل خير وعطاء . . فلم تغب عن ذاكرة الأجيال تاريخاً وحضارةً، ولم يغفل عنها المؤرخون والأدباء والشعراء . . فإذا هي ماثلة في الأذهان، حية في النفوس، فبقي اسمها في



# الخلافة الراشدية

إعداد : الدكتور علي عشيش البعاج

الحناجر كلما ذكرت الأحداث، وكلما خلدت المدن والبقاع، فبرز منها الرجال، ونبغ فيها العلماء، وروى عنها البلدانيون والإخباريون الروايات والقصص والأخبار . . .

وأعزها الله تعالى بالإسلام، فعندما جاءت الرسالة على سيدنا محمد ﷺ، كانت البحرين قد شهدت حركة واسعة لانتشار القبائل العربية في أرضها، وتقف قبيلة عبد قيس في مقدمة القبائل العربية التي دخلت البحرين، فسكنت بطون عبد قيس في كثير



من الأماكن، فاستقر جذيمة بن عوف في الخط، وشن بن أفصى في أطراف البحرين من الخط، وبني الديل من محارب وعجل في المناطق الساحلية من البحرين، وانتشرت عشائرها في محلم والمشقر والصّفا وجواثا وقبة وسماهيج . . وأما قبيلة تميم فكانت حركة انتشارها في البحرين واسعة فإذا ببطون تميم من بني سعد بن زيد مناة في يبرين وسفوان والقليعة والفروق والمقر وشغبة، واستقر بنو عوف بن سعد، وبنو عوف بن كعب، وبنو مالك بن سعد، وبنو الربيع بن الحارث، وبنو دارم بن مالك بن حنظلة، وبنو عبد الله بن دارم، وبنو مناف بن دارم، وبنو نهشل بن دارم، وبنو الحرماز بن مالك، وبنو العنبر . . في أكثر مواقع البحرين . . وكذلك كانت قبيلة بكر بن وائل التي انتشرت في أماكن كثيرة، كما هو شأن استقرار قبيلة بني قيس بن ثعلبة بن عكابة في هجر والسيدان[1] . .

إن تتبع حركة انتشار القبائل العربية في البحرين سوف يؤشر أمام الباحثين مدى أهمية البحرين في التاريخ العربي، وعندما نزلت الرسالة على النبي محمد ﷺ، كانت البحرين من أولى الأصقاع التي توجهت إليها الأنظار لنشر الدين الحنيف، فكتب الرسول ﷺ إلى أهل البحرين، فقدم عليه عشرون رجلاً منهم، في مقدمتهم عبد الله بن عوف الأشج، في بني عبيد ثلاثة نفر، وفي بني غَنْم ثلاثة نفر، ومن بني عبد القيس إثنا عشر رجلا معهم الجارود وكان نصرانياً . فقيل للرسول ﷺ : يا رسول الله وفد عبد القيس . فقال : مرحباً بهم، نعم القوم عبد القيس[2] . وعندما أسلم أهل البحرين كان الجارود بن المعلى قد جاء إلى الرسول (ص)، ومكث بالمدينة حتى فقُه بالدين، ثم عاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه كلهم[3] .

فكان لبني عبد القيس مكانة خاصة، فعندما ولّى الرسول (ص) أبان بن سعيد بن العاص على البحرين قال له : "استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم"[4] . وبعدها بدأ الرسول الكريم ﷺ بتوجيه الكتب والرسائل إلى زعماء البحرين يدعوهم فيها إلى الإسلام أو الجزية، فبعث العلاء بن الحضرمي في (سنة ٨هـ) إلى البحرين، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى[5]، وكذلك إلى سيبخت مَرْزُبان هجر[6]، فأسلم جميع العرب هناك وبعض العجم، ومن لم يدخل في الإسلام فرضت عليه الجزية[7]، فعن الزهري قال : "إن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر[8]، وعن سعيد بن المسيب قال : "أخذ

رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هجر، وأخذها عمر من مجوس فارس، وأخذها عثمان من بربر"[٩]. وبدأ خراج البحرين يقدم إلى بيت مال المسلمين، فوجه العلاء بن الحضرمي بثمانين ألف درهم إلى الرسول ﷺ، وهو أول مال حمل إلى المدينة ففرق على الناس، وكان ذلك (سنة ١٠هـ)[١٠]. وفي رواية عن العلاء بن الحضرمي قال : "بعثني رسول الله ﷺ إلى البحرين - أو قال هجر - وكنت آتي الحائط بين الأخوة قد أسلم بعضهم، فآخذ من المسلم العُشر ومن المشرك الخراج"[١١]. وفي رواية عن قتادة قال : "لم يكن بالبحرين في أيام رسول الله ﷺ قتال، ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحَبّ والتمر"[١٢].

وتابع الخلفاء الراشدون - رضوان الله تعالى عليهم - تثبيت النهج الذي بدأ به الرسول الكريم ﷺ، فعندما تولى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، كانت المواجهة الأولى في حروب الردة، وتبعها ردة بعض أهل قبائل البحرين عن الإسلام، ويبدو أن الناحية الاقتصادية كانت عاملاً مهماً في ذلك، فقد تحدثت المصادر التاريخية عن البحرين بأنها كانت مركزاً مهماً في خراجها، فعندما كانت الردة جاء الزبرقان بن بدر، والأقرع التميمي إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقالا له : "اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألا يرجع من قومنا أحد، ففعل وكتب الكتاب، وأتى بالكتاب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنظر فيه فلم يشهد وقال : لا والله ولا كرامة، ثم مزق الكتاب ومحاه"[١٣]. ولما مات المنذر بن ساوى العبدي - وكان ذلك بعد وفاة الرسول ﷺ بقليل - ارتد بعض القبائل، ثم فاءت عبد القيس عن ردتها، وبقيت بكر على ردتها[١٤]، وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتد من العرب[١٥]، وثبت الجارود بن المعلى العبدي وجمع قومه وقال لهم : أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ قالوا : نعم . قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا . قال : فإن محمداً ﷺ قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأسلموا وثبتوا على إسلامهم[١٦].

وبدأ الخليفة الصديق رضي الله عنه يعد العدة لمواجهة المرتدين، وبدأت رايات الجهاد تحلق بين القبائل العربية معلنة وقفتها إلى جانب المسلمين، فيرسل الخليفة الراشد أبي بكر رضي الله عنه إلى العلاء بن الحضرمي فيعقد له على البحرين[١٧]، وجاء الأمراء إلى الخليفة من كل مكان ليلتحقوا بجيش العلاء، فأكرمهم، وأحسن إليهم[١٨]. ويقف أبوبكر رضي الله عنه

مخاطباً ابن الحضرمي بقوله : "سِرْ وقُلْ : لا حول ولا قوة إلا بالله"[١٩] . وتبدأ معارك الجهاد، وتقف القبائل العربية في البحرين مع من تجحفل معها من قبائل العرب لمحاربة المرتدين، ويخطب الأمير خُليد بن المنذر في العرب قائلاً : "أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب، واستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين"[٢٠] .

وتبرز بطولة المشاركة في هذه الوقائع في أعلى صورها الجهادية، ويتكاتف أبناء القبائل العربية، ويقف أهالي عمان والبحرين أيضاً مع قادة الجهاد، وينضوون بإمرة عثمان بن أبي العاص الثقفي في قتال المرتدين وقتال مَن وقف معهم من أساورة الفرس، الذين بلغ عددهم ثلاثين ألفا، فلقيهم عثمان ومن معه بثلاثة آلاف وانتصر عليهم[٢١] . ويطارد العلاء بن الحضرمي فلول المنهزمين إلى مدينة "دارين"، ويوقع بهم وقعاً شديداً[٢٢]، فيأخذ منهم الأنعام والعتاد، ويقسم الغنائم، ويبعث بها إلى الخليفة أبي بكر ﷺ، وتستمر مطاردة فلولهم مع مجاميع الفرس ممن ساندوهم إلى موضع يقال له "الزارة" و"القطيف"، فمضى بعضهم إلى كسرى، واستأمن قوم من الفرس العلاء، فآمنهم فصاروا بالبحرين يعملون بالحراثة والزراعة[٢٣] . فتم محاصرة "الزارة" وناحيتها من أرض البحرين، وبعث ابن الحضرمي المال إلى الخليفة وهو أول مال قسّمه أبو بكر ﷺ في الناس بين الحر والعبد ديناراً لكل إنسان[٢٤] . وبقيت "الزارة" و "الغابة" من أرض البحرين محاصرة، وقيل إن الخليفة الصديق ﷺ مات والمسلمون يحاصرون "الزارة"، فأقر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ العلاء بن الحضرمي على البحرين، واستمرت المواجهة، ووقعت المبارزة بين الصحابي البراء بن مالك ﷺ، ومرزبان الزارة، فأخذ أسلابه بعد أن قتله، وخمسها بين المسلمين، فكان أول سلب خُمِّس في الإسلام[٢٥] .

ويشدد العلاء بن الحضرمي الحصار على منافذ "الزارة"، ويقطع عنها الماء فيذعن أهلها إلى الصلح على أن له ثلث المدينة وثلث ما فيهامن الذهب والفضة[٢٦] . وكانت مدينة "جواثا" قد شهدت أحداثاً تاريخية كبيرة، فعندما حدث الارتداد، ثبت الجارود بن المعلى ومن معه، فكانت "جواثا" هي المعقل المهم للمسلمين، وتعرضت المدينة لحصار شديد، كما حدث حصار آخر في منطقة "اصطخر"وكانت بدايات الحصار زمن

أبي بكر ﷺ، ولما كانت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ندب أمراء الجهاد مع اثني عشر ألفاً من المقاتلين لنجدة المسلمين، وكان من قادتهم "هاشم بن أبي وقاص" و "عاصم بن عمرو" و "عرفجة بن هرثمة" و "حذيفةبن محصن" و "الأحنف بن قيس"[٢٧] . وكان المرتدون قد ضيقوا الحصار على المسلمين، فأنشد عبد الله بن حذف الكلابي[٢٨] :

| | |
|---|---|
| ألا أبلغ أبـا بكـر رسـولاً | وفتيـان المدينــة أجمعينـا |
| فهل لكـم إلى قـوم كـرامٍ | قعـودٌ في جَواثـا مُحصرينا |
| كأن دمـاءهم في كـل فـجٍ | شعاع الشمس يُغشي الناظرينا |
| توكلنـا على الرحمن إنّـا | قد وجدنا الصبر للمتوكلينـا |

ويستجيب المسلمون في البحرين للجهاد، ويقـف الجـارود بـن المعلى علـى فرقـة منهم، وسوار بـن همـام على فرقة أخرى، وخليـد بـن المنذر بـن سـاوى على فرقـة ثالثة ،فيركبون البحر، ويعبرون مـن البحريـن إلى فـارس[٢٩]، وتـدور دائـرة الموت على المرتدين ومن ساندهم من الفرس في "جواثا" و "اصطخر"، ويبلي المقاتلون بلاءً مشهوداً، وكان ممن استشهد في هذه الوقائع الصحابي عبد الله بن سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي، وهو ممن شهدوا وقعة بدر[٣٠] . وبعد حصار شديد استطاع العلاء بن الحضرمي والقادة الذين ندبوا معه الإيقاع بالمرتدين وفك حصار المسلمين[٣١] .

وأخذ الاستقرار بعد ذلك يأخذ طريقه في الحياة العامة في البحرين ومدنها المنتشـرة المترامية الأطراف، وكان الخلفاء ﷺ قد وضعوا النـهج السليم بمـا يحقـق وحـدة أرض البحرين وانتماءها العربي والإسلامي، وبدا ذلك من خلال تثبيت القواعد الإداريـة الـتي تحافظ على وحدة المجتمع وتماسكه . فالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يعيّن قدامـة بـن مظعـون الجمحـي أمر جبايـة الأمـوال في البحريـن، ويـولي أبـاهريرة أمـر الأحـداث والصلاة[٣٢]، وفي عهد خلافة عثمان بن عفان ﷺ عندما أمر بكتابة المصاحف وتوزيعـها على الأمصار، بعث بواحد منها إلى البحرين[٣٣] . وفي عهد الخليفة علي بن أبي طـالب ﷺ، كان شديد المراقبة على عماله خشية أن تظهر منهم مظلمة أو قسوة على الرعيـة،

فيكتب إلى واليه على البحرين عمر بن أبي سلمة الأرحبي كتاباً يقول فيه : "أما بعد . فإن دهاقين عملك شكوا غلظتك ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً، فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدة في غير ظلم ولا نقص، فإن هم أجبونا صاغرين فخذ مالك عندهم وهم صاغرون، ولا تتخذ من دون الله ولياً . ."[٣٤] . وعندما أدرك الخليفة علي رضي الله عنه أن العدالة لم تتحقق من قِبل عامله عمر بن أبي سلمة قرر عزله عن ولاية البحرين، وبعث له كتاباً قال فيه : "أما بعد فإني قد وليت النعمان بن العجلان البحرين بلا ذم لك، فأقبل غير ظنين، وأخرج إليه من عمل ما وليت"[٣٥] .

## ولاة البحرين في عهد الخلافة الراشدية :

شهدت البحرين مقدم مجموعة من كبار قادة الجهاد في الإسلام، بعث بهم الخلفاء لإدارة شئون البلاد في جميع نواحيها، وكان اختيارهم عن قناعة بقدرتهم على تحمل المسئولية المناطة بهم . ومن أبرز هؤلاء الولاة الأعلام :

### ١ - العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي[٣٦] :

صحابي جليل، سكن مكة، واستعمله النبي ﷺ على البحرين، وأقره أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما . كان له رواية عن النبي ﷺ وروى عنه الصحابة . وكان قائداً مجاهداً مجاب الدعوة، وأرسله الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين يدعوه إلى الإسلام، وبعث معه أبا هريرة رضي الله عنه . وعندما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، دعاه ليوليه البحرين وقال له : "إني وجدتك من عمال رسول الله ﷺ الذي ولّى، فرأيت أن أوليك ما كان رسول الله ﷺ ولاك، فعليك بتقوى الله"[٣٧] . أما وفاته فعلى الأرجح سنة ٢٠ هـ أو ٢١ هـ .

### ٢ - الجارود بن المعلّى العَبْدي[٣٨] :

ويقال الأنماري، ويكنى بأبي المنذر، من أهل البحرين وأخواله من بني هند من بني شيبان، وأمه "رويمة بنت رويم الشيبانية"، وجميع أولاده من الأشراف في قومهم . كان الجارود شريفاً سيداً من سادات عبد قيس، وهو على النصرانية قبل الإسلام، وعند

مقدم الرسول ﷺ أسلم الجارود وحسن إسلامه وكان له صحبة غير مغموص عليه . فشارك في وقائع الجهاد ونشر الدين الحنيف في البحرين، وثبت مع قومه، وقاتل في "يوم سُهْرَك" بأرض فارس، فاستشهد غازياً في موقعة "عقبة الطين" سنت ٢٠هـ، ويقال لها "عقبة الجارود" وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

### ٣ – النعمان بن العجلان بن النعمان[٣٩] :

ويعرف بالزرقي الأنصاري، من بني الخزرج، له صحبة فقد أدرك الرسول ﷺ، واستعمله الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البحرين . وكان من الشعراء الذين سجلوا بعض دقائق الأحداث .

### ٤ – قدامة بن مظعون[٤٠] :

ابن حبيب القُرشي الجمحي، يكنى بأبي عمرو، أحد السابقين الأولين في الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وله صحبة . استعمله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين، ثم عزله وولى عثمان بن أبي العاص . وكانت وفاته سنة ٣٦هـ في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

### ٥ – عياش بن أبي ثور[٤١] :

له صحبة، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ولاه البحرين قبل تولية قدامة بن مظعون .

### ٦ – الربيع بن زياد الحارثي[٤٢] :

أبو عبد الرحمن، من بني قضاعة من اليمن . له صحبة، وذكر أنه من التابعين . استخلفه أبو موسى الأشعري سنة ١٧هـ في البحرين على قتال أهل "مناذر"، فافتتحها عنوة، واستشهد فيها يومئذ أخوه المهاجر بن زياد . ووفد الربيع على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسأله عن عُمره، فقال : خمس وأربعون سنة . وفي سنة ٢٩هـ ولاه عبد الله بن عامر "سجستان"، ففتحت على يديه . ولما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، ولّى الربيع "سجستان" سنة ٤٦هـ، فأظهره الله على الترك، فالتقى مع "كابل شاه" في

جمع من الترك وغيرهم في منطقة "بست"، فهزمهم الربيع ثم جمع له معاوية الكوفة والبصرة، ثم عزله وبعث به إلى خراسان فغزا "بلخ".

### ٧ – عبد الله بن سوّار العبدي[٤٣] :

كان على البحرين في سنة ٣٥هـ، ولم يزل بها حتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ. وفي سنة ٤٧هـ اجتمعت التُرك لقتال المسلمين، فالتقاهم عبد الله ببلاد القيقان، فاستشهد في هذه الوقعة.

### ٨ – عثمان بن أبي العاص[٤٤] :

أبو عبد الله الثقفي، له رواية في الحديث. استعمله النبي ﷺ على "الطائف"، وأقره الخليفة الصدِّيق ﷺ، ثم الخليفة عمر ﷺ، وبعدها استعمله الخليفة عمر ﷺ على عُمان والبحرين سنة ١٥هـ. وكان قد منع ثقيف من الردة وقال لهم: "يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أول الناس ردة". وفي سنة ٢١هـ سار عثمان بن أبي العاص إلى مدينة "توّج" ففتحها ومصّرها وقتل ملكها "شهرك". وفي سنة ٢٣هـ عندما استشهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان ابن أبي العاص على البحرين وما والاها. وفي سنة ٢٦هـ فتحت "سابور" على يديه، وصالحهم على ثلاثة آلاف درهم، وثلاثمائة ألف درهم. وفي سنة ٢٧هـ كان عثمان بن أبي العاص يغزو ويشتو، وعلى يديه كان فتح "اصطخر" الثانية، وقيل كانت على يدي عبد الله بن عامر. وفي سنة ٢٩هـ كان الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قد عزل بن أبي العاص عن بلاد فارس. فعاش مجاهداً، واستقر في البصرة حتى توفي بها في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠ أو ٥١هـ.

### ٩ – أبو هريرة الدوسي[٤٥] :

عبد الرحمن بن صخر، الصحابي الجليل ﷺ، وراوية الحديث الشريف، ومن أئمة الحفظ والإتقان، متقن ثقة أشاد أكثر العلماء بسعة علمه وطول باعه في الحديث النبوي. ولاّه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الأحداث والصلاة في البحرين، وفي سنة ٢١هـ كان على البحرين والياً، ثم عزل عنها، ورفض العودة إلى الولاية، وكان أكثر ما ينزل في دار الخلافة، إلى أن توفي سنة ٥٨هـ.

١٠ - عُبَيد الله بن العباس بن عبد المطلب[٤٦] :

أبو محمد الهاشمي، رأى النبي ﷺ ، وسمع منه وحفظ عنه . عرف بالجود والسخاء وكان يطعم الناس ويذبح لهم بمكة واستعمله الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البحرين وما والاها من الأماكن، وعلى اليمن ومخاليفها . وحج بالناس سنة ٣٦هـ، وسنة ٣٧هـ، وسنة ٣٨هـ أما وفاته فكانت في سنة ٥٨هـ .

١١ - المنذر بن الجارود[٤٧] :

ابن المعلى، من بني قيس . كان والده قد ثبت وقومه على الإسلام عند الارتداد، وعرف مع أخوته بأنهم من السادة الأجواد . ولّاه الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه "اصطخر" فلم يأته أحد إلا وصله، ثم ولّاه عبيد الله بن زياد "ثغر الهند" فمات هناك سنة٦١هـ .

١٢ - عمر بن أبي سلمة[٤٨] :

أبو حفص المخزومي، ربيب رسول الله ﷺ، وحفظ عنه، وروى الأحاديث . وأمه أم سلمة المخزومية أم المؤمنين رضي الله عنها . ولد سنة ٢هـ بأرض الحبشة، وشهد مع الخليفة علي رضي الله عنه موقعة "الجمل" واستعمله على البحرين وفارس . كانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٣هـ .

## أشهر مدن البحرين في عهد الخلافة الراشدية

اشتهرت البحرين بمدن ومواضع كثيرة تاريخياً، ومنها ما هو معروف في فترات متقدمة سابقة للإسلام، ومنها مدن استمرت على نشاطها عند مجيء الرسالة الإسلامية، وتطورت هذه المدن تبعاً للنشاط الحضاري الذي شهدته البحرين في جميع مجالات الحياة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وكانت هذه المدن قد بلغت مرحلة متقدمة نتيجة لما كانت تعيشه من أحداث تاريخية أو بسبب طبيعة أرضها الزراعية ومواضعها كأسواق تجارية، ومواطن لنزول القبائل وبطونها في أرضها . ومن أشهر هذه المدن :

### ١ - جواثا[٤٩] :

من المدن المهمة التي شهدت أحداثاً تاريخية وسياسية كثيرة، وهي حصن لعبد القيس بالبحرين . فتحها العلاء بن الحضرمي عنوة سنة ١٢هـ في عهد خلافة أبي بكر الصديق ﷺ . وبقي أهلها على الإسلام ولم يرتدوا بعد وفاة النبي ﷺ .

### ٢ - الزارة[٥٠] :

وعرفت بـ "عين زارة"، وهي موضع قرية كبيرة بالبحرين، فتحت سنة ١٢هـ في عهد خلافة أبي بكر الصديق ﷺ .

### ٣ - دارين[٥١] :

من قرى البحرين الكبيرة، وكانت من المواضع التي دار فيها القتال عندما فرّ المنهزمون الذين لاحقهم العلاء بن الحضرمي . فشهدت أرضها أحداثاً جساماً أثناء الارتداد، وكان فتحها سنة ١٢هـ في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ . ولها أهمية تجارية أيضاً حيث اشتهرت بالمسك الذي يجلب إليها من الهند، فنسب إليها باسم "المسك الداري" .

### ٤ - يبرين[٥٢] :

من أرض البحرين، وهي بأعلى بلاد بني سعد شرقي اليمامة، وعلى محجة عُمان، ولها طريق إلى اليمامة وإلى البحرين، وسكانها من بطون العرب . وفيها رمال كثيرة، وحصون، وعيون جارية وغير جارية، ونخل كثير . قال أبو زياد الكلابي :

أراك إلى كثبان يبرينَ صبّةً وهذا لعمري لو قنعت كثيبُ

### ٥ - هَجَر[٥٣] :

مدينة كبيرة، وقاعدة البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هَجَر . وقد سميت "عين هَجَر" بهذا الاسم نسبة إلى هجر بنت المكفف، وزوجها محلم بن عبد الله صاحب "نهر محلم" بالبحرين، ويقال "عين محلم" . فتحت في أيام حياة الرسول الكريم ﷺ في

سنة ٨هـ، وقيل في سنة ١٠هـ على يد العلاء بن الحضرمي . وهي من أسواق العرب القديمة في البحرين، وفيها يقول امرؤ القيس من شعراء العرب قبل الإسلام[٥٤] :

ذكرت بهجر وادي أمِّ جَهْمٍ      فجنَّ لذِكرِ واديها فؤادي

٦ - سابون[٥٥] :

من أعمال البحرين التي شهدت بعض الأحداث التاريخية، وكان فتحها عنوة في عهد خلافة أبي بكر الصديق ﷺ في سنة ١٢هـ، وقيل تم فتحها تماماً في أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ .

٧ - الخطّ[٥٦] :

وهي خط عبد القيس، ومن قراها القطيف والعُقير، وجميعها في سيف البحرين وعُمان . والخط كثيرة النخل، وتنسب إليها الرماح الخطية المشهورة والتي ذكرت كثيراً في أشعار العرب منذ حقبة ما قبل الإسلام كما في شعر الأعشى[٥٧] :

فإن تمنعوا منّا المُشقّر والصَّفا      فإنا وجدنا الخطَّ جماً نخيلها

وفي الحقبة الإسلامية يقول حسان بن ثابت[٥٨] :

نضعُ الخَطّيَّ في أكتافِكم      حيث نهوى عَللاً بعد نَهَلْ

٨ - المشَقَّر[٥٩] :

من المواضع المشهورة في البحرين، ومن الحصون الكبيرة التي عرفت منذ القديم، وكان لعبد القيس، وفيها نخيل كثير وماء وافر . يقول زيد بن المفرغ[٦٠] :

تركت قريشاً أن أجاور فيهم      وجاورت عبد القيس أهل المُشقَّرِ

ويفتخر عامر بن الطفيل في أيام قومه وفروسيته يوم المشقر فيقول[٦١] :

إن تسألي الخيل عنا في مواقعها      يوم المشقر والأبطالُ في زَعَجِ

تُخْبِرْكِ أنّي أعيدُ الكرّ بينهمُ      إذا القَنَا حُطِمَتْ في يومِ مُعْتَلَجِ

٩ - أوال[٦٢] :

من جزر البحرين التي عرفت تاريخياً، ويحيط بها البحر، واشتهرت بنخلها الكثير، وليمونها الوفير، وبساتينها الغناء الجميلة . وقد ذكرت في أشعار العرب قبل الإسلام، كما في شعر عمرو بن قميئة(٦٣) :

هل ترى عيرها تجيزُ سراعاً    كالعدوليِّ رائحاً من أوالِ

يا ابنة الخيرِ إنما نحنُ رهنٌ    لصروف الأيامِ بعد الليالي

وهناك مواضع كثيرة لمدن لها شأن في تاريخ البحرين، واستقرت فيها القبائل العربية، كما هو في مدينة "جَبَلَة" وهي منازل لبني عامر بن عبد القيس(٦٤)، و"أوارة" بني تميم(٦٥)، و "القُلَيعة" لعبد القيس(٦٦)، ومدينة "القطيف" لعبد القيس أيضاً، وهي موضع للنخيل الكثير(٦٧)، ومدينة "عاقل" من أسواق العرب ومنازل لبني باهلة(٦٨)، ومواضع "السنام" و "الرقيم" لبني تميم(٦٩)، و "الستار" الغنية بالنخيل وهي من منازل بني تميم(٧٠)، ومدينة "السباج" المشهورة بالنخيل والزروع وهي منازل بني عامر(٧١) .

إن الحديث عن البحرين حضارة وتاريخاً يتطلب مزيداً من البحث، فهي من الأمصار العربية الإسلامية التي شهدت أرضها الأحداث الكثيرة، واستقر على أرضها جماعات متنوعة في انتسابها إلى القبائل العربية، التي كان لها الأثر البارز في تتويج مسيرة البحرين عبر التاريخ، فبرز من أعلامها أفذاذ ، وأقيمت على أرضها المدن التي بقيت آثار معالمها منذ حقب زمنية قديمة شاخصة، كما بقيت أطلال بعضها قائمة، واستمر نشاط البعض منها إلى يومنا هذا، فهو تاريخ مشرق ينضوي في سجل تاريخ الأمة العربية عبر الزمن .

د. مزاحم علي عشيش البعاج

عمّان - الأردن

# هوامش البحث ومصادره


١ – ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، كتاب الاشتقاق، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ج ٢٣٢/١ – قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ)، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق : د. محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨١م) ص٢٧٨ .

٢ – ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠هـ) كتاب الطبقات الكبرى، طبعة دار صادر (بيروت، دون تاريخ) ج ٥٥٧/٥ .

٣ – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٤ (القاهرة، ١٩٧٧ – ١٩٧٩م) ج ٣٠٢/٣، ٣٠٣ – أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ) كتاب الأغاني، طبعة مؤسسة جمال للنشر (بيروت، ١٩٦٣م) ج ٢٥٦/١٥ .

٤ – ابن سعد، الطبقات ج ٣٦٠/٤ .

٥ – البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة، ١٩٥٦م) ص٩٥، ص٩٨ – قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٧٨ – القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت، ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج ٣٦٢/٦ .

٦ – البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٥، ص٩٨ – القاسم بن سلام، أبو عبيد الأزدي (ت، ٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، تحقيق : عبد الأمير مهنا، دار الحداثة للطباعة، (بيروت، ١٩٨٨م) ص٢٠٨ – قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٧٨ .

٧ – البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٥ – ٩٨ .

٨ - البلاذري، الفتوح، ص٩٧ .

٩ - البلاذري، الفتوح، ص٩٧، ص٩٨ .

١٠ - البلاذري، الفتوح، ص٩٨ - قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٧٨ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، طبعة دار التراث (بيروت، دون تاريخ) ص٢٣٩ .

١١ - البلاذري، الفتوح، ص٩٦ - قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٧٨ .

١٢ - البلاذري، الفتوح، ص٩٧ - قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٧٨ .

١٣ - الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢٧٥/٣ .

١٤ - الطبري، التاريخ، ج ٣٠١/٣ - ابن الأعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت، ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) مجلد ٤٠/١ .

١٥ - الطبري، التاريخ ج ٣٠٣/٣ .

١٦ - البلاذري، الفتوح، ص١٠١، ١٠٢ - الطبري، التاريخ ج ٣٠٢/٣ - قدامة، الخراج، ص٢٧٩ - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (ت، ٦٣٠هـ)، كتاب الكامل في التاريخ، طبعة دار الفكر (بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ج ٢٤٩/٢ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن أبي حفص القرشي (ت، ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت، دون تاريخ) ج ٣٢٧/٦، ٣٢٨ .

١٧ - الطبري، التاريخ ج ٤٢٧/٣ - ابن الأثير، الكامل ج ٢٣٤/٢ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت، ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط ١ (مصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ص٧٦ .

١٨ - الطبري، التاريخ، ج ٢٤٩/٣ - ابن كثير، البداية، ج ٦/ ٣٢٨ .

١٩ - ابن الأعثم، الفتوح، مجلد ٤٢/١ .

٢٠ - ابن كثير، البداية، ج ٨٤/٧ .

٢١ - ابن دريد، الاشتقاق، ج ٥٣٠/٢ .

٢٢ – ابن كثير، البداية، ج ٣٢٩/٦ .

٢٣ – ابن الأعثم، الفتوح، مجلد٤٦/١ .

٢٤ – خليفة بن خياط العصفري (ت، ٢٤٠هـ)، التاريخ، تحقيق : أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، ط ١ (النجف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م) ج ٩٤/١ – اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت، ٢٨٤هـ) كتاب التاريخ، تعليق : محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، ط ٤ (النجف، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ج ١٢٣/٢ – قدامة، الخراج، ص٢٧٨ .

٢٥ – خليفة، التاريخ ج ٩٣/١ – قدامة، الخراج، ص٢٨٠ .

٢٦ – خليفة، التاريخ، ج ٩٤/١ – البلاذري، الفتوح، ص١٠٤ – قدامة، الخراج، ص٢٨٠ .

٢٧ – ابن الأثير، الكامل، ج ٣٧٦/٢، ٣٧٧ – ابن كثير، البداية، ج ٨٤/٧ .

٢٨ – الطبري، التاريخ، ج ٣٠٤/٣ – ابن الأعثم، الفتوح، مجلد ٤٢/١ وما بعدها – الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٥٦/١٥، ٢٥٧ – ابن الأثير، الكامل، ج ٢٤٩/٢ – ابن كثير، البداية، ج ٣٢٧/٦ – ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت، ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر"، دار الكتاب اللبناني (بيروت، دون تاريخ) ج ٨٨١/٤ .

٢٩ – ابن كثير، البداية، ج ٨٣/٧، ٨٤ .

٣٠ – البلاذري، الفتوح، ص١٠٣ .

٣١ – خليفة، التاريخ، ج ٨٣/١ – قدامة، الخراج، ص٢٧٩ .

٣٢ – البلاذري، الفتوح، ص١٠٠ .

٣٣ – اليعقوبي، التاريخ، ج ١٥٨/٢ .

٢٤ – اليعقوبي، التاريخ، ج ١٩٠/٢ .

٣٥ – اليعقوبي، التاريخ، ج ١٨٨/٢ .

٣٦ – ينظر : ابن سعد، الطبقات، ج ٣٦٠/٤ وما بعدها – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ) كتاب المعارف، دار الكتب العلمية، ط ١(بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص١٦١ – خليفة، التاريخ، ج ٦٢/١، ج ١٢٨/١ – ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان

البستي، (ت، ٣٥٤هـ)، تاريخ الصحابة، الذين روى عنهم الأخبار، تحقيق : بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص١٤٨ – أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، (ت، ٤٣٠هـ) حلية الأولياء وطبقات الفقهاء، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ج ١/ ٧، ٨ – ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النميري القرطبي، (ت، ٤٦٣هـ) كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب، "طبع على هامش كتاب الإصابة لابن حجر" دار الفكر للطباعة (بيروت، دون تاريخ) ج ١٤٦/٣ –ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي (ت، ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، دار الكتب العلمية (بيروت، دون تاريخ) ج ٣٢/١ – ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ) كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر للطباعة (بيروت، دون تاريخ) ج ٤٩٨/٢ .

٣٧ – ابن سعد، الطبقات، ج ٣٦١/٤ .

٣٨ – ابن سعد، الطبقات، ج ٥٥٩/٥، ٥٦١ – ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص٦١، ٦٢ – ابن حجر، الإصابة، ج ٢١٦/١ – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٤٧ – ابن العماد، كتاب الشذرات، ج ٢٠/١ .

٣٩ – ابن سعد، الطبقات ج ٥٤٩/٣ – خليفة، التاريخ، ج ١٨٤/١ – ابن دريد، الاشتقاق، ج ٤٦١/٢ – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٥٤٩/٣ – ابن حجر، الإصابة، ج ٥٦٢/٣ .

٤٠ – ابن سعد، الطبقات، ج ٥٤٩/٣ – خليفة، كتاب الطبقات، تحقيق : سهيل زكار، مطابع وزارة السياحة (دمشق، ١٩٦٦م) ص٢٥ – تاريخ خليفة، ج ١٢٨/١ – البلاذري، الفتوح، ص١٠٠ – ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص٢٤١ – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣،٢٥٨ – ابن حجر، الإصابة، ج ٢٢٨/٣، ٢٢٩ .

٤١ – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١٢٣/٣ – ابن حجر، الإصابة، ج ٤٦/٣ .

٤٢ – خليفة، الطبقات، ص٢٢٠ – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٥١٦/١، ٥١٧ – الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت، ٧٤٨هـ)، العِبَرفي خَبَر مَنْ غَبَر، تحقيق : محمد سعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية ( بيروت، دون تاريخ) ج ٣٨/١ – ابن حجر، الإصابة، ج ٥٠٤/١ – ابن العماد، الشذرات، ج ٥٥/١ .

٤٣ - خليفة، التاريخ، ج ١٥٩/١ - الذهبي، العبَر، ج ٣٨/١ .

٤٤ - خليفة، التاريخ، ج ١٢٨/١ - الطبقات، ص١٨٢ - ابن قتيبة، المعارف، ص١٥٣ - الطبري، التاريخ، ج ٢٤١/٤ - ابن دريد، الاشتقاق، ج ٣٠٢/٢، ج ٥٣٠/٢ - ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص١٧٢ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٩١/٣، ٩٢ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤٠/٣ - الذهبي، العبر، ج ٢١/١، ٢٢ - ابن حجر، الإصابة، ج ٤٦٠/٢ - ابن العماد، الشذرات، ج ٩١/٣، ٩٢ .

٤٥ - ابن سعد، الطبقات، ج ٣٦٢/٢ - يحيى بن معين، أبو زكريا الغطفاني (ت، ٢٣٣هـ) كتاب التاريخ، تحقيق : د. أحمد محمد نور، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ط ١ (القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م) ج ٢ ٧٢٨ - خليفة، التاريخ ج ٢٥٢/٢ - البلاذري، الفتوح، ص١٠٠ - ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص١٨١ - أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٣٧٦/١ - ابن الأثير، الكامل ج ١٠/٣، ج ٢٥٩/٣ - الذهبي، تذكرة الحفاظ، طبعة دار إحياء التراث العربي (بيروت، دون تاريخ)، ج ١٣٦ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (مع مجموعة من الباحثين) مؤسسة الرسالة، ط ١ (بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ج ٢٧٨/٢ - ابن كثير، البداية، ج ١٠٣/٨ - ابن حجر، الإصابة، ج ٢٠٢/٤ .

٤٦ - الطبري، التاريخ، ج ١٥٥/٥ - ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص١٦٥ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤٢٩/٢ وما بعدها - ابن حجر، الإصابة، ج ٤٣٧/٢، ٤٣٨ - ابن العماد، الشذرات، ج ٦٤/١ .

٤٧ - ابن سعد، الطبقات، ج ٥/ ٥٦١ .

٤٨ - خليفة، التاريخ، ج ١٨٤/١ - ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص١٧٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤٧٤/٢، ٤٧٥ - ابن حجر، الإصابة، ج ٥١٩/٢ .

٤٩ - الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت، ٣٣٤هـ) صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الأكوع، مطبعة دار الحرية (بغداد، ١٩٨٩م) ص٢٩٤ - ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت، ٦٢٦هـ) معجم البلدان، دار إحيا، التراث العربي (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ج ٢ ١٧٤ .

٥٠ - ياقوت، المعجم ج ١٢٦/٣ .

٥١ – ياقوت، المعجم، ج ٤٣٢/٢ – ابن الأثير، الكامل، ج ٢/ ٢٥٠، ٢٥١ – ابن كثير، البداية، ج ٦ ٣٢٩ .

٥٢ – قدامة، الخراج، ص١٨١ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥١، ٢٧٨ – ياقوت، المعجم، ج ٤٢٧/٥ .

٥٣ – قدامة، الخراج، ص١٨١ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٩٦ – ياقوت، المعجم، ج ٣٩٣/٥ .

٥٤ – امرؤ القيس، حندج بن حجر، ديوانه، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر، ١٩٥٨م) ص٢٨٩ .

٥٥ – قدامة، الخراج، ص١٨١ – ياقوت، المعجم، ج ١٦٨/٣ .

٥٦ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٩٥ – ياقوت، المعجم، ج ٣٧٨/٢ .

٥٧ – الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ديوانه، تحقيق : د. محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية (مصر، ١٩٥٠م) ص١٧٧ .

٥٨ – حسان بن ثابت، أبو عبد الرحمن الأنصاري (ت، ٥٠هـ) ديوانه، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة، (بغداد، ١٩٧٨م) ص٣٥٩ .

٥٩ – ابن دريد، الاشتقاق، ج ١٩٧/١ – الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٩٤ – ياقوت، المعجم، ج ٥/ ١٣٤، ١٣٥ .

٦٠ – يزيد بن المفرغ الجميري (ت، ٦٩هـ) ديوانه، تحقيق : د. عبد القدوس صالح، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ص١٣٥ .

٦١ – عامر بن الطفيل، ديوانه، تحقيق : كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت (بيروت، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ص٣٧ .

٦٢ – ياقوت، المعجم، ج ٢٧٤/١ .

٦٣ – عمرو بن قميئة، ديوانه، تحقيق : خليل إبراهيم العطية، مطبعة الجمهورية (بغداد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص٤٤، ٤٥ .

٦٤ – ياقوت، المعجم، ج ١٠٦/٢ .

٦٥ - ياقوت، المعجم، ج ١/٢٧٣ .

٦٦ - ياقوت، المعجم، ج ٤/٣٩٦ .

٦٧ - ياقوت، المعجم، ج ٤/٣٧٨ - قدامة، الخراج، ص١٨١ .

٦٨ - الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٩٦ .

٦٩ - الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٩، ص٢٩٣ .

٧٠ - الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٩ .

٧١ - الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٩ .

# قراءة جديدة لما قيل



# عن ردة أهل البحرين

بقلم الدكتور رجب محمد عبد الحليم

استقر في وجدان الناس وأفهامهم منذ زمن بعيد أن معظم العرب ارتدوا عن الإسلام عقب وفاة النبي ﷺ وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمحاربتهم فيما يعرف بحروب الردة حتى عادوا إلى إسلامهم من جديد . وبنى بعض المستشرقين وبعض الكتاب المحدثين على هذا التعميم فقالوا إن هؤلاء العرب المرتدين لابد وأنهم اعتنقوا الإسلام كرها، وأن قبولهم لهذا الدين الجديد كان "وليد اعتبارات سياسية ومساومات ناشئة عن ضغط القوة والعنف"[1]، وأن حركة الردة التي قاموا بها كانت حركة قومية عظيمة"[2]، ويفسرون هذه الحركة بأنها تدل على أن هؤلاء المرتدين كانوا مسلمين من حيث الشكل، وأن إسلامهم كان إسلاماً سطحياً لأنه جاء متأخراً قبيل وفاة النبي ﷺ في العام التاسع والعاشر للهجرة[3]، وأن هذا الإسلام أتى متابعة لزعمائهم طمعاً في مكسب مادي أو دفعاً لخطر محتمل، ولما رأى هؤلاء المرتدون أن هذا الإسلام يتناقض كثيراً مع كثير من مثل الجاهلية التي ألفوها، ويحرمهم من متع الحياة التي اعتادوا عليها وخاصة في الخمر والنساء والغناء، ارتدوا عن هذا الدين وقاموا في وجه أبي بكر وكادوا يقضون على حكومة الإسلام وعلى دولة الخلافة في المدينة المنورة وما يتبعها من بلاد[4] .

ولاشك أن طرح الموضوع على هذا النحو يجعله وكأنه قضية متكاملة البناء متسقة الأركان تشير إلى الأسباب وتدفع بالنتائج، وتقول في النهـاية أن العرب ارتدوا عن الإسلام . فهل ارتد العرب بعد أن أسلموا هكذا بإطلاق الكلام وتعميمه ؟ وإذا لم يكونوا قد ارتدوا كلهم، فما هو حجم هذه الردة ؟ وما هي حقيقة المرتدين ؟ وهل ما حدث فعلاً كان ردة عن الإسلام ؟ وإذا لم يكن كذلك، فماذا حدث ؟ وبم نصفه ؟ وما هي أسبابه ؟ وهل هي نفس الأسباب التي أذاعها البعض وجعلوها - كما رأينا - اتهامات ألصقوها بالإسلام سواء في طريقة انتشاره بالعنف كما قالوا، وألصقوها بالعرب في طبائعهم وعاداتهم، تلك الطبائع التي جعلوها لا تصبر على الحرمان عما تعودوا عليه من حياة المتعة واللذة، وهي الحياة التي دفعتهم - كما قالوا - للتخلي عن دينهم الجديد، وجعلتهم يكادون أن يقضوا على أول دولة جمعت قبائل الجزيرة العربية في كيان واحد ولأول مرة في التاريخ !، وأين البحرين وما حدث فيها من ذلك كله ؟

الواقع إننا إذا أردنا أن نجيب عن هذه التساؤلات ونتعرف على حقيقة ما حدث وخاصة في البحرين وبطريقة علمية، لابد وأن ننظر إليه في ضوء معيارين، أولهما هو مدلول كلمة الردة، وهل ما حدث يعبر عن هذا المدلول أم لا ؟ وثانيهما هو التعميم الذي وصف به المؤرخون القدامى هذا الحدث فقالوا إن العرب ارتدوا عن الإسلام عدا أهل مكة والمدينة والطائف[٥]، هكذا بإطلاق الكلام وتعميمه .

أما لفظ الردة فمعروف أنه وببساطة شديدة لا يعني إلا الارتداد عن دين الإسلام والعودة إلى الدين السابق أياً كان هذا الدين والإصرار على ذلك مهما كانت محاولات الاستتابة لمن فعل ذلك . تلك هي الردة الحقيقية التي تعني خروج الإنسان المرتد عن الملة الإسلامية بما يترتب على ذلك من مفارقة الزوجة المسلمة لزوجها المرتد، وخروج أولاده عن ولايته، وانعدام التوريث عند الوفاة، ودفنه في مقابر غير المسلمين[٦] .

وإذا كان هذا هو المعنى الحقيقي للردة، فهل ما حدث في بعض بلاد العرب والبحرين منها يعبر عن هذا المعنى ؟ الحقيقة أننا لم نسمع أن أناسا عادوا إلى الوثنية وخرجوا عن الملة الإسلامية، وحتى الذين تنبئوا - أي ادعوا النبوة - قالوا إنهم مسلمون وكان لهم مؤذنوهم ومقيمو شعائرهم، وكانوا وأتباعهم يصومون ويصلون[٧] لدرجة أن مسيلمة وصف أتباعه وأتباع سجاح بنت الحارث التميمية التي وفدت من العراق

وانضمت إليه بأنهم "معشر أبرار يقومون الليل ويصومون النهار"[٨] . وحتى لو امتنعوا عن الصلاة وعن دفع الزكاة امتناع كسل أو عصيان لله سبحانه وتعالى ولولاة الأمر – وهذا هو الذي حدث – ولم ينكروها كفريضة – وهذا لم يحدث – فإنهم لا يعتبرون مرتدين من هذه الناحية، وإنما مسلمون عصاة، والفرق هائل بين العصيان والردة عن الدين . ومعنى ذلك أنهم لم يخرجوا عن الملة ولم يعودوا إلى دينهم القديم[٩] .

وليس معنى ذلك أننا ننفي حدوث الردة عن الإسلام بشكل مطلق، فقد كانت هناك ردة مخرجة عن الملة، ولكن لم يفعلها إلا أقل القليل سواء كانوا من المتنبئين أم من أتباعهم، أما المتنبئون فلم يرتد منهم إلا واحد فقط هو طليحة بن خويلد الأسدي الذي ثبت أنه كان مسلماً فعلاً، وادعاؤه النبوة يعتبر ردة عن الإسلام، أما المتنبئون الآخرون مثل مسيلمة بن حبيب الحنفي، والأسود العنسي، وسجاح بنت الحارث التميمية فليسوا مرتدين لأنهم لم يكونوا مسلمين أصلاً، فلم يثبت إسلام مسيلمة والأسود العنسي، أما سجاح فقد كانت نصرانية وفدت مع أخوالها من بني تغلب من العراق لتقيم ملكاً لقومها من تميم في نجد[١٠] .

هذا عن المتنبئين باختصار، أما أتباعهم فلم يكونوا كلهم مرتدين . فقسم واحد منهم كانوا مرتدين فعلاً لأنهم اعتقدوا بنبوة زعمائهم الذين ادعوا النبوة والذين أشرنا إليهم، وكان هذا القسم قليلاً جداً في عدده . والقسم الثاني هم من تابعوا المتنبئين عصبية باعتبارهم شيوخ قبائلهم ولا يمكن أن يتخلوا عنهم، لكنهم لم يعتقدوا في صدق نبوتهم لدرجة أن مؤذن مسيلمة كان يقول في أذانه "وأشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله"[١١]، وصرح أحد أتباعه بكذبه حين قال له مواجهة : "أشهد أنك كذاب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"[١٢]، على اعتبار أن مسيلمة من بني حنيفة، وحنيفة من ربيعة، ومحمد ﷺ من قريش، وقريش من مضر . أما القسم الثالث فهم من تابعوا المتنبئين خوفاً وتقية، وهؤلاء أيضاً غير مرتدين . والقسم الرابع والأخير فهم من كانوا على الوثنية ولم يدخلوا الإسلام بعد، فهم من هذه الناحية غير مرتدين[١٣] . وهكذا ترى أن المرتدين فعلاً والخارجين عن الملة كانوا أقل من القليل .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا جاء التعميم على لسان بعض المؤرخين القدامى بأن العرب ارتدوا عن الإسلام عدا أهل مكة والمدينة والطائف ؟ الواقع أن هذا التعميم

الخاطئ علمياً يعود إلى أمرين : **الأمر الأول** هو ظهور من قاموا بهذا العمل في أكثر من قبيلة وفي أكثر من مكان، وهو أمر مردود عليه، ذلك إذا أحصينا عدد القبائل التي تابعت المتنبئين والعصاة والمتمردين فإننا لا نجدهم يزيدون عن اثنتي عشرةقبيلة، فهم قلة إذا ما قارناهم بعدد القبائل التي أرسلت وفودها لرسول الله ﷺ واعتنقت الإسلام وبقي معظمها على الطاعة للخلافة والتي يزيد عددها عن سبعين قبيلة، وحتى في داخل هذه القبائل القليلة العدد والتي قيل إنها ارتدت لم يكن كل أفرادها — وكما رأينا — مرتدين، فقليل منهم من استحق هذا الوصف، وما جعل بعض المؤرخين القدامى يقولون بالتعميم ويظنون أن المرتدين كثيرون هو أن حركاتهم قامت في أكثر من مكان، وفي أطراف ونواح عديدة، مما خيل للبعض منهم أنها ردة عامة وما هي كذلك، وما أتى به هؤلاء القوم لا يعتبر في جوهره أو في أكثره ردة عن الدين كما سبق القول وكما سنقول .

أما **الأمر الثاني** الذي أدى إلى القول بالتعميم عند بعض المؤرخين القدامى هو مفهوم لفظ الردة، وقد سبق أن أشرنا إلى دلالته الحقيقية التي تخرج الإنسان المسلم عن الملة وعلى ذلك فلابد أن هناك مفهوماً آخر للفظ الردة هو المسئول عن هذا التعميم وكان سائداً في ذلك الحين . فما هو هذا المفهوم ؟ وهل ينطبق على الأحداث التي قامت في بعض نواحي بلاد العرب ومنها البحرين بطبيعة الحال ؟ وهل يمكن تفسير هذه الأحداث في ضوء هذا المفهوم أم لا ؟ .

وللإجابة عن هذه التساؤلات نعود مرة أخرى للفظ الردة، فلفظ الردة اسم لغوي يفيد أن كل من انصرف عن أمر — أي أمر وليس أمر الدين وحده — كان مقبلاً عليه يقال ارتد عنه[١٤] .

والراجح أن هذا المعنى العام الواسع لمفهوم الردة هو الذي كان سائداً في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام حيث كان الناس يعيشون عصر النبوة والخلافة الراشدة، وهو عصر له طبيعته وصفاته الخاصة، فهو عصر المثالية، وهو عصر الإيمان واليقين والطاعة لله ورسوله ولخليفته من بعده، وهو عصر بناء الدولة الإسلامية الوليدة، وهو أمر يحتاج إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، ولذلك رأى المسلمون أن كل من خرج عن طاعة أبي بكر الصديق، أو تمرد على حكمه أو رفض خلافته أو شق وحدة المسلمين يعتبر مرتداً ويجب قتاله، فالقتال هنا على الطاعة وليس على الردة[١٥]، كما رأوا أن من امتنع عن إعطاء

صدقة ماله أو زكاة ماله لعمال الصدقات يعتبر مرتداً[١٦]، وكل من تخلف عن الخروج للجهاد يعتبر مرتداً[١٧]، وحتى من خرج عن المألوف في سلوكه أو تصرفه يعتبر مرتداً أو كافراً[١٨]، وكل من منع الحق عن صاحبه يمكن أن يؤدي به إلى الكفر أو الردة عن الدين[١٩].

وعلى ذلك فإن الكفر أو الردة التي أطلقت على بعض العرب سواء كانوا كثيري العدد أم قليلي العدد لا يحمل معنى الردة المخرجة عن الملة، لأنهم كما قلنا لم يبدلوا دينهم وهو الإسلام، ولم يعودوا إلى الوثنية لأنهم لو فعلوا ذلك لوجب قتالهم وقتلهم تأسيساً على حديث للرسول ﷺ يقول: "من بدل دينه فاقتلوه"[٢٠]، بعد أن يرفضوا الاستتابة والعودة إلى الإسلام، ولكن ما قاموا به يعد من قبيل ارتكاب المعاصي والمخالفات التي أخذت اسم الردة أو الكفر مجازاً. وقد ورد في الصحيحين أمثلة كثيرة تطلق الكفر مجازاً على من فعل معصية أو أمراً من هذه الأمور، فهو كفر أو ردة مجازية وليست حقيقية. وإطلاق لفظ الكفر أو الردة على من فعل معصية من هذه المعاصي كان لحكمة لا تخفى على أهل الفقه واللغة والمتخصصين، والحكمة هنا هي الزجر وبيان عظم وخطر أمر هذه المعصية أو المعاصي التي إن فعل الإنسان المسلم أياً منها يكون كالمرتد أو كالكافر حتى لا يفعلها[٢١].

وعلى ذلك فألفاظ الكفر والردة التي وردت على لسان المؤرخين والتي عبروا بها عما حدث من بعض العرب والأعراب في صدر خلافة الصديق لا تعني الكفر الأكبر أو الردة الحقيقية المخرجة عن الملة، وإنما تعني أمراً واحداً وهو أن هؤلاء الناس لم يخرجوا عن دين الإسلام، وإنما هم مسلمون عصاة أو متمردون أو منتقضون كما وصفهم الطبري في كثير مما كتبه[٢٢] وهم بذلك أهل بغي ويجب قتالهم حتى يعودوا إلى الطاعة ويفيئوا إلى الحق والرشد. ذلك لأنهم لم يتعودوا في عصر الجاهلية والتاريخ القديم كله أن يخضعوا لحاكم يجمعهم جميعاً في كل شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة، وما كانوا يعطون الطاعة للنبي ﷺ إلا لأنه نبي، أما أبو بكر الصديق فهو واحد منهم وفي رأي بعضهم أنه لا يزيد عن كونه شيخاً لقبيلة هي قريش فكيف تسودهم قريش؟ ولذلك تمردوا وافتتنوا لهذا السبب وغيره من الأسباب[٢٣]، وعبروا عن ذلك في أشكال متعددة، منها ادعاء النبوة، ومنها الامتناع عن دفع الزكاة لعمال الصدقات، ومنها طرد عمال الخليفة أبي

بكر وعزلهم عن أعمالهم، والتمرد المسلح والتهديد بالزحف على المدينة وغزوها، والاستيلاء على بعض المدن والسيطرة عليها، وعدم الاعتراف بأبي بكر كخليفة وعدم البيعة له، وتجديد الأحلاف القديمة لمواجهته، والاستعانة بالأجانب وخاصة الفرس ضد الخلافة(٢٤).

في ضوء ذلك وفي ضوء مفهوم الردة الأخير الذي أشرنا إليه، يمكن أن نقيس عليه ما حدث في البحرين ونفسره التفسير الصحيح السليم. وقبل أن نفعل ذلك نتساءل أولاً: ماذا حدث في البحرين؟ هل قام فيها أحد المتنبئين مثل مسيلمة بن حبيب الحنفي في اليمامة، أو طليحة بن خويلد الأسدي في نجد، أو الأسود العنسي في اليمن، أو سجاح بنت الحارث التميمية مع قومها من تميم في نجد؟ وهل أنكر أهل البحرين الزكاة كفريضة، أي كركن من أركان الإسلام؟ أو هل امتنعوا – مجرد امتناع – عن إخراجها ودفعها لعمال الصدقات الذين كان النبي ﷺ قد أرسلهم لجمعها وأخذها منهم؟ الواقع أن المصادر التاريخية لم تشر – مجرد إشارة – إلى أن شيئاً من ذلك قد حدث، فلم نسمع عن أي متنبئ ادعى النبوة هناك، ولم ينكر أحد من أهلها الزكاة كفريضة، ولم يمتنعوا عن إخراجها أو تسليمها لعمال الصدقات، لأن الذي كان يتسلمها وهو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الذي كان والياً على الخراج والجزية والصلاة في أواخر عهد النبي ﷺ وفي أواخر عهد المنذر بن ساوى العبدي حاكم البحرين وقتها، كان قد عاد إلى المدينة المنورة بمجرد أن سمع بانتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ورفض أن يكون والياً لأحد غيره(٢٥). وحتى لو فعلوا ذلك فإنهم حسب المفهوم الأخير لمعنى الردة يعتبرون غير مرتدين.

وإذا كان الأمر كذلك، فماذا حدث في البحرين؟ الذي حدث هو أن فريقاً من أهلها وهم بكر بن وائل أحدثوا حرباً ضد فريق آخر من أهلها وهم عبد القيس وتميم، وانضم للبكريين المجوس والزط(٢٦) والسيابجة(٢٧) وأهل الكتاب الذين امتنعوا عن دفع الجزية، كما وصل إليهم نجدة عسكرية من فارس تتمثل في سبعة آلاف جندي فارسي على رأسهم أحد العرب وهو المنذر بن النعمان بن المنذر، وهو من بقايا المناذرة الباقين على قيد الحياة بعد أن دمر الفرس مملكتهم أو ملكهم في الحيرة وأرادوا أن يستفيدوا بهم في هذا الصراع الذي نشب في البحرين لتحقيق أهدافهم في استعادة السيطرة على هذه البلاد

بعد أن حررها الإسلام من نفوذهم . وفي المقابل وصلت نجدة عسكرية لعبد القيس من المدينة المنورة تتمثل في جيش من المهاجرين والأنصار قاده العلاء بن الحضرمي والي البحرين السابق[٢٨] . ولسنا معنيين بالحديث تفصيلاً عن هذا الصراع العسكري الذي سود به المؤرخون القدامى بعض صفحاتهم، وإن كان سيأتي شيء منه أثناء تفسيرنا لهذا الصراع، وإنما معنيون بهذا التفسير والوقوف على أسبابه حتى نعرف حقيقة ما حدث، وهل ما حدث كان صراعاً بين مسلمين ومرتدين، أم أنه كان صراعاً لعوامل وأسباب أخرى .

وإذا نظرنا إلى هذا الصراع في ضوء ما ذكرناه عن مفهوم الردة الذي كان سائداً وقتها والذي كانت معانيه ومدلولاته لا تخرج من الإسلام معظم من أتوا أفعالاً وصفت خطأ بالردة المخرجة عن الملة، وإنما تجعل أصحاب هذه الأفعال عصاة متمردين لأسباب كثيرة[٢٩]، وإذا كانت البحرين أحد الأقاليم التي حدث فيها هذا الصراع أو هذه الفتنة أو هذا التمرد، فإن أهلها بالتالي لم يأتوا من الأفعال ما يمكن أن يعتبر ردة عن الدين بأي حال من الأحوال، ويمكن أن نفسر ما حدث بينهم من صراع على أنه كان صراعاً قبلياً على الرياسة والحكم في جانب منه، وصراعاً بين الإسلام والوثنية في جانب آخر، وصراعاً بين دولة الإسلام ودولة المجوس الفرس في جانب ثالث، وهذا أمر يحتاج إلى شيء كثير من التفصيل والتحليل .

## أولاً : الجانب الأول من تفسير الصراع الذي حدث في البحرين :

وهذا الجانب لا يمكن فهمه أو تفسيره إلا على ضوء فهمنا للوضع الديموغرافي في البحرين القديمة والتي كانت تشمل منطقة واسعة ممتدة من جنوب البصرة إلى عمان وتشمل جزراً في الخليج أهمها جزيرة أوال التي تعرف اليوم بالبحرين .

وهذا الوضع يقول إن البحرين على اتساعها ذاك كانت تنقسم بين ساحل وسهل تتركز فيهما الموانى والمدن والقرى، وبين داخل عميق صحراوي يمتد من البصرة شمالاً

إلى صحراء عمان جنوباً إلى صحراء الدهناء ونجد غرباً . وكان معظم سكانها يتركزون في الساحل والسهل – أي في المدن والقرى – نظراً لوفرة إمكانياته الاقتصادية من ماء وزراعة ومرعى، ولسهولة اتصاله بالعالم الخارجي حيث تتم عمليات التبادل التجاري، وهي عمليات كان الكسب من ورائها عظيماً ووفيرا . وكان معظم السكان في تلك البقاع – أقصد الساحل والسهل المتصل به – من قبيلة عبد القيس يخالطها بعض من قبائل تميم وبكر بن وائل وغيرهما . أما في صحاري البحرين الواسعة بالمعنى الذي أشرنا إليه فإن كثيرين من تميم وبكر بن وائل كانوا يعمرونها ويرتادونها من أدناها إلى أقصاها . ذلك لأن مواطن تميم أساساً في نجد وفي صحراء الدهناء التي تكون الحد الغربي للبحرين، وتمتد هذه المواطن إلى أطراف البحرين وإلى بعض دواخلها، وكانوا يرتادون مدنها مثل هجر وغيرها للميرة والتجارة، كما سكن بعضهم في هذه المدن . أما بكر بن وائل فقد كانت تخالط تميماً في صحراوات البحرين أو تقاسمها إياها وخاصة في الجزء الشمالي منها الممتد ناحية العراق جنوب البصرة وغربها وكذلك غرب الكوفة، وكان بعض منها يساكن عبد القيس في مناطق الريف والمدن التي تقع في سهول البحرين وعلى ساحلها وفي جزرها مثل جزيرة أوال التي تعرف اليوم بالبحرين وغيرها[٣٠] .

ومعنى ذلك أن عبد القيس كانت تسكن أهم أجزاء بلاد البحرين، وبمعنى آخر فإن هذه الأجزاء وهي الساحل والسهل والتي تشكل المنطقة الواسعة الأكثر عمراناً وسكاناً كانت لعبد القيس ومعها القليل من غيرها من القبائل، بمعنى أنها كانت تشكل غالبية سكان هذه المنطقة الهامة . فماذا عن موقف هذه الأغلبية مما قيل عن ردة عن الدين ؟ هل ارتدت عن الإسلام وعادت إلى الوثنية من جديد ؟

وللإجابة عن ذلك نعود إلى كتب التاريخ التي تقول إن عبد القيس بكافة بطونها وفروعها ثبتت على الإسلام، بمعنى أنها أعلنت طاعتها لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ولم ترفع راية التمرد والعصيان كما فعل غيرها من أهل البحرين وغيرهم، وذلك بفضل زعيمها الجارود بشر بن عمرو بن المعلى العبدي[٣١]، وحتى لو قيل بردتها وهو أمر لم يكن موجوداً فهل كان لعبد القيس أن ترتد وقد قال النبي ﷺ في مدحها والإشادة بها والدعاء لها ما قال ؟[٣٢] وهل يمكن لها أن ترتد وقد أسلمت طوعاً وأرسلت أكثر من وفد إلى الرسول ﷺ تعلن دخولها في الإسلام وتمسكها به والدعوة إليه ؟[٣٣] وهل يمكنها

أن ترتد وهي التي انفعلت بالإسلام انفعالاً قوياً منذ عهد رسول الله ﷺ حتى إن الصحابة منها كانــوا يعدون بالعشرات والتابعين وتابعي التابعين كانــوا بالمئات والآلاف ؟[٣٤] وهل كان يمكنها أن ترتد والنبي نفسه قد زار بلادها وتعرف عليها وعلى أهلها بنفسه عندما كان شاباً أثناء رحلاته للتجارة ؟[٣٥] وهل يمكن أن ترتد وقد خصها النبي ﷺ والبحرين بصفة عامة بأكثر من ١٥٪ من جملة رسائله إلى الملوك والحكام، وبأكثر من ٦,٢٪ من جملة رسائله إلى البلدان بصفة عامة ؟[٣٦] .

الحقيقة أن عبد القيس هي الصخرة التي تحطمت عليها ما وقع من بعض أهل البحرين حضراً وبدواً من تمرد وخروج على طاعة دولة الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة في عهد أبي بكر الصديق . وإذا كان هذا هو موقف عبد القيس وهم أغلبية سكان مناطق الحضر في البحرين فكيف يقال أن البحرين ارتدت ؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا وقع القتال بين عبد القيس وغيرها من سكان البحرين وخاصة بكر بن وائل ؟ .

الواقع أن القتال الذي حدث بين عبد القيس وبكر بن وائل والذي صور على أنه قتال بسبب ردة بكر بن وائل لم يكن لهذا السبب في حقيقة الأمر، وإنما كان صراعاً قبلياً بين هاتين القبيلتين على الزعامة والرياسة والحكم في البحرين وخاصة بعد وفاة المنذر بن ساوى ملك البحرين بعد وفاة النبي ﷺ بقليل .

ورغم أن عبد القيس وبكر بن وائل أبناء عمومة وأنهما من ربيعة[٣٧] إلا أن التنافس بينهما كان قديماً، وزاد من حدة هذا التنافس تحول لواء الزعامة في ربيعة من عبد القيس إلى بكر بن وائل قبيل ظهور الإسلام[٣٨]، وزاد عنفاً وعتواً ما حققته بكر بن وائل على فارس في موقعة ذي قار[٣٩] عام ٦١٠م، وهو العام الذي بدأ فيه نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ ودعوته إلى الإسلام . وكانت موقعة ذي قار بداية النهاية لتسلط الفرس على عرب العراق وعرب المنطقة الشرقية التي كانت تعرف قديماً باسم البحرين، هؤلاء العرب الذين أخذوا يشعرون بقوتهم وبقيمهم العربية الأصيلة التي تجعلهم لا يخضعون لأجنبي مهما كانت صولة هذا الأجنبي ومهما كانت قوته وهيمنته وجبروته .

سارعت عبد القيس إلى اعتناق الإسلام وأعلنت طاعتها للنبي ﷺ ثم لخليفته من بعده أبي بكر الصديق، فحازت قبول الخلافة ورضاها، ومن ثم ثارت النعرة القبلية عند

بكر بن وائل ورأت أن الأمر في البحرين سيئول إلى عبد القيس كما آل إليها من قبل وفي أحيان كثيرة في عصر الجاهلية[٤٠] .

ومعنى ذلك أن السيادة في البحرين سوف تكون لعبد القيس في عصر الإسلام كما كانت لها في فترات من عصر الجاهلية، وأن بكر بن وائل سوف تظل حبيسة الجبال والصحاري، وإنها لابد أن تنال نصيبها من حكم البحرين، وهو أمر لم تنله من قبل لا في جاهلية أو إسلام . ومن ثم رأت أن تنقل حكم البحرين إلى آل النعمان بن المنذر حكام الحيرة لأنهم أحق في نظرهم من عبد القيس ومن أبي بكر الصديق، ولأن ولاءهم في الجاهلية كان لهم أي للمناذرة، ولذلك لم يستأمن النعمان بعد أن خرج على طاعة كسرى وأحس منه الغدر أحداً على بناته وأهل بيته ودروعه وأمواله إلا شيخ بني شيبان هانئ بن مسعود أو حفيده هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود على اختلاف في الروايات، والشيبانيون بطن هام من بطون بكر بن وائل كما هو معروف . وخاض بنو شيبان وبقية قومهم من بكر بن وائل حرباً ضروساً ضد فارس كما سبق القول دفاعاً عن أسرة النعمان بن المنذر آخر ملوك الحيرة السابقين، ودفاعاً عن قيمة عربية أصيلة وهي حماية المستجير مهما كان شأن هذا المستجير سواء كان ملكاً أو أحد الرعايا العاديين . فالعلاقة إذن بين بكر بن وائل وبين النعمان وآله كانت على هذا النحو المتين، ومن ثم ليس غريباً أن يأتوا بابنه المنذر ويسيرون معه من شمالي البحرين إلى هجر عاصمتها ليجعلوه ملكاً على هذه البلاد[٤١]، ويجمعوا له بين مُلكها ومُلك الحيرة التي كان على ما يقال في إحدى الروايات ملكاً عليها لمدة ثمانية أشهر قبل أن تأتي به بكر بن وائل إلى البحرين[٤٢] .

وإذا كان حاكم البحرين قبل ظهور الإسلام وهو المنذر بن ساوى العبدي من تميم وهذا هو المشهور والذي تقول به بعض الروايات التاريخية[٤٣] فإننا نرجح في هذه الحالة أن بكر بن وائل كانت لا تريد أن يستمر الحكم في البحرين في تميم غداة وفاة هذا الملك عقب وفاة الرسول ﷺ بقليل، وحتى لا يكون حكمها لهذه البلاد قبيل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، وهو ما كانت تخشاه بكر بن وائل التي كانت زعامة ربيعة وكما أشرنا قد انتقلت إليها في ذلك الحين، وربما كانت هذه الخشية لسبب آخر وهو كثرة أعداد التميميين وسيطرتهم على بادية الدهناء التي تعتبر الحد الغربي لبلاد البحرين، وتناثرهم

في أنحاء كثيرة من صحراوات البحرين من البصرة وكاظمة شمالاً إلى يبرين وبينونه جنوباً[٤٤]، ولو استمر الحكم في تميم مع كثرة عددها لرجحت كفتهم على بكر بن وائل بشكل مطلق، خاصة وأن الحروب بينهما كانت متواترة في الجاهلية وأدت إلى سوء العلاقات بينهما في أحيان كثيرة[٤٥] مما يعتبر سبباً ثالثاً لتمرد بكر بن وائل وقيامها بما قامت به من استقدام المنذر بن النعمان بن المنذر لجعله ملكاً على البحرين، وحتى تحرم تميماً وعبد القيس من حكم هذه البلاد .

وحتى يتم ذلك وتنتصر بكر بن وائل في صراعها القبلي هذا كان لابد وأن تدفع برجالها وفرسانها إلى هجر وإلى سائر أنحاء البحرين لتبسط عليها نفوذها تحت راية هذا الملك الذي استقدموه ووضعوا التاج على رأسه ولقبوه بالغرور .

وعلى ذلك فما فعلته بكر بن وائل يعتبر صراعاً على الرياسة والشرف والزعامة بينها وبين عبد القيس الطامحة إلى حكم البحرين تحت راية الخلافة الإسلامية، أو بينها وبين تميم التي كان حكم البحرين في يدها عند ظهور الإسلام حسب بعض الروايات وهذا ما يفسر وقوف عبد القيس تحت راية الخلافة وتصديها لبكر بن وائل، ويفسر أيضاً اتخاذ تميم نفس الموقف خاصة بعد أن حسم خالد بن الوليد موقف بعض بطونها التي كانت قد رفعت لواء عصيان ظهر في شكل امتناع عن دفع الزكاة لعمال الصدقات أو انضمام إلى سجاح بنت الحارث التميمية المتنبئة[٤٦] .

ولذلك عندما وفد العلاء بن الحضرمي من المدينة المنورة بأمر الصديق أبي بكر لقتال هؤلاء المتمردين والعصاة من بكر بن وائل في البحرين والذين عرفوا خطأ بالمرتدين انضم إليه بعض من رؤساء تميم مثل قيس بن عاصم وكثير من التميميين، وذلك أثناء اجتياز العلاء لبلادهم في نجد والدهناء حتى إنهم شكلوا مثل جيشه الذي انطلق به لقتال بكر بن وائل في البحرين . ولما وصلوا إليها تكاتفوا مع إخوانهم من عبد القيس حتى أن كتب التاريخ تروي لنا أن الذي قتل زعيم المتمردين وهو الحطم بن ضبيعة البكري هو قيس بن عاصم التميمي الذي أشرنا إليه، وأن الذي أسر الملك الغرور المنذر بن النعمان بن المنذر كان من تميم أيضاً وهو عفيف بن المنذر الذي قطع ساق الحطم قبل أن يجهز عليه قيس بن عاصم[٤٧] .

وقد شجع تميماً على الانضمام إلى العلاء بن الحضرمي، ذلك الثأر الذي كان لهم عند الفرس وعند بكر بن وائل، وهو ثأر لم يكن قد سوي بعد ولم يبعد به العهد، وذلك عندما اعترض التميميون لعير كانت تحمل لطيمة أي تجارة لكسرى فارس أنو شروان واستولوا عليها، فأمر هذا الكسرى وبتحريض من هوذة بن علي الحنفي البكري صاحب اليمامة مرزبانه في هجر المكعبر فيروز بن جشيش بالانتقام منهم، فدعاهم إلى حصن المشقر القريب من هجر ليمتاروا حسب عادتهم، فقتل كثيراً منهم في هذا الحصن خديعة وغدراً في يوم يعرف باسم يوم الصفقة(٤٨) .

ومما يبين دور عبد القيس وتميم في القضاء على الحطم وأتباعه وجيشه المكون من بكر بن وائل ما يشير إليه ابن سعد من أن العلاء بن الحضرمي الذي قاد عبد القيس وتميماً في هذا القتال، كان قد وفد من المدينة المنورة في عدد قليل من الجند، ومعه كتاب من أبي بكر الصديق يستنفر فيه كل من مر بأرضه من المسلمين للانضمام إليه لقتال عدوهم من هؤلاء العصاة المتمردين(٤٩) . فهل كان في مكنة العلاء بن الحضرمي أن يقضي على تمرد الحطم وأتباعه وهو في هذا العدد القليل الذي خرج به من المدينة المنورة ؟ الواقع أن جيش العلاء صار ستة آلاف جندي وفارس بعد أن انضم إليه من تميم بطون عديدة مثل عمرو والأبناء والمقاعس والبطـون والرباب من بني سـعد أثناء اجتيازه لبلادها(٥٠) وبعد أن انضمت إليه عبد القيس ببطونها ورجالها الكثيري العدد بعد أن وصل إلى مواطنها وديارها في البحرين كما سبق القول .

هذا عن الجانب الأول الذي يفسر ما حدث في البحرين من تمرد وعصيان لدولة الخلافة الإسلامية في بدية عهد أبي بكر الصديق، وهو تمرد وعصيان وصف خطأ بالردة عن الإسلام وهو ليس كذلك على وجه اليقين، ويدل على أن ما حدث كان صراعاً قبلياً على الزعامة والرياسة بين عبد القيس التي كانت في طاعة الخلافة، وبكر بن وائل التي تمردت عليها لتحقيق هدفها في الزعامة والرياسة والسيطرة على أرض البحرين، ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين .

## ثانياً : الجانب الثاني من تفسير الصراع الذي اندلع في البحرين :

وهذا الجانب يفسر أيضاً ما حدث في البحرين من صراع بين بكر بن وائل من جهة وعبد القيس وتميم من جهة أخرى على أنه كان صراعاً بين الإسلام والكفر ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين . لكن ماذا نقصد بهذه العبارة ؟ ومن هو المسلم ومن هو الكافر الذي نقصده بهذه العبارة ؟ المسلم أو المسلمون هم عبد القيس وتميم، أما الكافر أو الكفار أو المشركون الذين كانوا على غير دين الإسلام فهم معظم البكريين لأنهم لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام بعد، ومعنى ذلك أن الصراع بين بكر بن وائل وعبد القيس كان صراعاً بين الإسلام والوثنية .

لكن كيف نقول أو نستدل على أن معظم البكريين كانوا لا يزالون على الوثنية غداة البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة، وغداة ظهور هذه الحركة في البحرين وغيرها من بلاد العرب ؟ ألم يرسل البكريون وفدهم إلى رسول الله ﷺ بالبيعة على الإسلام كما أرسل غيرهم من القبائل العربية الأخرى ؟ نعم أرسلوا وفداً واحداً مكوناً من حسان بن خوط الذهلي البكري، وبشير بن حسان بن الخصاصية، وعبد الله بن مرثد، ومرثد بن ظبيان البكري، وذلك بعد فتح مكة، وشهد مرثد غزوة حنين مع رسول الله ﷺ وكساه النبي ﷺ حلتين وأرسل معه رسالة مكتوبة إلى بكر بن وائل تقول لهم "أسلموا تسلموا"(٥١) . وقد أشار ابن سعد في طبقاته إلى وفدهم وسجل حضورهم ومقابلتهم للنبي ﷺ وسؤالهم الغريب – كما يقول – عن قس بن ساعدة الإيادي، وإجابة الرسول ﷺ لهم عن سؤالهم(٥٢) .

لكن هل كل قبيلة أرسلت وفدها إلى رسول الله ﷺ قد عمها الإسلام عن بكرة أبيها ؟ أحداث التاريخ ورواياته تقول أن بعض القبائل لم يعمها الإسلام، ففريق من رجالها أسلموا، وفريق آخر ظلوا على الوثنية وغيرها من الأديان وصالحوا المسلمين على دفع الجزية أو تمردوا وأعلنوا العصيان عقب وفاة النبي ﷺ وساروا وراء كل ناعق يناهض حكومة الإسلام في المدينة المنورة . حدث هذا الأمر في بني حنيفة باليمامة، فقد

مات ملكهم هوذة بن علي الحنفي على الوثنية ورفض الدخول في الإسلام اعتقادا منه أن النبي (ص) سيسلبه ملكه إن اتبعه"(٥٣) . ولما أقبل وفد بني حنيفة على النبي ﷺ عاد هذا الوفد دون أن يستقر الإسلام في قلوب أعضائه، فكيف بغيرهم من بني حنيفة ؟ يدلنا على ذلك ما ذكره الكلاعي عن رافع بن حديج أنه قال : "قدمت على النبي ﷺ وفود العرب، فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوباً ولا أحرى أن يكون الإسلام لم يقر في قلوبهم من بني حنيفة"(٥٤) ولاشك أن عدم إسلام هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة وعدم استقرار الإسلام في قلوب وفد بني حنيفة ليدل دلالة قوية على أن الإسلام لم ينتشر بين بني حنيفة جميعهم، ولذلك وجد مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب عندما قام بحركته ضد دولة الإسلام في المدينة أرضاً معبدة، وهو نفسه لم يسلم كما سبق القول .

وحدث هذا الأمر أيضاً في قبيلة مهرة في عمان في جنوب الجزيرة العربية . وكان وفد مهرة قد قدم إلى النبي ﷺ فيمن قدم من الوفود بعد فتح مكة وأسلم رجال هذا الوفد وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً وعادوا إلى بلادهم"(٥٥) . ولكن يبدو أن بني مهرة لم يسلموا جميعاً ولم يكن منتظراً أن يستقر الإسلام في هذه المنطقة النائية في الفترة القليلة الباقية من عمر الرسول ﷺ، ولذلك فإن عكرمة بن أبي جهل الذي كان أبو بكر الصديق قد أرسله ضمن من أرسل للقضاء على حركة التمرد التي قادها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي بعمان وبعد أن تم القضاء على هذه الحركة، اتجه عكرمة بجنده إلى مهرة فوجد القوم قد انقسموا إلى فريقين متحاربين أحدهما مسلم والآخر على غير دين الإسلام، وكل منهما يعادي الآخر ويطمع في السيادة عليه(٥٦) فهو إذن صراع بين الإسلام والوثنية، وأيضاً صراع على السيادة والزعامة .

نفس الشيء حدث في بكر بن وائل في بلاد البحرين وهم مقصدنا بهذا الحديث، إذ يشير البلاذري إلى أن العلاء بن الحضرمي عندما قدم إلى البحرين في المرة الأولى في عهد النبي ﷺ يدعو ملكها المنذر بن ساوى العبدي ويدعو أهلها إلى الإسلام استجاب لدعوته هذا الملك وعبد القيس جميعاً واعتنقوا الإسلام عن بكرة أبيهم، أما بكر بن وائل فقد أسلم بعضهم وبقي البعض الآخر على وثنيتهم "وصالحوا العلاء بن الحضرمي على أنصاف الحب والتمر"(٥٧) . ومعنى ذلك أن بكر بن وائل قد انقسمت إلى فريقين، فريق أسلم وفريق آخر ظل على الوثنية، أما الفريق المسلم فغداة انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق

الأعلى والبيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة ارتد هذا الفريق عن الإسلام وصارت الردة عامة في بكر بن وائل وحدها دون سواهم كما يقول الطبري[٥٨] . وهي ردة ننظر إليها في ضوء ما قلناه من أنها كانت تمرداً وعصياناً لحكومة أبي بكر في المدينة المنورة، وتسلطاً على عبد القيس تحول إلى قتال لهذه القبيلة التي كانت تحت طاعة هذه الحكومة وموالية لها، ودخل الفريقان في صراع قبلي على الرياسة والزعامة كما بيناه في التفسير الأول لهذا الصراع .

هذا عن الفريق المسلم من بكر بن وائل، أما عن الفريق الوثني فيها فهم بطبيعة الحال غير مرتدين لأنهم لم يكونوا مسلمين أصلاً فكيف يقال بردتهم ؟ ومن ثم فقد كان هؤلاء البكريون الوثنيون مهيئون أكثر من غيرهم للتمرد على حكومة الإسلام في المدينة المنورة ومقاومة أتباعها من عبد القيس وتميم في البحرين . وهناك من الإشارات ما يدل على أن هذا الفريق الوثني كان يشكل معظم البكريين، **أولاً** : لأن بطون بكر بن وائل التي كانت تعيش في صحراء البصرة وفي أطراف وشمالي بلاد البحرين لم تكن الدعوة إلى الإسلام قد وصلت إليها في هذه النواحي البعيدة أثناء حياة النبي ﷺ، فكان هؤلاء البكريون على الوثنية، وقد اختار منهم كسرى فارس ستمائة من أشرافهم أرسلهم مع سبعة آلاف جندي فارسي للانضمام إلى إخوانهم الآخرين من بكر بن وائل في داخل البحرين للزحف على هجر عاصمة البحرين وقتذاك لتنصيب المنذر بن النعمان بن المنذر ملكاً عليها[٥٩] .

**وثانياً** : كان البكريون الذين يعيشون داخل البحرين سواء كانوا في مدنها أو صحراواتها منقسمين إلى فريقين : فريق كان على الإسلام والفريق الآخر لم يعتنقوا الإسلام بعد كما سبق القول، ودليلنا على ذلك ما رواه البلاذري من أن العلاء بن الحضرمي كان يأتي إلى "الحائط (أي البستان أو الحديقة المثمرة) بين الأخوة (أي يملكه أخوة) قد أسلم بعضهم فيأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج"[٦٠] . ومعنى ذلك أن البيت الواحد من بيوت بكر بن وائل كان فيه المسلمون والكافرون .

يؤكد ذلك أيضاً ما رواه الطبري وابن الأثير من أن الحطم بن ضبيعة زعيم بكر بن وائل في التمرد على الخلافة وعبد القيس عندما ثار ضد الخلافة ومن أطاعها في البحرين "اتبعته – أي الحطم – بكر بن وائل ومن تأشب (أي اجتمع) إليه من غير المرتدين ممن

لم يزل كافراً أو من لم يزل مشركاً حتى نزل القطيف[٦١] وهجر، واستغوى الخط[٦٢] ومن فيها من الزط والسيابجة[٦٣] وبعث بعثاً إلى دارين[٦٤] وأرسل الغرور إلى جواثي[٦٥] وقال له : اثبت فإني إن ظفرت ملكتك البحرين حتى تكون كالنعمان في الحيرة[٦٦] .

**ثالثاً** : يحصر البلاذري عدد المرتدين من بكر بن وائل في رهط أو بطن واحد من بطونهم وهو بطن قيس بن ثعلبة فيقول "ارتد من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة"[٦٧] . ومعنى ذلك أن القسم المسلم من بكر بن وائل وهو الذي ارتد كان قليل العدد ولذلك فإن كافرهم كان يشكل غالبية هذه القبيلة .

**رابعاً** : يبدو أن هذا القسم المسلم من بكر بن وائل قد انقسم إلى مجموعتين : مجموعة ارتدت أو تمردت وهو ما أشرنا إليه ومجموعة ثبتت على الإسلام . وقد استفاد العلاء بن الحضرمي الذي وجهته الخلافة للقضاء على هذا التمرد من هؤلاء البكريين الثابتين على الإسلام في القضاء على المتمردين أو المرتدين من قومهم وغيرهم من غير المسلمين والذين كانوا قد هاموا على وجوههم راجعين إلى بلادهم بعد هزيمتهم على يد العلاء الذي أراد مطاردتهم ليس بنفسه أو بجنده، ولكنه كتب إلى من "أقام على إسلامه من بكر بن وائل فيهم، وأرسل إلى عتيبة بن النهاس، وإلى عامر بن الأسود بلزوم ما هم عليه والقعود لأهل الردة بكل سبيل، وأمر مسمعاً بمبادرتهم، وأرسل إلى خصفة التميمي والمثنى بن حارثة الشيباني — وشيبان من بكر بن وائل كما هو معروف — فأقاموا لأولئك بالطريق، فمنهم من أناب فقبلوا منه واشتملوا عليه، ومنهم من أبى ولج فمنع من الرجوع، فرجعوا عودهم على بدئهم حتى عبروا إلى دارين" . ولم يزل العلاء بن الحضرمي يجاهد المشركين حتى رجعت إليه الكتب من الذين كان قد راسلهم من بكر بن وائل كالمثنى بن حارثة الشيباني وغيره من الذين ثبتوا على طاعتهم وإسلامهم تفيد بأنهم قاموا بأمر الله وغضبوا لدينه، فتأكد العلاء أنه "لن يؤتى من خلفه بشيء يكرهه على أحد من أهل البحرين وندب الناس إلى دارين[٦٨]"، وصفى هذه البؤرة وأنهى هذه الحركة[٦٩] .

ولكن روح التمرد والعصيان أو شدة الصراع بين الإسلام والكفر ظلت مستشرية عند نفر آخر من البكريين الوثنيين، وخاصة هؤلاء الذين كانوا يقيمون في شمالي البحرين في

كاظمة وكذلك في منطقة البصرة وما يليها حتى الكوفة بأرض العراق . ولعل هؤلاء قد أرادوا الانتقام لما حل بإخوانهم الذين هزمهم العلاء بن الحضرمي وفروا أمامه إلى جزيرة دارين وطاردهم فيها وقتل منهم وسبى الكثير، فتجمع هذا النفر من بني شيبان البكريين مع بني ثعلبة البكريين من جديد، وانضم إليهم نفر من تغلب والنمر(٧٠)، وهؤلاء أصلاً من سكان العراق الذين لم يكونوا على الإسلام ولم تصل إليهم دعوته بعد . ويلاحظ أن منهم أيضاً من التف حول سجاح بنت الحارث التميمية المتنبئة التي زحفت من أرض الجزيرة بالعراق في أخوالها من بني تغلب ومعهم النمر وإياد وشيبان تريد غزو أبي بكر الصديق في المدينة(٧١) .

ومعنى قيام تجمع جديد بزعامة بعض بني شيبان البكريين الوثنيين لا يدل إلا على أن بكر بن وائل كانت تريد استمرار المواجهة مع الإسلام والمسلمين الذين كان يقودهم العلاء بن الحضرمي في شجاعة وثبات وصمود مدعوم من عبد القيس وتميم وغيرهم من أهل البحرين الذين كانوا على الطاعة للخلافة الإسلامية وأرادوا النصر لدينهم الذي دخلوه طوعاً واختياراً . وأرجف المرجفون وقتذاك في هجر بأن أصحاب هذا التجمع زاحفون جميعاً إلى البحرين وعلى رأسهم زعيمهم مفروق الشيباني(٧٢) . فالمثنى بن حارثة الشيباني يقاوم المتمردين المعروفين بالمرتدين في البحرين، ومفروق الشيباني يدعمهم ويحاول تجديد الصراع مع العلاء بن الحضرمي مرة أخرى، مما يدل على أن البطن الواحد من بكر بن وائل - ومثاله هنا بنو شيبان - كان منقسماً على نفسه، فمنهم من كان على الإسلام والطاعة للخلافة، ومنهم من كان على الكفر والوثنية وعدم الرضا بهذه الخلافة، ولذلك كان الصراع في الواقع صراعاً بين الإسلام والوثنية . وقد عبر عبد الله بن حذف وهو أحد البحرينيين الذين كانوا في جيش العلاء بن الحضرمي عن هذا المعنى حينما أرجف المرجفون في البحرين بزحف مفروق الشيباني على رأس أصحاب هذا التجمع القبلي الجديد، فقال شعراً يذم فيه بكر بن وائل كلها ويصفها بالكفر وأنها من أهل النار، وأن كثرة عددها لن ترهبهم، وأنها ستلقى نفس المصير الذي لاقته من قبل حينما كان زعيمها الحطم بن ضبيعة البكري . ولنستمع إلى هذا الشعر الذي يدل على هذه المعاني كلها في ثلاثة أبيات قالها هذا الرجل :(٧٣)

لا توعدونا بمفــــروق وأســــرته      إن يأتنا يلق فينا سنة الحطـــم

وإن ذا الحي من بكر وإن كثروا لأمـة داخـلون النـار في أمم
فالنخـل ظاهره خيـل وباطنه خيل تكدس بالفتيـان في النعم

والذي توقعه هذا التابعي البحريني حدث تماماً،فلم يكتب لهذا التجمع القبلي الجديد أي نجاح، بل إنه لم يظهر ولم يتحرك من مكانه، وما ذاك إلا أن قادته قد سمعوا – في الغالب – بأن قبائل أخرى في البحرين قد شدت من أزر العلاء بن الحضرمي بعد أن دخلت في طاعته وأجمعوا أمرهم على نصرته، وهؤلاء كانوا يعرفون باسم اللهازم، وكانوا يتكونون من عجل وتيم اللات وقيس وعنزة[٧٤] . كما أن هؤلاء القادة لاشك أنهم سمعوا أيضاً بأن أبا بكر الصديق قد أرسل إلى العلاء بعد أن سمع بخبر هذا التجمع الجديد يقول له : "إن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فابعث إليهم جندا وأوطئهم وشرد بهم من خلفهم"[٧٥] . كما أنهم كانوا يعلمون أن المثنى بن حارثة الشيباني ومن كان معه من قومه على الطاعة للعلاء والخلافة كان مترقباً ومستعداً لأي صدام جديد، ولذلك لم يجتمعوا ولم يزحفوا إلى العلاء، وفشلت محاولتهم قبل أن تبدأ[٧٦] . ومن ثم اطمأن العلاء بن الحضرمي تماماً إلى هدوء الأحوال واستتباب الأمن في بلاد البحرين، فبدأ بتسريح من كان قد انضم إليه من أهل الصحراء في نجد والدهناء مثل تميم، أو من اليمامة مثل حنيفة وعجل وغيرهم، فسمح لهم بالعودة إلى بلادهم إلا من أحب منهم المقام في البحرين[٧٧] .

يستفاد من ذلك كله أن غالبية بكر بن وائل لم تكن على الإسلام، فقسم منها وهم الذين أتوا من شمالي البحرين حتى نواحي البصرة والكوفة مع المنذر بن النعمان بن المنذر لم يكونوا على الإسلام كما سبق القول، وقسم ثان منها كان في وسط البحرين مع عبد القيس، وهؤلاء احتفظوا بدينهم القديم وصالحوا العلاء بن الحضرمي على اقتسام الحبوب والتمور كما سبق القول، وقسم ثالث منها كان مسلماً . غير أن جزءاً من هذا القسم المسلم تمرد وخرج على طاعة الخلافة وأقام الجزء الباقي من هذا القسم على الطاعة للخلافة وساعد العلاء بن الحضرمي في القضاء على تمرد الأقسام السالفة الذكر من البكريين الذين كانوا على غير دين الإسلام .

وعلى ذلك كيف يقال إن بكر بن وائل ارتدت عن الإسلام ومعظمها لم يعتنق الإسلام أصلاً ؟ وكذلك كان رجال الملك الذي أقبلت به ومعه وهو المنذر بن النعمان بن

المنذر الذي كان يلقب بالغرور فلم يكن على الإسلام قطعاً لأنه أتي من بلاط كسرى أو من الحيرة التي كان فيما يقال ملكاً عليها، ولم تكن دعوة الإسلام قد وصلت إلى الحيرة في حياة النبي ﷺ، يؤكد ذلك أنه بعد أن رزق هذا الملك بالهزيمة على يد العلاء بن الحضرمي اعتنق الإسلام في إحدى الروايات وبقي في هجر، وقال إنني المغرور ولست الغرور[٧٨]، أي أن الذين أتوا به غرُّوه وخدعوه[٧٩].

وهكذا نستطيع أن نقول في اطمئنان أن هذا الصراع الذي قادته وشاركت فيه غالبية بكر بن وائل، هذه الغالبية التي كانت على غير دين الإسلام كما رأينا، ما هو في الواقع إلا صراع بين الوثنية التي كانت تدين بها هذه القبيلة ومن لف لفيفها، وبين الإسلام الذي كان يرفع رايته العلاء بن الحضرمي تدعمه عبد القيس ومن لف لفيفها من تميم وأهل البحرين الآخرين من المسلمين. فهو إذن صراع بين الإسلام والوثنية وليس صراعاً بين مسلمين ومرتدين، وهذا هو التفسير الثاني لما حدث في البحرين وقيل خطأً إنه ردة عن الإسلام.

## ثالثاً : الجانب الثالث من تفسير الصراع الذي اندلع في البحرين :

رأينا فيما سبق أن الجانب الأول من تفسير هذا الصراع هو أنه كان صراعاً قبلياً على الرياسة والزعامة في البحرين، وأن الجانب الثاني هو أنه كان صراعاً بين الإسلام والوثنية، أما الجانب الثالث فهو أنه كان صراعاً بين دولة الإسلام من ناحية ودولة المجوس الفرس ومن كان يمثلها في البحرين من ناحية ثانية، ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين في يوم من الأيام.

وهذا الجانب الثالث من هذا التفسير يتمثل في صراع مسلح عبر ثلاث جولات كبرى : الجولة الأولى كانت عند حصن جواثا الذي يقع داخل البحرين جنوب هجر العاصمة، والجولة الثانية : كانت في مدينة الغابة والزارة على ساحل البحرين، والجولة الثالثة كانت في جزيرة دارين التي تعرف أيضاً باسم جزيرة تاروت.

ويلاحظ أن الجولة الأولى ضد دولة الخلافة الإسلامية ومن يمثلها في البحرين كانت بمساهمة وتدخل عسكري مباشر من دولة الفرس وليس من أتباعها فقط في البحرين،

فهؤلاء كان لهم دورهم في الجولتين الثانية والثالثة بعد أن فشل كسرى فارس في جولته الأولى التي كانت تمثل أعتى ما وصل إليه التدخل الفارسي للإبقاء على هيمنته ونفوذه في هذه البلاد .

وقد رأى كسرى فارس أن يحسم الأمر لصالحه بضربة عاتية يقوم بها جيش فارسي وافد من بلاد الفرس نفسها بالتعاون مع هؤلاء الذين سمع بتمردهم من بعض قبائل البحرين وهم بكر بن وائل على وجه التحديد . وكان هذا الكسرى قد سمع بقولهم "والله لنردن هذا المُلك – أي مُلك البحرين – إلى آل النعمان بن المنذر، وكانت علاقتهم به قوية كما رأينا – فإنهم أحق بهذا الأمر من ابن أبي قحافة" يقصدون أبا بكر الصديق الذي تولى الخلافة بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وهو الخليفة الذي يدين له غرماؤهم من عبد القيس وتميم البحرين بالطاعة . ولذلك انتهز كسرى فارس هذه الفرصة وهذا الانشقاق في الجبهة الداخلية في البحرين وبعث إلى وجوه بكر بن وائل فقدموا عليه وعنده يومئذ المخارق بن النعمان، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر الملقب الغرور، فقال لهم كسرى : "سيروا مع المنذر بن النعمان فإني قد ملّكته فخذوا البحرين" . فساروا وسارت معه الأساورة[٨٠]، وتحت إمرة المنذر هذا وإمرتهم سبعة آلاف جندي فارسي، وأرسل معهم كسرى فارس ستمائة من أشراف بكر بن وائل بخلاف ما كان ينتظرهم للانضمام إليهم من عامة بكر بن وائل وغيرهم[٨١] .

فهو إذن تدخل فارسي عسكري سافر، وعدوان على البحرين وأهلها، ومحاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين فيها . وقد تمكنت هذه الحملة الفارسية البكرية من السيطرة على كثير من أنحاء البحرين، وانهزمت عبد القيس وزعيمها الجارود بشر بن عمرو بن المعلى العبدي، وتحصنت في حصن يقال له جواثا جنوب هجر العاصمة، واستنجدوا بالصديق أبي بكر، فأرسل إليهم العلاء بن الحضرمي في ألفين من المهاجرين والأنصار، وانضم إليهم ثمامة بن أثال الحنفي في نفر من حنيفة أهل اليمامة، وقيس بن عاصم في جماعة كبيرة من تميم، ولحقته أيضاً سعد والرباب من تميم، وصار العلاء بن الحضرمي في نيف وستة آلاف من الجند، وتمكن من أخذ الفرس وأتباعهم من بكر بن وائل على غرة وهم سكارى في معسكر كانوا قد أقاموه قبالة حصن جواثا، وهزمهم وقتل الكثيرين منهم، وأسر الملك الغرور الذي سمى نفسه بعد ذلك بالمغرور وقتله العلاء، كما

قتل الحطم بن ضبيعة البكري زعيم المتمردين من بكر بن وائل في البحرين على يد التميميين، وأصبح هذا الجمع الفارسي البكري بين قتيل وجريح وأسير وفار ناحية الساحل إلى الزارة والغابة وجزيرة دارين، وهرب بعض الجند من الفرس إلى كسرى فارس وأخبروه بهذه الهزيمة القاسية لجنده وحلفائهم، فاغتم غماً شديداً لأن أهدافه في السيطرة على بلاد البحرين وفي القضاء على دولة الإسلام لم تتحقق وانهارت بهزيمة جيشه وبالقضاء على تمرد بكر بن وائـل وعودتهم إلى طاعـة الدولـة الإسلامية من جديد[٨٢].

ولعل كثرة وتعدد القوى[٨٣] التي شاركت في هذه الجولة ضد العلاء بن الحضرمي وجيشه ومن معه من أهل البحرين الذين لم يخرجوا على طاعة الخلافة هو الذي دفع العلاء إلى مراسلة أبي بكر الصديق يستنجد به ويستمده، فكتب الصديق إلى خالد بن الوليد يأمره بالنهوض إلى العلاء بن الحضرمي من اليمامة وإنجاده، وكان قد انتهى من قمع تمرد أهل اليمامة وقتل زعيمهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب، وقدم خالد بن الوليد إلى البحرين وقابل العلاء بن الحضرمي الذي كان قد نجح في قتل الحطم بن ضبيعة البكري وهزم جيشه البكري الفارسي، فساعده خالد في حصار مدينة الخط، ثم أتاه كتاب أبي بكر الصديق بالشخوص إلى العراق، فزحف إليه بجيش من البحرين وذلك في عام ١٢هـ[٨٤]، هذا وإن كانت هناك رواية أخرى نرجحها تقول بأن خالد بن الوليد اتجه من اليمامة إلى المدينة المنورة ومنها إلى العراق، أو من اليمامة إلى العراق مباشرة[٨٥]، والترجيح هنا مبني على أن قائل هذه الرواية هو الواقدي وهو أقدم من البلاذري والطبري بحوالي قرن من الزمان . ومهما يكن من أمر، فقد نجح العلاء بن الحضرمي نجاحاً كبيراً في الجولة الأولى من الصراع بين دولة الخلافة وكسرى فارس .

أما الجولة الثانية من هذا الصراع فإنها تتعلق بالفرس المقيمين في البحرين والذين كانوا يمثلون كسرى فارس ويعملون بأمره فيها من قبل أن يظهر الإسلام، وكان على رأس هذا الوجود الفارسي في البحرين مرزبانان فارسيان، أحدهما في هجر العاصمة والثاني في مدينة الزارة الساحلية . فما هو موقفهما من هذا الصراع ؟ وهل حاولا تحقيق ما فشل فيه جند كسرى المرسلين من فارس نفسها في جولته الأولى التي تحدثنا عنها ؟

أما المرزبان الأول فيدعى أسيبخت، وكان مقيماً في هجر ومعه جماعة من قومه، وقد أسلم هذا المرزبان وبعض قومه من الفرس المقيمين في هذه المدينة . يفهم ذلك من الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ إليه والذي بدأه بعبارة "إلى أسيبخت عبد الله صاحب هجر"، يقول فيه النبي ﷺ أنه قبل شفاعته في قومه وأنه سماهم "بني عبد الله" وطلب منه النبي ﷺ أن يأمرهم بالصلاة وبأحسن العمل(٨٦) . ولعل هؤلاء الفرس الذين أسلموا هم الذين أشار إليهم البلاذري بأنهم كانوا ضمن جيش العلاء بن الحضرمي الذي قاتل به المتمردين المعروفين بالمرتدين في البحرين، فقد أشار إلى أنه قاتلهم قتالاً شديداً "بمن كان معه من العرب والعجم"(٨٧) .

ويفهم من كتب التاريخ أن هجر كانت عاصمة للبحرين وقتذاك، وأن حاكم البحرين المنذر بن ساوي العبدي كان يقيم فيها، وأنه وكما ذكرنا قد سارع إلى اعتناق الإسلام حينما وصلته الدعوة إليه على يد العلاء بن الحضرمي، وأرسل له النبي ﷺ كتباً ورسائل عديدة، كما أرسل رسالة إلى أسيبخت مرزبان هجر . فمن المرجح أن المنذر ابن ساوى كان له دور في إسلام هذا الرجل الفارسي وإسلام بعض أهله من الفرس الموجودين في هذه المدينة، أما البعض الآخر منهم فقد ظلوا على مجوسيتهم، يفهم ذلك من الكتاب الذي أرسله المنذر بن ساوى العبدي إلى النبي ﷺ يستفسر منه عما يفعله مع المجوس واليهود الموجودين في البحرين، ورد النبي ﷺ عليه في أكثر من رسالة أجاب فيها على المنذر وطلب منه أن يأخذ من المجوس واليهود والنصارى الجزية(٨٨) .

وإذا كان هؤلاء المجوس المذكورون في هذه الرسائل يشملون المجوس من أهل البحرين والمجوس الفرس المقيمين فيها أو المحتلين لها بمعنى أصح، فإن البلاذري يوضح موقف هؤلاء الفرس المحتلين من الإسلام ورفضهم للدخول فيه حينما يذكر بسنده أن "الرسول ﷺ بعث إلى وضائع كسرى بهجر فلم يسلموا، فوضع عليهم الجزية ديناراً على كل رجل منهم" وتم أخذها منهم(٨٩) . ومعنى ذلك أن معظم المجوس الفرس لم يدخلوا في الإسلام حسب هذه الرواية وغيرها من الروايات أو الرسائل المتبادلة بين النبي ﷺ والمنذر بن ساوى . ويبدو أنهم اتخذوا موقفاً مضاداً من الدعوة الإسلامية وأتوا من الأفعال التي استنكرها رسول الله ﷺ في رسالته إلى مرزبانهم أسيبخت الذي أشرنا إليه وإلى حاكم هجر والبحرين كلها المنذر بن ساوى العبدي . ويبدو أن هذين الحاكمين

نجحا في القضاء على هذه الحركة وتشفع المنذر كما تشفع أسيبخت فيهم، وقبل النبي ﷺ شفاعتهما وعفا عنهم[٩٠] .

لكن المجوس الذين عارضوا دعوة الإسلام واستمروا في تحديهم لدولة الإسلام عقب وفاة النبي ﷺ هم مجوس الزارة الذين كانوا في الغالب يشكلون حاميتها الفارسية . والزارة إحدى مدن البحرين الهامة، فقد كانت عاصمة المنطقة الساحلية، ومقراً لمرزبان فارسي يشرف عليها ويرأس الحامية الفارسية الموجودة فيها وذلك منذ العصر الجاهلي حينما كان نفوذ الفرس ممتداً إلى هذه البلاد . وتزداد أهمية الزارة حين نعلم أنها كانت فرضة من فرض البحرين، أي أنها كانت ميناءً بحرياً وكان سكانه من عبد القيس[٩١] .

وفي هذه المدينة الهامة تحصن مرزبانهـــا الذي كان مشـــهوراً بلقب المكعبر الفارسي[٩٢] ، واسمه فيروز بن جشيش، وهو صاحب كسرى الذي كان قد وجهه لقتال وقتل بني تميم بعد أن عرضوا لعيره المحملة بتجارة له ونهبوها، وانضم إليه مجوس آخرون كانوا قد تجمعوا في مدينة القطيف القريبة جداً من الساحل وامتنعوا جميعاً عن دفع الجزية وتمردوا وخرجوا عن الطاعة، وفعل نفس الشيء عجم كانوا يسكنون مدينة الغابة[٩٣] القريبة من الزارة والقطيف . فبدأ العلاء بن الحضرمي بقتال مجوس هذه المدينة الأخيرة أي الغابة بعد أن كان قد انتهى من متمردي جواثا وغيرها من المدن أثناء زحفه إلى جزيرة دارين (تاروت) لمقاتلة من فر إليها من متمردي جواثا . وبعد أن انتهى من مجوس الغابة أتى إلى الزارة وفيها المكعبر فحاصره ومن معه، ولما دعا المكعبر العرب إلى المبارزة اعتداداً بنفسه وغروراً بها، بارزه الصحابي الجليل البراء بن مالك فقتله وأخذ سلبه فبلغ أربعين ألفاً . وكان هذا السلب يتكون من سوارين ويلمق (درع بالفارسية) ومنطقة (أي حزام) كان يتحزم بها . وقد خمسه الخليفة لكثرته وارتفاع ثمنه، وكان أول سلب خمس في الإسلام[٩٤] .

ورغم مقتل هذا المرزبان الفارسي الذي تزعم مجوس المدن الساحلية : الزارة والقطيف والغابة، إلا أن مجوس الزارة بالذات لم يستسلموا وتحصنوا داخل مدينتهم رغم مقتل قائدهم وضرب عليهم العلاء الحصار، ولم يتمكن من فتح هذه المدينة إلا بعد أن خرج إليه رجل من أهلها مستأمناً على أن يدله على مصدر الماء الذي يشرب منه مجوس الزارة وأهلها، وهي عين ماء كانت تقع خارج هذه المدينة وتمدها بالماء عبر قناة

تسري تحت الأرض، فقام العلاء بسد هذه القناة واضطر مجوس الزارة إلى أن يصالحوه، وذلك في عام ١٢هـ، على أن يكون له ثلث المدينة وثلث ما فيها من ذهب وفضة، ونصف ما كان لهم خارجها، أما الذراري والنساء فقد هربوهم إلى جزيرة دارين(٩٥).

تلك هي نتيجة الجولة الثانية من الصراع بين دولة الخلافة متمثلة في العلاء بن الحضرمي، ودولة الفرس متمثلة هذه المرة في مرزبان الزارة الذي حرضه دون شك كسرى فارس على القيام بهذا الدور الذي فشل فيه كسرى نفسه . وكما فشل كسرى في الجولة الأولى فشل مرزبانه ذلك في الجولة الثانية التي تحدثنا عنها الآن .

أما الجولة الثالثة والأخيرة فكانت في دارين بجزيرة تاروت التي تقع في جون من الماء أمام مدينة القطيف . وكان عدد كبير من مجوس الزارة وجندها الفرس، والمنهزمين من بكر بن وائل وحلفائهم من الفرس القادمين من فارس الذين هزموا في جواثا قد فروا ناحية هذه الجزيرة، وخاف العلاء بن الحضرمي إن تركهم أن يصبحوا مصدر تهديد له وللمسلمين في البحرين، ولعل مساعدة فارسية تقدم عليهم من أرض فارس فتزيد من قوتهم، فاقتحم مياه البحر عليهم بعد أن دعا الله سبحانه وتعالى أن يهون عليهم هذا الأمر، فاجتازوا تلك المياه بفرسانهم وكانوا كما يقول الطبري "يمشون على مثل رملة ميثاء، فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل"، ولما وصلوا إلى دارين اقتتلوا قتالاً شديداً وقتلوا المقاتلين الذين كانوا فيها سواء من العجم أم من العرب الذين فروا إليها من جواثا، وسبَوْا الذراري واستاقوا الغنائم، فبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين(٩٦).

وهكذا كانت نتيجة الصراع الذي اندلع بين دولة الخلافة الإسلامية ممثلة في العلاء ابن الحضرمي، وبين دولة الفرس وقوادها وجيشها الذي قدم في الجولة الأولى من أرض فارس نفسها، ومرزبانها الذي كان مقيماً في مدينة الزارة وجمع العجم هناك وفي الساحل كله لقتال العرب في الجولة الثانيـــة، وعجم فارس الذين فروا إلى دارين في الجولة الثالثة .

ولاشك أن تعدد الجولات على هذا النحو وإصرار الفرس على إحراز أي انتصار ضد العرب المسلمين إنما يدل على ثلاثة أمور : الأمر الأول هو محاولة الفرس استرجاع نفوذهم في بلاد البحرين، وهو نفوذ تعرض لضربة شديدة منذ أن اعتنق معظم أهل البحرين الإسلام طواعية واختياراً في عهد النبي ﷺ . والأمر الثاني هو كراهية كسرى

فارس للعرب والإسلام . وكراهية الأكاسرة للعرب معروفة منذ ما قبل ظهور الإسلام بقرون، وكانت لهم حروب وإغارات بربرية وحشية ضد عرب البحرين والحيرة منذ عهد سابور ذي الأكتاف حولي منتصف القرن الرابع للميلاد، وبهذه الغزوات أخضع هذا الرجل هذه البلاد لنفوذه منذ ذلك التاريخ . ولما ظهر الإسلام والتف حوله العرب ومنهم عرب البحرين بطبيعة الحال ظهرت كراهية كسرى فارس لدعوة الإسلام منذ ظهورها في عهد النبي ﷺ، ومنذ أن أرسل النبي رسله وكتبه إلى الملوك المجاورين لجزيرة العرب يدعوهم فيها إلى الإسلام . ورغم أنهم رفضوا هذه الدعوة إلا أن أحداً منهم لم يتجرأ ويقوم بتمزيق كتاب النبي ﷺ إلا كسرى فارس . ولما بلغ النبي ﷺ هذا الأمر دعا عليه وقال : "مزق الله ملكه"(٩٧) .

ولاشك أن الإسلام هو الذي عبأ قلوب وعقول العرب في البحرين كي يلقوا عن أنفسهم وبلادهم رداء التبعية لفارس والفرس ويتحرروا من نفوذهم وسلطانهم، وشجعهم على الالتفاف حول العلاء بن الحضرمي وجيشه القادم من المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية ووقفوا للفرس القادمين والمقيمين وحاربوهم وألحقوا بهم الهزيمة والبوار . أما الأمر الثالث فهو أن هذا الصراع كان صراعاً بين العرب المسلمين وبين الفرس المجوس، ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين على أي حال من الأحوال .

وهكذا وبعد أن استعرضنا الجوانب الثلاثة في تفسيرنا للصراع الذي حدث على أرض البحرين غداة البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة نستطيع القول أن ما قيل عن ردة أهل البحرين عن الإسلام كلام غير صحيح جملة وتفصيلاً، وما حدث فيها وعلى أرضها ما هو إلا صراع على الرياسة والزعامة بين قبائلها من ناحية، وصراع بين الإسلام والوثنية من ناحية ثانية، وصراع بين الإسلام ودولة الفرس من ناحية ثالثة .

هذا هو تفسير ما حدث وأسبابه ومظاهره لكن تبقى كلمة في شكل سؤال لابد من طرحه ولابد من الإجابة عليه وهو : ما هو دور أهل البحرين في التصدي وفي القضاء على هذا الصراع المتعدد المظاهر والأسباب ؟ أما الإجابة فتكمن في القول بأن رأس الرمح في القضاء على هذا الصراع أو على هذا التمرد الذي قادته بكر بن وائل واستغلته فارس هو جيش الخلافة بقيادة العلاء بن الحضرمي، ولكن هل وقف أهل البحرين متفرجين على هذه الحرب التي اندلعت في جولات ثلاث ؟ واقع الحال وما رواه المؤرخون يبين بكل

وضوح أنه كان لهم دورهم الهام في حسم هذا الصراع لصالح الإسلام ودولته . وحتى يظهر هذا الدور لابد أن نشير إلى حجم من صارعوهم من المتمردين والعصاة والمساندين لهم، فهم كانوا يتكونون من معظم بكر بن وائل، وعددهم كبير خاصة بعد أن انضم إليهم من كان منهم في كاظمة (الكويت الآن) ومنطقة البصرة وصحرائها التي كانت جزءًا من البحرين في ذلك الحين، وتكاثر العدد إلى حد كبير بعد أن تم دعمهم بسبعة آلاف جندي فارسي، فإذا أضيف إليهم مجوس البحرين ومن كان يعيش فيها من أهل الهند الذين كانوا يعرفون بالزط والسيابجة لعرفنا أن قوة هذا التمرد كانت كبيرة، بلغت تسعة آلاف من الفرس، وثلاثة آلاف من العرب[٩٨] ولذلك استمر المسلمون يقاومون القائمين به طيلة فترة خلافة أبي بكر الصديق، وفترة أخرى في بداية عهد الفاروق عمر بن الخطاب بعكس الحال مع بقية المتمردين والعصاة في اليمن وعمان ونجد وغيرها، إذ أن حركاتهم تم سحقها والقضاء عليها في عهد أبي بكر الصديق .

ويأتي دور عبد القيس في القضاء على هذا التمرد في المقام الأول من أدوار الآخرين المشاركين لهم في هذا العمل بحكم أنهم كانوا أغلبية سكان المنطقة التي تشكل العمود الفقري لهذه البلاد، وهي المنطقة التي تحتوي على أغلب المدن والقرى البحرينية الداخلية مثل مدينة هجر وجواثا والمشقر والصفا وكذلك المدن الساحلية أو التي تقع قرب الساحل مثل الزارة والغابة والقطيف والخط والعقير، والجزر البحرينية مثل جزيرة دارين (تاروت) وجزيرة أوال وغيرهما من الجزر . ولذلك فقد كان رجال عبد القيس في المعارك التي دارت بين العلاء بن الحضرمي والمتمردين في البحرين من الأبطال بجانب أبطال آخرين من تميم، وكانت أولى المعارك التي حدثت في هذا الصراع وأهمها هي معركة حصن جواثا التي حاصر فيها المتمردون بقيادة زعيمهم الحطم بن ضبيعة البكري المدعوم عسكرياً بالجيش الفارسي الذي أشرنا إليه، نقول حاصر هؤلاء المتمردون ومساعدوهم من الفرس عدداً كبيراً من سكان هذا الحصن وكان معظمهم من عبد القيس . وكانت مساعدة عبد القيس للعلاء بن الحضرمي كبيرة وأساسية في حسم هذه المعركة، يشير إلى ذلك الطبري فيقول : "إن العلاء بن الحضرمي وقبل أن يصل إلى ميدان المعركة أرسل إلى بطون عبد القيس الأخرى غير المحاصرة وزعيمهم الجارود بشر بن المعلى العبدي ينسق معهم ويخطط للمعركة ويبين دورهم فيها . فطلب إلى الجارود أن ينزل بقومه ويهاجم

الحطم مما يليه، على أن ينزل هو أي العلاء فيمن قدم معه مما يلي هجر، وذلك حتى يتم حصار الحطم من ناحيتين فتتشتت قواته الكثيرة العدد" وإذا وقع القتال خرج المحاصرون من عبد القيس في حصن جواثا وانقضوا على الحطم من الخلف(٩٩) .

ويؤكد ابن خلدون هذا المعنى ويقول : "إن العلاء نزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه"(١٠٠) . وانتهى الأمر بأن تجمع المسلمون وخندقوا على أنفسهم وتجمع المتمردون ومن ساندهم من الفرس وخندقوا على أنفسهم عند حصن جواثا، وكانوا يخرجون إلى القتال ثم يعود كل فريق منهم إلى خندقه . وظل هذا الأمر على هذا النحو شهراً ولم يتم الحسم والانتصار على الحطم ومن معه من البكريين والفرس إلا بمساعدة رجل من عبد القيس ندب نفسه لدخول معسكر الحطم متنكراً أو محتالاً لمعرفة أحوالهم والإتيان بخبرهم بعد أن أحس المسلمون بأن ضوضاء شديدة تنبعث من معسكرهم . هذا الرجل هو عبد الله بن حذف، وهو من بني أبي بكر بن كلاب من عبد القيس(١٠١) . وقد تمكن عبد الله هذا من دخول معسكر الحطم ورأى أحوال جنده، وأن كثيراً منهم سكارى، وخرج وعاد إلى معسكر العلاء بن الحضرمي فأخبره الخبر فاقتحم العلاء عليهم معسكرهم وباغتهم بالقتال وقاتلهم قتالاً شديداً وقع فيه بعض أبطال المسلمين شهداء، ولكنه انتصر عليهم بمساعدة العبديين الذين خرجوا من حصن جواثا وباغتوهم من الخلف فأصبحوا "بين متردٍ وناجٍ ودهش ومقتول أو مأسور، واستولى المسلمون على ما في المعسكر" وقتل الحطم على يد قيس بن عاصم التميمي، وأسر الملك الغرور وقيل قتل(١٠٢) .

وليس معنى ذلك أن عبد الله بن حذف العبدي الذي دل العلاء بن الحضرمي على أحوال معسكر الأعداء غير الطبيعية هو صاحب هذا النصر أو المتسبب الوحيد فيه، ولاشك أن دوره كان مهماً وأتاح الفرصة للعلاء وجيشه في اقتحام معسكر الحطم وحلفائه من الفرس، لكن بطولة وشجاعة العلاء وخبرته بالقتال وبطولة وشجاعة جنده القادمين معه من المدينة المنورة من المهاجرين والأنصار وجند تميم الذين انضموا إليه أثناء اجتيازه صحراء الدهناء، وأهل البحرين من عبد القيس وغيرهم الذين نسقوا معه خطة الهجوم على الأعداء، كل ذلك هو العامل الفاعل في تحقيق هذا النصر العظيم .

ويظهر دور عبد القيس خاصة وأهل البحرين عامة في الجولة الثانية والثالثة من هذا الصراع الذي اندلع في البحرين . وكانت الجولة الثانية عند مدينة الزارة الساحلية والجولة الثالثة والأخيرة في دارين بجزيرة تاروت كما أشرنا من قبل .

أما الجولة الثانية فقد حسمت لصالح العلاء بن الحضرمي وجنده نتيجة مساعدة فعالة كان لها أثرها الكبير وأدت إلى سقوط الزارة في يد العلاء . ولم تكن هذه المساعدة إلا من رجل من أهلها الذين كان معظمهم من عبد القيس بالإضافة إلى عجمها، ولولا ذلك لطال حصارها وصارت معركتها أشد من معركة جواثا وأعنف، نظراً لقيام المكعبر الفارسي فيروز بن جشيش صاحب كسرى الذي كان قد وجهه من قبل لعقاب بني تميم الذين كانوا قد عرضوا لعيره بالتحصن في هذه المدينة الحصينة[١٠٣] التي كانت قاعدة منطقة القطيف كلها ودار حكمها فيما بعد حتى قبيل عصر القرامطة، بل إنها كانت منذ ظهور الإسلام من أقوى المدن في إقليم البحرين كله[١٠٤] حتى اعتقد أحد الباحثين الآن بأنها هي العاصمة وأنها هي هجر[١٠٥] .

المهم أن هذا المرزبان الفارسي تحصن في الزارة بمن معه من جند الفرس وانضم إليه مجوس محليون كانوا قد تجمعوا بالقطيف وتمردوا بأن امتنعوا عن دفع الجزية، وأقام العلاء محاصراً لها ولم يتمكن من فتحها إلا في أوائل عهد خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وبمساعدة عبد القيس الذين ساعدوه من قبل في فتح المناطق والمدن المجاورة أو القريبة من الزارة . وفي ذلك يقول البلاذري : "غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابون[١٠٦] في خلافة عمر بن الخطاب ففتحها ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم، ثم أتى الزارة وبها المكعبر فحصره، ثم إن مرزبان الزارة – يقصد المكعبر – دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله وأخذ سلبه فبلغ أربعين ألفاً، ثم خرج رجل من الزارة مستأمناً على أن يدل العلاء على شرب القوم"، ويقول البلاذري أن هذا الرجل دله على عين ماء خارجة يجري منها الماء في قناة تحت الأرض إلى الزارة فسدها العلاء فلم يكن من عجمها إلا أن صالحوه، كما سبق القول[١٠٧] . ولا تعني هذه الرواية إلا أن هذا الرجل البحريني هو السبب المباشر في استسلام الزارة، وأن عبد القيس الذين كانوا مع العلاء وصمودهم معه في حصارها كانوا سبباً آخر في هذا النصر المبين، كذلك فإن أهلها من العرب وجلهم كما أشرنا من عبد القيس كان لهم أثرهم أيضاً في هذه المصالحة أو هذا الاستسلام لرجل

يقود جيشاً كثيرون فيه من قبيلهم، أي من عبد القيس، ولذلك لم يحدث قتال أو صدام أو أي مناوشة، ساعد على ذلك أن عجمها قد خارت قواهم بعد أن قتل قائدهم المكعبر في المبارزة التي طلبها بنفسه .

أما **الجولة الثالثة** والأخيرة فقد حسمت أيضاً لصالح العلاء بن الحضرمي بفضل الله ثم بفضل جنده الذين كان يتكون أغلبهم من أهل البحرين من عبد القيس وتميم بالإضافة إلى من قدم معه من المهاجرين والأنصار الكرام، وكانت هذه الجولة وكما أشرنا من قبل في دارين بجزيرة تاروت، وقد بينا ما حدث فيها من قتال وانتصار ساحق للعلاء ابن الحضرمي وجنده على من كان قد فر إليها من عجم الزارة، ومن المنهزمين من بكر ابن وائل في معركة جواثا . ولم يكن غزو العلاء لهذه الجزيرة إلا بسبب مشورة قدمها أحد البحرينيين من عبد القيس – وهو الأخنس العامري الذي ينتمي إلى بني عامر بن الحارث بن أنمار من عبد القيس[١٠٨] – للعلاء بضرورة غزو هذه الجزيرة لأنها أصبحت معقلاً للفارين من الزارة، كما أنها ضمت الذراري والنساء الذين لم تتم المصالحة عليهم حين فتحه لهذه المدينة بعد أن تم تهريبهم منها إلى هذه الجزيرة، كما أن رجلاً بحرينيا آخر من عبد القيس أيضاً يدعى كراز النكري – ونكرة إحدى بطون عبد القيس – هو الذي دل العلاء على المخاضة التي اقتحمها من الساحل إلى هذه الجزيرة، وقال كراز في ذلك شعراً أوله :[١٠٩]

هاب العلاء حياض البحر مقتحماً      فخضت قدمـاً إلى كفـار دارينا

وهكذا نرى أن رجلاً من عبد القيس هو الذي أشار على العلاء بضرورة غزو دارين، ورجلاً آخر من نفس هذه القبيلة هو الذي دله على المخاضة التي خاضها العلاء وجنده فوصلوا إلى دارين بسهولة ويسر بعد أن كانوا قد تخوفوا من اقتحام المياه إلى هذه الجزيرة، كما نرى بحرينياً ثالثاً وهو من تميم واسمه عفيف بن المنذر التميمي يشير إلى مساهمته ومساهمة قومه في هذا الحدث الهام أو في هذه المعركة التي تم فيها القضاء نهائياً على المتمردين في البحرين فيقول :[١١٠]

ألم تـر أن الله ذلل بـحره      وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا      بأعجب من فلق البحار الأوائل

وبذلك أمن العلاء بن الحضرمي ألا يؤتى من هذه الناحية، وعاد إلى الساحل – أي ساحل منطقة القطيف – بعد أن عز الإسلام وأهله، وكان لأهل البحرين في ذلك القدح المعلى بجانب إخوانهم المهاجرين والأنصار، ولم يكن هذا الفضل قاصراً على عبد القيس وتميم وحدهم، بل إننا نرى نفراً من بكر بن وائل التي قادت هذا التمرد أو هذه الفتنة، نقول إننا نرى نفراً منها ممن كانوا على الإسلام والطاعة للخلافة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني يساهم وكما سبق القول في منع ذيول هذا التمرد من أن تظهر في شمالي البحرين بقيادة مغروق الشيباني الذي لم يستطع التحرك من مكانه للقيام بتمرد جديد(١١١) .

والجدير بالذكر أن جهود عبد القيس ومن لف لفيفها لم تكن قاصرة على مساعدة جيش الخلافة في القضاء على الفتنة التي أثارتها بكر بن وائل في البحرين، بل إنها قدمت مساعدتها لجيوش الخلافة خارج البحرين، نقصد ما قدمته من عون ومساعدة فعالة لجيوش الخلافة التي وصلت إلى سلطنة عمان للقضاء على فتنة أو تمرد حدث في مدينة دبا قام به رجل يدعى ذا التاج لقيط بن مالك الأزدي ضد ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي، والذي كادت قواته تتغلب على جيوش الخلافة لولا نجدة وصلت وساندت هذه الجيوش من عبد القيس يقودها سيحان بن صوحان العبدي، ونجدة أخرى من بني ناجية يقودها الخريت بن راشد، ومن ثم استطاعت جيوش الخلافة تحقيق النصر على لقيط والقضاء عليه وعلى حركته(١١٢) . وصوحان العبدي هذا وبنوه كانوا قد انحدروا إلى عمان وسكنوها قبيل ظهور الإسلام(١١٣) وأصبحوا عامل ربط بين أهلها وأهل البحرين خاصة وأن تخوم البحرين كانت تمتد حتى عمان، ومن ثم اتسع المجال أمام عبد القيس كي تشارك في تشكيل تاريخ هذين البلدين العريقين .

وهكذا يتبين لنا أن أهل البحرين من عبد القيس وتميم وبعض بني بكر بن وائل الذين كانوا على الإسلام قد ساعدوا جيش الخلافة الذي كان يقوده العلاء بن الحضرمي مساعدة فعالة ورئيسية مكنته من القضاء على هذه الفتنة أو هذا التمرد الذي قام به معظم بكر بن وائل ومن كان معهم من المجوس والزط والسيابجة الذين رفضوا دفع الجزية(١١٤)، ولولا هذه المساعدة وهذه المشاركة لما تمكن العلاء بن الحضرمي من القضاء على هذا التمرد الذي كان مسنوداً بقوة الدولة الساسانية في فارس وبجيشها الذي أرسلته إلى البحرين لمساعدة هؤلاء العصاة المتمردين .

وعلى ذلك كيف يمكن أن يقال أن أهل البحرين ارتدوا عن الإسلام بعد أن رأينا مدى التفافهم حول العلاء بن الحضرمي ومساهماتهم الكبيرة التي قدموها له للقضاء على تمرد بكر بن وائل، وبعد أن درسنا الأسباب الحقيقية التي تفسر هذا التمرد، وهو تفسير لا يمكن أن يدل على أن الصراع الذي قام بين أهل البحرين تعبيراً عن هذا التمرد كان صراعاً بين مسلمين ومرتدين وإنما كان صراعاً بين مسلمين وعصـاة متمردين لأسباب ثلاثة : **أولاها** : أنه كان صراعاً قبلياً تنافست فيه قبائل البحرين على الرياسة والزعامة، **وثانيها** : أنه كان صراعاً بين من كان منهم على الإسلام ومن كان منهم على الوثنية، **وثالثها** : أنه كان صراعاً بين دولة الإسلام وبين دولة المجوس في فارس .

**د. رجب محمد عبد الحليم**

جامعة البحرين

# الهوامش والحواشي

١ — توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٣ سنة ١٩٧٠، ص٦٠ .

٢ — المرجع السابق ونفس الصفحة .

٣ — محمد حسن بريغش : ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي الأول، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ص٤٥، ٤٦، ٨٣، ٨٥، ١١٩، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٣، ١٤٤ .

٤ — توماس أرنولد : نفس المرجع، ص٦١، ٦٢ .

٥ — الطبري : تاريخه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ط ٦ سنة ١٩٩٠م، جـ ٣، ص٢٢٥، ٢٢٤، ٢٥٨، ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط ٢ سنة ١٩٥٥م، جـ ٢، ص٦٦٥ .

٦ — أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة سنة ١٩٨٥م، ص٨٢، ٨٣ .

٧ — الطبري : تاريخه، جـ ٢ ص٢٧ .

٨ — المصدر السابق، جـ ٣ ص٢٧٢، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة بدون تاريخ، جـ ١٩، ص٧٨ .

٩ — ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المطبعـة الجمالية، القاهرة، ط ١ سنة ١٣٢٩هـ، جـ ١، ص٢٣٠، الشوكاني : نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، القاهرة سنة ١٣٢٧هـ، جـ ٤، ص٧، ٨، سالم البهنساوي : الحكم وقضية تكفير المسلم، دار الأنصار، القاهرة ط ١ سنة ١٩٧٧م، ص٧١، ٧٧، ٧٨ .

١٠ — أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص١٨، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٤٩ .

١١ — ابن الأثير : الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ سنة ١٩٨٧م،جـ ٢، ص٢١٩ .

١٢ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣، ص٢٨٦ .

١٣ — أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص٢١، ٢٣، ٢٦، ٣٣، ٤٥، ٤٨ .

١٤ — سالم البهنساوي : نفس المرجع، ص١٨١ .

١٥ — كانت جيوش أبي بكر تقاتل بعض قبائل اليمن الملتفة حول قيس بن عبد يغوث قائد جند الأسود العنسي وقبيلة كندة على الطاعة، أي يطيعوا أبا بكر الصديق ولا يخرجوا عن حكمه، أنظر ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح، حيدر أباد، الدكن، الهند، سنة ١٩٦٨، جـ ١، ص٥٨ ، ٦٢، ٦٨، ٦٩ وكما سنرى كان جيش العلاء بن الحضرمي يقاتل متمردي البحرين على الطاعة أيضاً .

١٦ — لم يكن القتال هنا لأنهم أنكروا الزكاة كفريضة، ولكنهم امتنعوا عن إعطائها لعمال الصدقات، واعتُبروا بذلك كأنهم مرتدون لأنهم بعملهم هذا يقوضون نظام الدولة الإسلامية، ويفككونها ويمهدون للقضاء عليها . أما من الناحية الشرعية أو الدينية فليسوا مرتدين بدليل أن عمر بن الخطاب قال فيهم لأبي بكر الصديق "يا خليفة رسول الله ﷺ : قوم مؤمنون إنما شحوا على أموالهم والقوم يقولون ما رجعنا عن الإسلام، ولكن شحمنا على أموالنا" . فعفا عنهم أبو بكر ورفض أن يأخذ الفدية من أسراهم وأطلقهم وقال "لا سباء في الإسلام" . أنظر ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح، جـ ١، ص٧٤، ٧٥، الكلاعي : الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء، مخطوط حققه ونشره د. أحمد غنيم تحت اسم حروب الردة، القاهرة، ط ١ سنة ١٩٧٩م، ص ١٨١، ١٨٣ .

١٧ — الكاندهلوي : حياة الصحابة، دار القلم، دمشق، ط ٢ سنة ١٩٨٣م، جـ ١، ص٤٧٢ .

١٨ — المثال على من خرج عن المألوف في سلوكه هو الأشعث بن قيس الكندي، فقد وصفه الناس بالكفر عندما عفا عنه أبو بكر الصديق ووافقه على أن يزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة بعد أن كان متمرداً في بلاد اليمن واعتقل وجيء به إلى أبي بكر ليرى فيه رأيه، ولما عفا عنه على هذا النحو خرج هذا الرجل إلى سوق الإبل في المدينة وأشهر سيفه وجعل لا يرى جملاً أو ناقة إلا عرقبها " فصاح الناس كفر الأشعث" . ولما فرغ من ذلك قال لهم : "والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل — يقصد أبا بكر — أخته، ولو كنا ببلادنا — يقصد اليمن — لكانت لنا وليمة غير هذه، يا أهل المدينة انحروا وكلوا، ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها" . أنظر : ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، سلسلة كتاب الشعب، القاهرة سنة ١٩٧٠ ، جـ ١، ص ٩٨ .

١٩ — اعتبر عمر بن الخطاب أن منع الحق عن صاحبه ربما يجعله أو يؤدي به إلى الكفر، والمثال على ذلك ما قاله للنعمان بن مقرن في وصيته له قبل فتح نهاوند، فقد قال له ينصحه بالحفاظ على جنده : " لا توطئهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم" أي أن منع الحق عنهم وهو الفيء ربما يؤدي بهم إلى العصيان والتمرد . أنظر : الطبري : نفس المصدر، جـ ٤، ص ١١٥ .

٢٠ — صحيح البخاري بحاشية السندي، ٤ أجزاء في مجلدين، مكتبة زهران، القاهرة، بدون تاريخ، جـ ٤، ص١٩٦ .

٢١ – سالم البهنساوي : نفس المرجع، ص٦٥ .

٢٢ – تاريخ الطبري : جـ ٣، ص٢٢٥، ٢٤٣، ٣٢٠، ٣٣٠، الشوكاني : نفس المصدر جـ ٤، ص٧، ٨ .

٢٣ – الأسباب التي جعلت كثيراً من العرب يتمردون ويفتتنون كثيرة، منها استمرار التأثر بأخلاق الجاهلية ومثلها عند بعض العرب، ونظرة بعض القبائل للإسلام على أنه دين لم يأت ليقيم دولة، ونظرة بعض القبائل لقريش كقبيلة من القبائل وليس من حقها أن تفرض سلطانها على القبائل الأخرى، ونظرة بعض القبائل لأبي بكر كشيخ قبيلة وليس من حقه حكم كل العرب، ونظرة بعض القبائل للزكاة على أساس ألا تدفع لعمال الصدقات حتى لا تصير كإتاوة وإنما توزع على فقراء القبيلة، والعصبية القبلية التي كانت تفرض طاعة الناس لشيخ القبيلة المتمرد . ورغبة بعض المتمردين في الملك والسلطان والسيادة، والمطامع الشخصية لبعضهم في حكم بلادهم، والرغبة في التخلص من حكم الأبناء الفرس حكام صنعاء، وتحريض الفرس لبكر بن وائل في البحرين . ولمعرفة تفاصيل هذه النقاط، أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص ٩٠ – ١٢٠ .

٢٤ – أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص١٢١ .

٢٥ – ابن سعد : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، جـ ٤، ص٣٦١، البلاذري : فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٧م، ص١١١ .

٢٦ – الزط : أصلهم من بلاد السند أو الهند أو هما معاً، هاجروا من هذه البلاد وسكنوا سواحل البحرين يتبعون الكلأ ويعملون بتربية الماشية والأغنام والإبل، واستخدمهم الفرس كقوة عسكرية تابعة لهم ترابط في سواحل البحرين، وقد انضموا إلى المرتدين أو المتمردين في هذه البلاد عام ١١هـ ثم اعتنقوا الإسلام، وخرجوا من البحرين عند قيام العرب المسلمين بفتح بلاد فارس، وأسكنهم أبو موسى الأشعري والي البصرة هذه المدينة وأوكل إليهم حراسة دار الإمارة والمسجد . أنظر : المسعودي : مروج الذهب، تحقيق قاسم الرفاعي، دار القلم، بيروت ط ١، سنة ١٩٨٩م، جـ ١، ص١٦٨، أبو الفدا : تقويم البلدان، باريس، سنة ١٨٤٠م، ص١٥١ – عبد الرحمن العاني : البحرين في صدر الإسلام، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١ سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٣، ٦٤ .

٢٧ – السيابجة : أصلهم من بلاد السند والهند، سباهم الفرس وأسكنوهم سواحل الخليج وخاصة سواحل بلاد البحرين، كانوا يعملون بالرعي واستغلهم الفرس كحامية عسكرية لهم في هذه البلاد، وانضموا كإخوانهم الزط إلى المرتدين أو المتمردين، ثم رحلوا عن البحرين وأسكنهم أبو موسى الأشعري مدينة البصرة، واشتركوا مع إخوانهم الزط في حراسة دار الإمارة والمسجد الجامع في هذه المدينة، ولما اشتركوا في حركة أو ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج بن يوسف

الثقفي قام الأخير وهدم دورهم وحط أعطياتهم وأجلى بعضهم وقال لهم : كان في شرطكم ألا تعينوا بعضنا على بعض . أنظر : البلاذري : فتوح البلدان، ص٥٢٠، ٥٢١، عبد الرحمن العاني : البحرين في صدر الإسلام، ص٦٢، ٦٣ .

٢٨ – لمعرفة تفاصيل ما حدث في البحرين من صراع، أنظر : الطبري : نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٠١ – ٣١٣، ابن الأثير : نفس المصدر، جـ٢، ص٢٢٥ – ٢٢٨ .

٢٩ – أنظر هامش ٢٣ .

٣٠ – عن البحرين بمفهومها القديم وعن جغرافيتها واتساعها وقبائلها وأماكن سكنى هذه القبائل، أنظر : المسعودي : نفس المصدر، جـ١ ص١٠٨، ١١٣ – الهمداني : صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة، الرياض، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٢١٩، ابن حوقل : كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٧٩م ص٤١، البكري : المسالك والممالك، الدار العربية للكتاب، تونس سنة ١٩٩٢م، جـ ١، ص٣٧١، ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٧م، جـ٢ ص٢٣٢، جـ٣ ص ٤٢٢، جـ٤، ص٤٣١، ابن الأثير : الكامل : جـ١، ص٣٦٢، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد : دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص٧٧، العوتبي الصحاري : الأنساب، وزارة التراث، سلطنة عمان سنة ١٩٨١م، ص١٦١، أبو الفدا : تقويم البلدان، ص٨٤، ٨٥، ٣٠٤، ابن خلدون : تاريخه، دار الكتاب المصري واللبناني، سنة ١٩٩٩م، جـ١، ص١٠٧، ١١٥، جـ٣ ، ص٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٩، ٥٨٠، حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديما)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط١، سنة ١٩٧٩م، جـ١، ص١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢١، ٤١١، جـ٢، ص٥٢٥، ٥٤٦، ٦٢٣، ٦٣٦، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٦٨، جـ٣، ص٩٩٢، ٩٩٣، ١٠١٥، ١٠١٦، ١١٢٠، ١١٢٥، ١١٣٤، ١١٣٦، ١١٣٩ .

٣١ – عن دور الجارود في تثبيت قومه من عبد القيس على الإسلام والطاعة لأبي بكر الصديق، أنظر : السيرة النبوية لابن هشام، جـ ٢، ص٥٧٥، ٥٧٦، ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص٥٦٠، جـ٧ ص٨٦، الطبري، جـ٣ ص٣٠١، ٣٠٢، ابن كثير : البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١ سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٦ ص ٣٣٢ .

٣٢ – عن مدح النبي ﷺ لعبد القيس والإشادة بها، أنظر : ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ١٩، ابن سعد : طبقاته، جـ٥، ص٥٥٧، جـ٧ ص٨٨، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، جـ٤ ص٥٣، ٥٤، النويري : نهاية الأرب، جـ١٨، ص٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٥ ص٤٣، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى

عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م، جـ ٤ ص٨٨، ٩٠ .

٣٣ – عن الوفود التي أرسلتها عبد القيس إلى النبي ﷺ ، أنظر : ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، ورقة ١٩، مسند الإمام أحمد، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، جـ٣، ص٤٣٢، ابن سعد : طبقاته، جـ ٥ ص٥٥٧، ٥٦٠، جـ ٧ ص٨٥، ٨٦، الطبري : تاريخه، جـ ٣ ص١٣٦، ١٣٧ ، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص١٦٦، النويري : نهاية الأرب، جـ ١٨ ص٦٥، ٦٧، ٧٤، ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ٥ ص٤٣، السيرة النبوية، جـ ٤ ص٨٧، ٩١، ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤ ص٨٣٣ .

٣٤ – عن صحابة رسول الله ﷺ من أهل البحرين، أنظر ابن سعد : طبقاته، جـ ٥ ص٥٥٧ – ٥٦٦، جـ٧ ص٥٩، ٨٧ – وذكر ابن حجر العسقلاني في صفحات متفرقة في الأجزاء الأربعة من كتابه الإصابة في تمييز الصحابة عدداً كبيراً من الصحابة من أهل البحرين، بعضهم غير موجود عند ابن سعد .

٣٥ – ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ٤ ص٣٧٨ .

٣٦ – عن رسائل النبي ﷺ لأهل البحرين حكاماً وقبائل، أنظر : اليعقوبي : تاريخه، جزءان في مجلد واحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، جـ ٢ ص٥٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ياقوت : معجم البلدان، جـ ١ ص٣٤٨، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣ سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص١١٢ – ١٣٠ .

٣٧ – عبد القيس وبكر بن وائل يجتمعان في أفصى بن دعمي، فعبد القيس هي عبد القيس بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وبكر بن وائل هي بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وكذلك بنو حنيفة الذين كانوا يعيشون ويحكمون اليمامة (منطقة الرياض الآن) فهو بنو عمومة لهاتين القبيلتين، فهم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أنظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق ونشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٤٨مص٢٩١، ٤٥٢ .

٣٨ – اليعقوبي : تاريخه، جـ ١ ص١٩٢، ١٩٣ – ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص٤١٠ .

٣٩ – ذو قار : ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة في صحرائها، حدثت عنده معركة كبيرة انتصرت فيها بكر بن وائل على جيش الفرس انتصاراً رائعاً . ويعود السبب المباشر في هذه الحرب إلى رفض شيخ شيبان من بكر بن وائل والذي اختلف المؤرخون في اسمه فبعضهم جعله هانئ بن مسعود بن ذهل بن شيبان، وآخرون جعلوه حفيده هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني، المهم أن هذا الشيخ رفض أن يسلم لكسرى فارس ما أودعه عنده ملك الحيرة النعمان بن المنذر

من سلاح ودروع بالإضافة إلى أهله وولده، وكان مع جيش كسرى إياس بن قبيصة الطائي الذي جعله كسرى ملكا على الحيرة بدل النعمان بن المنذر، وكانت هذه المعركة الشهيرة يوم ولادة النبي ﷺ، وقيل في عام بعثته، وقيل عند منصرفه من وقعة بدر الكبرى، ولما سمع النبي ﷺ بخبر هذا الانتصار قال : "هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا" أو "انتصفوا" . وتعد هذه المعركة من مفاخر بكر بن وائل، أنظر : ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، ورقة ٤، الطبري : تاريخه، جـ ٢ ص١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١١، المسعودي : مروج الذهب، جـ ١ ص٢٥٨، ياقوت : معجم البلدان، جـ ٤ ص٢٩٤، ابن الأثير : الكامل، جـ ١ ص٣٧٨، الحميري : الروض المعطار، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٧٥م، ص٢٦٠ - ٢٦٢، محمد أحمد جاد المولى وآخرون : أيام العرب في الجاهلية، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٣، ٢٥ .

٤٠ - من أمثلة الحكام الذين حكموا البحرين في الجاهلية وكانوا من قبيلة عبد القيس : ربيعة بن الحارث العبدي، والربيع بن حوثرة العبدي، والمعلى بن حنش العبدي جد الجارود بشر بن عمرو العبدي . وقد عاش هؤلاء الحكام أو الولاة في القرن السادس الميلادي، وحكموا البحرين في تلك الفترة، وكان أحدهم والياً عليها في عصر عمرو بن هند ملك الحيرة وحاكمها في الفترة (٥٥٤ - ٥٦٩م) . ويعود سبب ورود أسمائهم عند الإخباريين وأهل الأدب والشعراء القدامى إلى أن أحدهم كلفه عمرو بن هند بقتل شاعر بكر بن وائل طرفة بن العبد لغضبه عليه بسبب شعر قاله فيه أو في أهله، وإن كانت هناك رواية أخرى تقول أن والياً آخر على البحرين من تغلب يسمى عبد هند أو والياً فارسياً يدعى المكعبر هو الذي قتل طرفة . أنظر : جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٣ سنة ١٩٨٠م، جـ ٩ ص٥٣٧، ٥٣٨، محمد عبد القادر أحمد : الغلام القتيل طرفة بن العبد، إصدارات جامعة البحرين سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٨٧ - ٩٠، عبد الحميد المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، مؤسسة البابطين للإبداع الشعري، الكويت سنة ٢٠٠٢م، ص١٥ .

٤١ - الواقدي : كتاب الردة، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٩٠م، ص ١٤٧، ١٥١، ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، ورقة ٤، البلاذري : فتوح البلدان، ص١١٤، الطبري، تاريخه، جـ ٢ ص٢٠٥، ٢٠٦، المسعودي : مروج الذهب جـ ١ ص٢٥٨، ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص٣٧٨، الحميري : الروض المعطار، ص٢٩٨، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية ص٢٣، ٢٥ وما بعدها، جواد علي : المفصل، جـ ٣ ص٢٩٦ .

٤٢ - ابن حبيب : المحبر، برواية أبي سعيد الحسن السكري، تصحيح د. إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٦٠، ٣٦١ - الطبري : تاريخه، جـ ٢ ص ٢١٣، ٢١٤ .

٤٣ – أصل المنذر بن ساوى العبدي، حاكم البحرين : عندما اعتنق هذا الحاكم الإسلام أقره الرسول ﷺ في حكم البحرين وأرسل إليه بعض أصحابه لمساعدته في نشر الإسلام وشريعته من أمثال العلاء بن الحضرمي وأبي عبيدة عامر بن الجراح، وأبي هريرة، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله عنهم أجمعين، وظل الأمر على هذا النحو حتى توفي المنذر بن ساوى العبدي بعد وفاة الرسول ﷺ بقليل كما ذكر البلاذري (ص١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٤) والطبري (جـ٣، ص١٣٧) . وقد اختلف المؤرخون في اسم القبيلة التي ينتمي إليها المنذر بن ساوى العبدي، ويعود السبب في ذلك إلى لقب العبدي الذي ينتهي به اسمه، فقد فسر البعض هذا اللقب أو هذه النسبة على أنها نسبة إلى عبد الله بن دارم التميمي، وآخرون قالوا بأنها نسبة لقبيلة عبد القيس . أما الذين قالوا بأصله التميمي فأقدمهم ابن حبيب المتوفي عام ٢٤٥هـ في كتابه المحبر، ص٢٦٥، والبلاذري المتوفي عام ٢٧٩هـ في كتابه فتوح البلدان ص١٠٦، ١٠٧، ثم أخذ عنهما ابن حزم القرطبي المتوفي عام ٤٥٦هـ (جمهرة أنساب العرب، ص٢٢٠) . وأما الذين قالوا بأنه من عبد القيس فأقدمهم الطبري المتوفي عام ٣١٠هـ والذي ذكر في تاريخه (جـ ٢ ص٦٤٥) أن المنذر بن ساوى أخو بني عبد القيس وأنه صاحب البحرين، وتابعه على ذلك ابن الأثير (الكامل، جـ ٢ ص٩٥)، وعلى نفس المنوال سار ابن خلدون (تاريخه، جـ ٤، ص ٧٨٨) . ومعنى (أخو عبد القيس) أنه منهم .

أما تحقيق هذه النسبة أي كلمة (العبدي) فقد ذكر ابن الأثير أن العبدي نسبة إلى عبد القيس من ربيعة بن نزار، وهو عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار (أنظر : اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت سنة ١٩٨٠م، جـ ٢ ص٣١٤) . كما قال في موضع آخر من هذا الكتاب (جـ ٢ ص٣١٧) أن العبقسي كلمة تطلق أيضاً على من ينسب إلى عبد القيس، وجاء بعد ذلك محمد أمين البنداري الشهير بالسويدي فذكر في كتابه (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٥٣) أن النسبة إلى عبد القيس فيها ثلاث مذاهب، أولاها عبدي وذلك النسبة الأولى، وثانيها قيسي وذلك على النسبة الثانية، وثالثها عبقسي، وذلك على جمع النسبة إليهما معاً .

وعلى ذلك فإن النسبة إلى عبد القيس هي العبدي، لأن هذا هو المشهور في كتب التاريخ والطبقات . أما النسبة إلى عبد الله بن دارم التميمي الذي يشير البعض إلى أنه أصل المنذر بن ساوى العبدي، فهي (العبدلي) كما قال بذلك ابن الأثير في كتابه اللباب، جـ ٢، ص٣١٢)، أو (الدارمي) كما قال بذلك ابن الأثير وفي نفس الكتاب (جـ ١ ص ٤٨٤) أو هي (التميمي) (جـ ٢ ص٢٢٢)، أو هي الدارمي التميمي، ويلاحظ أنه لم يرد إسم المنذر بن ساوى العبدي في أي نسبة ذكرها ابن الأثير، وتجنباً لهذا الخلاف فقد اعتبره خير الدين الزركلي (كتاب الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت سنة ١٩٨٠م، جـ ٧ ص٢٩٣) أنه من عبد القيس أو من تميم، وعلى كل حال فالأمر يحتاج إلى مزيد من البحث .

٤٤ — الطبري : نفس المصدر. جـ ٣ ص٢٧٠ — ابن حوقل : نفس المصدر، ص٤١ — الهمداني : نفس المصدر، ص٣٢٦ — ٣٢٨، الأصفهاني : بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر، د. صالح العلي، دار اليمامة، الرياض، بدون تاريخ، ص٢٧٧، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢١، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٧م، جـ ٤ ص٣٣٦، النويري : نفس المصدر، جـ ١٨ ص٧٤، حمد الجاسر : نفس المرجع، جـ ١ ص٤١١، جـ ٢ ص٥٢٠,٥٢٤، ٥٢٥، ٥٤٦، ٦٢٣، ٦٣٩، ٦٦٨، ٧٠٦ — ٧١٠، جـ ٣ ص٩٩٢، ٩٩٣، ١١٢٠، ١١٣٤، ١١٣٦، ١١٣٩، ١١٨٨، ١٢٩٥، ١٣٣٣، ١٣٣٤ .

٤٥ — عن الأيام أي الحروب التي نشبت بين تميم وبكر بن وائل في الجاهلية، وهي من أكثر الأيام التي نشبت بين عرب وعرب آخرين في الجاهلية، إذ بلغت خمسة عشر يوماً انتصرت بكر بن وائل وشيبان في ثمانية منها وانتصرت تميم في سبعة، أنظر : ابن الأثير : الكامل، جـ ١ ص ٤٧٤ — ٥١٦، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية، ص١٧٠ — ٢٢٨ .

٤٦ — عن حركة سجاح بنت الحارث التميمية المتنبئة، وعن قضاء خالد بن الوليد على عصيان وتمرد تميم، أنظر : الطبري : تاريخه، جـ ٣ ص٢٦٧ — ٢٨٠ .

٤٧ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص٢٢٦، ٢٢٧ — ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ٦ ص٣٣٢، ٣٣٣، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ ٢ ص٨٨٣ .

٤٨ — البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦، ١١٧، ابن الأثير : الكامل، جـ ١ص٣٦٢، ٤٩٢، ٤٩٣، محمد أحمد جاد المولى : نفس المرجع، ص ٢-٥ .

٤٩ — الطبقات الكبرى، جـ ٤ ص٣٦١ .

٥٠ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٥، ٣٠٦، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص٢٢٦، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ ٢ ص٨٨٣ .

٥١ — ابن حجر : نفس المصدر، جـ ١ ص٣٢٧، جـ٢ ص٦٥٨، الاستيعاب لابن عبد البر بهامش كتاب الإصابة، جـ ١ ص٣٤٤، النويري : نفس المصدر، جـ ١٨، ص٦٧ .

٥٢ — الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ ١ ص٣١٥، ابن حجر : نفس المصدر، جـ ١ ص٣٢٧، جـ ٢ ص١٠٥٨، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش كتاب الإصابة جـ ١ ص٣٤٤، ومعروف أن قبيلة إياد التي ينتمي إليها قس بن ساعدة كانت مطرودة من البحرين على يد عبد القيس قبل ظهور الإسلام بكثير، أنظر : عبد الحميد المعيني، ص١٨، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٤ ص٤٨٤، ٤٨٥، حمد الجاسر : معجمه، المنطقة الشرقية، جـ ١، ص ٥٠، ٥١ .

٥٣ — دحلان : السيرة النبوية والآثار المحمدية، بهامش كتاب السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، المكتبة الإسلامية، بيروت، سنة ١٣٢٠هـ، جـ ٣، ص٧٦، ٧٧ .

٥٤ — الكلاعي : نفس المصدر، ص ٧٣ .

٥٥ — النويري : نفس المصدر، جـ ١٨، ص١١٧ .

٥٦ — الطبري : نفس المصدر جـ ٣ ص٣١٦، ٣١٧، محمد أمين صالح : العرب والإسلام، القاهرة سنة ١٩٨١م، جـ ١ ص١٧١، ١٧٢ .

٥٧ — فتوح البلدان، ص ١٠٩ .

٥٨ — تاريخ الطبري : جـ ٣ ص٣٠١ .

٥٩ — المصدر السابق، جـ ٣ ص٢٦٩، ٣٠٤ — ٣١١، ابن أعثم الكوفي : نفس المصدر جـ ١ ص٤٥، ٥٤ .

٦٠ — فتوح البلدان، ص١٠٨ .

٦١ — القطيف : من أعظم وأهم مدن وموانئ البحرين القديمة، وكانت السفن تدخل إليها في خور كبير حيث كان بها مرسى للسفن الكبيرة الموسقة، وكان سكانها من عبد القيس . والقطيف كانت كورة بالبحرين ثم غلب هذا الاسم على مدينة القطيف، أنظر : المسعودي : نفس المصدر، جـ ١ ص١٠، الهمداني: نفس المصدر، ص٢٧٩، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ٤ ص٣٧٨، أبو الفدا : نفس المصدر، ص٩٩ . وقد بلغت القطيف أوج ازدهارها إبان حكم الدولة العيونية (٤٦٩ — ٦٣٦هـ/١٠٧٦ — ١٢٣٨م)، فقد اتخذها بعض الأمراء العيونيين عاصمة لهم . (أنظر : عبد الرحمن بن عثمان الملا : تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، ص٥٦)، ولذلك قال عنها ياقوت الحموي (جـ ٤ ص٣٧٨) المعاصر للفترة الأخيرة من دولة العيونيين "إنها — أي القطيف — اليوم قصبتها وأعظم مدنها" .

٦٢ — الخط : تعددت الآراء في كون الخط ميناء بحرياً أو كلمة تطلق على سيف البحرين الممتد ما بين البصرة وعمان، أو تطلق على قرية أو مدينة ساحلية بحرينية، وليس هناك تعارض بين هذه الأقوال، فالخط كما قال الفيروز أبادي الشيرازي في القاموس المحيط، (دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ جـ ٢ ص٣٥٧، ٣٥٨) سيف البحرين ومرفأ السفن بها، فهو مدينة وميناء بحري بحريني، وهو قرية تنسب إليها الرماح الخطية، فقد كانت الرماح القنا تجلب إليه من الهند فتقوّم فيه وتباع للعرب . وكانت كلمة الخط تعني أيضاً مدينة القطيف، وقيل أنها كانت تشمل جميع المدن والقرى المجاورة بسيف البحر فهو يشمل القطيف والعقير وقطر وغيرها، وكان يسمى خط عبد القيس نظرا لاستئثار هذه القبيلة بسكناه، أنظر : الهمداني : نفس المصدر، ص٣٦٧، ياقوت الحموي : نفس المصدر جـ ٢ ص ٣٧٨، القزويني: نفس المصدر، ص٩١، حمد الجاسر : نفس المرجع، ص٦١٢ — ٦١٥ .

٦٣ — الزط والسيابجة : أنظر هامش ٢٦، ٢٧ .

٦٤ – دارين : أحد الموانئ البحرينية الهامة ويقع في الطرف الجنوبي من جزيرة تاروت التي تقع في الخليج شرق مدينة القطيف، وكانت سوقاً من أسواق العرب المشهورة ومرفأ لسفن الهند التي كانت تأتيها بأنواع الطيب، فيقال مسك دارين وطيب دارين، ولذلك كانت مركزاً من المراكز التجارية الهامة التي كانت تستقبل سلع الشرق، ونظراً لأهميتها فقد كان اسمها يطلق على جزيرة تاروت فيقال لها جزيرة دارين، أنظر : ياقوت : معجم البلدان، جـ ٢ ص٤٣٢، الحميري : الروض المعطار، ص٢٣٠ .

٦٥ – جواثا (جواثى) : حصن ومدينة داخلية كبيرة لعبد القيس في البحرين القديمة، قال عنه البلاذري (ص١١٤) إنه حصن البحرين . وجواثا أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة المنورة مما يدل على تمكن الإسلام فيها . (أنظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٢، ص١٧٤ – ابن عبد البر : الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر جـ ٣ ص٤٦١، ابن كثير : السيرة النبوية، جـ ٤ ص٩٢ – البداية والنهاية جـ ٥ ص٤٤)، وقد ورد ذكر جواثا ضمن قرى أو مدن البحرين دون أي معلومات عنها عند ابن خرداذبة (المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ، ص٢٤٩، ٢٥٢)، والراجح أنها كانت تقع بين هجر شمالاً ومدينة الأحساء جنوباً، ومكانها اليوم يقع شرقي مدينة القلابية في السعودية بالمنطقة الشرقية، ولم يبق من آثارها سوى أطلال المسجد – أنظر : عبد الحميد المعيني : نفس المرجع ص٢٤ .

٦٦ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٤، ابن الأثير : نفس المصدر، جـ ٢ ص٢٢٥ .

٦٧ – فتوح البلدان، ص١١٤ . ويقول ابن حزم وابن الأثير أن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل، فهم قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ومنهم الحطم وهو شريح بن ضبيعة . أنظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٣٠٠، ٣٠١، الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ٢ ص٢٢٥ .

٦٨ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١٠، ابن الأثير : نفس المصدر، جـ ٢ ص٢٢٧، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ ٢ ص٨٨٤ .

٦٩ – عن كيفية قضاء العلاء بن الحضرمي على المتمردين والعصاة في البحرين، أنظر البلاذري : فتوح البلدان، ص١١٤، ١١٨، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٤ ص٣٦١، ٣٦٢، الطبري : تاريخه، جـ ٣ ص٣٠١ – ٣١٣، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص٢٢٥ – ٢٢٨ .

٧٠ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص ٣١١ .

٧١ – المصدر السابق، جـ ٣ ص ٢٦٩ .

٧٢ – المصدر السابق، جـ٣ ص ٣١١ .

٧٣ – المصدر السابق، جـ ٣ ص ٣١٢ .

٧٤ – المصدر السابق، جـ ٣ ص٣٠٨، ٣١١، واللهازم : جمع لهزم، وهو الحد القاطع من الأسنة والحراب، واللهازم أيضاً لقب أطلق على قبائل عربية تحالفت فيما بينها وهي تيم اللات

(الله) وقيس ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وعجل بن لجيم بطن من بكر بن وائل، وعنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وقد ورد لفظ اللهـازم في شـعر الفرزدق إذ قال :

وقد مات بسطام بن قيس وعامر ومات أبو غسان شيخ اللهازم

أنظر : ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، جـ١٢ ص٥٥٦، ابن الأثير، الكامل جـ ١، ص٤٩٧، بطرس البستاني : محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٧٧م، ص٨٢٧، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية، هـ ١ ص١٧٠ .

٧٥ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣، ص٣١٣ .

٧٦ – المصدر السابق، جـ ٣، ص٣١٣ .

٧٧ – المصدر السابق، جـ ٣ ص٣١٠ – ٣١٢، ابن الأثير : نفس المصدر. جـ ٢ ص٢٢٧، ابن خلدون، نفس المصدر، جـ ٤ ص٨٨٤، ٨٨٥ .

٧٨ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٩، ٣١٠ – ابن الأثير، نفس المصدر، جـ ٢ ص٢٢٥، ٢٢٧ .

٧٩ – هناك رواية أخرى وهي الأصح وتقول أن المنذر بن النعمان بن المنذر الملقب بالغرور قد قتل أثناء القتال بين العلاء بن الحضرمي وبين العصاة والمتمردين الذين يعرفون بالمرتدين في حصن جواثا القريب من هجر عاصمة البحرين وقتذاك، وسواء كان هذا الأمر أو أنه بقي في هجر وأعلن إسلامه فإنه في كلتا الحالتين لم يكن مسلماً حينما خاض الصراع ضد العلاء بن الحضرمي . أنظر : البلاذري : فتوح البلدان، ص١١٥، ١١٦ .

٨٠ – كلمة أسوار وجمعها أساورة كلمة فارسية معناها الجيد الرمي بالسهام، وراكب الفرس، أي فارس . وكان هؤلاء الأساورة من كبار القواد والرؤساء في جيش كسرى فارس . أنظر : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٣٠، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية، هـ ٦ ص٢، هـ ١ ص٩ .

٨١ – الواقدي : نفس المصدر، ص١٤٨، الطبري : نفس المصدر جـ ٣ ص٣٠٣، ٣٠٤، ابن أعثم الكوفي: نفس المصدر، جـ ١ ص٤٥ – ٥٤، الكلاعي : نفس المصدر، ص١٦٥ – ١٦٨ .

٨٢ – الواقدي : نفس المصدر، ص١٥٢، ١٦٥، الطبري : نفس المصدر جـ ٣ ص٢٦٨ – ٣٠٤ – ٣١١، ابن أعثم الكوفي : نفس المصدر، جـ ١ ص٤٥ – ٥٤، الكلاعي : نفس المصدر، ص١٦٥ – ١٦٨ .

٨٣ – تتمثل القوى التي شاركت وحاربت العلاء بن الحضرمي في البحرين في بكر بن وائل، والفرس القادمين من فارس، والفرس المقيمين في البحرين، والزط والسيابجة وهم جنس من الهند

هاجروا إلى البحرين وسكنوها قبل ظهور الإسلام بكثير، أنظر : الطبري: تاريخه، جـ ٣ ص ٣٠٣، ٣٠٤، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص ٢٢٥ .

٨٤ — البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦، ياقوت الحموي: نفس المصدر جـ ١ ص٤٤٩ .

٨٥ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٢٨٠ ، ٣٤٣، الواقدي : نفس المصدر ص٢١٨ — ٢٢١ .

٨٦ — محمد حميد الله : نفس المرجع، ص١٢٠ .

٨٧ — فتوح البلدان : ص١١٤ .

٨٨ — محمد حميد الله : نفس المصدر، ص١١٥، ١١٨، ١١٩ .

٨٩ — فتوح البلدان : ص١١٠. ١١١ .

٩٠ — محمد حميد الله، نفس المصدر، ص١١٤، ١٢٠ .

٩١ — حمد الجاسر : نفس المصدر، جـ ٢ ص٧٩٩، ٨٠٢، عبد الحميد العيني : نفس المرجع، ص ٢٥ .

٩٢ — المكعبر (بكسر الباء) صفة لحقت بمرزبان الزارة لأنه كان يكعبر الأيدي أي يقطعها، وهي أيدي العرب التميميين الذين كانوا قد تعرضوا لعير كسرى فارس أثناء مرورها ببلادهم، فلما قتل هذا الرجل على يد البراء بن مالك أحد صحابة رسول الله ﷺ قيل : "مازال يكعبر حتى كُعبر (بضم الكاف)، فسمي المكعبر (بفتح الباء) . أنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ١ ص٣٤٩ .

٩٣ — مدينة الغابة لا نعرف عنها الكثير، فهل هي مدينة ساحلية وقريبة من الزارة والقطيف، ذكرها البلاذري فقال إنها مدينة (فتوح البلدان ص١١٧) قتل العلاء بن الحضرمي من بها من العجم ثم أتى الزارة ليحررها . والزارة مدينة ساحلية مما يدل على أن الغابة والزارة متقاربتان، بينما ذكر ياقوت في معجمه(جـ ٤ ص١٨٢) أنها قرية بالبحرين، وقال عنها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في معجمه (المنطقة الشرقية جـ ٣ ص١٢٥٧) أن كلمة الغابة في الأصل وصف للأرض المنخفضة، ولهذا فالاسم لا يختص بموضع واحد ولا يعرف في المنطقة موضع بهذا الاسم . وقد ورد هذا الاسم عند ابن خرداذبة (ص١٥٢) دون أي معلومات عنه إلا ما يفيد بأنها ضمن قرى البحرين .

٩٤ — البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦ — ١١٨، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ١ ص٣٤٩ .

٩٥ — البلاذري : نفس المصدر، ص١١٧، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ٢ ص٤٣٢، جـ ٣ ص١٢٦ .

٩٦ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١١، البلاذري : نفس المصدر، ص١١٧، ١١٨، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ٢ ص٤٣٢، جـ ٣ ص١٢٦ .

٩٧ – ابن سعد : نفس المصدر، جـ ٤ ص١٨٩، ابن الأثير : الكامل، جـ ١ ص٣٠٢، محمد علي التاجر : عقد اللآل في تاريخ جزيرة أوال، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر، البحرين سنة ١٩٩٤، ص٦٦ .

٩٨ – الواقدي : نفس المصدر، ص١٥٢، الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٤ – وعن الزط والسيابجة أنظر هامش ٢٦ و٢٧ .

٩٩ – الواقدي : نفس المصدر، ص١٦٠، ١٦١ – تاريخ الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٨ .

١٠٠ – تاريخ ابن خلدون : جـ ٢، ص٨٨٣ .

١٠١ – ورد اسم هذا الرجل على أنه عبد الله بن قيس الصباحي العبدي (أي من عبد القيس) وذلك عند ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة (جـ ٢ ص٢٦١) وقال إنه كان أحد رجال الوفد الذين وفدوا مع الأشج إلى رسول الله ﷺ، ونقل عن ابن إسحاق أنه دل المسلمين على عورة أهل الحصن بالبحرين، وهو يقصد بالطبع حصن جواثا .

١٠٢ – الواقدي : نفس المصدر، ص١٦٠، ١٦١، البلاذري : نفس المصدر، ص١١٤ – ١١٦، الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ٢ ص ٨٨٣ .

١٠٣ – البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦، ١١٧ .

١٠٤ – حمد الجاسر : نفس المرجع، جـ ٢ ص٧٩٩، ٨٠٢ – ٨٠٤ .

١٠٥ – محمد أمين أبو المكارم : من الزارة إلى العوامية صفحات من تاريخ البحرين، مجلة الواحة، بيروت، العدد الرابع، شوال ١٤١٦هـ/مارس ١٩٩٦م، ص١٠١ .

١٠٦ – السابون (سابون) : ورد هذا الاسم عند خرداذبة (ص١٥٢) على أنه ضمن قرى البحرين، ولكنه ورد في كتاب قدامة بن جعفر الملحق بكتاب ابن خرداذبة (ص٢٤٩) ما يفيد بأن السابون كانت كورة من كور إقليم البحرين ويجمع منها الخراج، يؤيد ذلك أن البلاذري ذكر في فتوحه (ص١١٧) أن السابون بها قرى (جمع قرية) غزاها العلاء بن الحضرمي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال عنها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في معجمه (المنطقة الشرقية جـ ٢ ص٨٢٧) أنها موضع مجهول في منطقة الخط (القطيف) وقد يكون في جزيرة تاروت، ولا يستبعد أن تكون السابون التي عدها المقدسي من بلاد الأحساء، وذكرها بالنون . بينما ذكرها ياقوت الحموي (جـ ٣ ص١٦٨) على أنها سابور وقال إنها موضع بالبحرين . وسابور أصلاً مدينة فارسية (ياقوت الحموي : جـ ٣ ص١٦٧) .

١٠٧ – البلاذري : نفس المصدر، ص١١٧ .

١٠٨ – بنو عامر بطن كبير من بطون عبد القيس . وكان هذا البطن بقيادة زعيمه السيد بن بشر العامري يقاتل مع الجارود بشر بن المعلى العبدي ومع العلاء بن الحضرمي المتمردين في البحرين حتى تم القضاء عليهم، أنظر ابن حجر : الإصابة، جـ ٢ ص١٠٣ .

١٠٩ – البلاذري : نفس المصدر، ص١١٨ .

١١٠ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١١ .

١١١ – المصدر السابق جـ ٣ ص٣١١، ٣١٢، ابن خلدون : جـ ٢ ص٨٨٤، ٨٨٥ .

١١٢ – اليعقوبي : تاريخه، جـ ٢ ص٨٩، الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١٥، ٣١٦، ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ٦ ص٣٣٥، كتابنا : عمان والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، مسقط، سنة ١٩٨٩، ص٢٨ هامش ٣٦ .

١١٣ – العوتبي : الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٩٨١م، ص١٤٨ .

١١٤ – البلاذري: نفس المصدر، ص١١٧، محمد أمين أبو المكارم : نفس المرجع، ص١١٧ .

# ملخصات المؤتمر الرابع عشر

## إدارة السجلات الإلكترونية

[ترجمة الملخصات التي قدمت في المؤتمر الرابع عشر للمؤتمر الدولي للأرشيفات الذي عقد في أشبيلية (أسبانيا) من ٢١ إلى ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٠م ونشرت من قِبَل وزارة التربية والتعليم والثقافة تحت رقم التسجيل ٨٤ - ٨١٨١ - ١٨٩ - ٦] *

إن التطور السريع في التقنية المعلوماتية هي من أهم البوادر الجلية التي ترمز إلى العالم الذي يتغير بسرعة فائقة . والمحفوظات الإلكترونية باختلاف أنواعها وأشكالها المتباينة تتطابق والأنماط الفنية المتغيرة من جيل لآخر . ومنها النظم القديمة العتيقة ومنها النظم الحديثة المعقدة متعددة الأشكال التي تتواجد مع بعضها البعض . فمن المهم أن نوحد المقاييس للنظم المختلفة وتطبيقاتها من أجل تدوين السجلات الإلكترونية والاحتفاظ بها . والمسائل المذكورة أدناه ستعالج وفقا للتوجيهات التي صاغتها لجنة السجلات الإلكترونية للمجلس الدولي للأرشيفات .

((ترجمة مركز الوثائق التاريخية في البحرين))

* اشترك (مركز الوثائق التاريخية) بالبحرين في الفرع الإقليمي العربي للوثائق (عربيكا) والمنبثق من المجلس الدولي للأرشيف وذلك منذ عام ١٩٧٨م وحتى الوقت الحاضر . ومن أهدافه :

١ - الحفاظ على التراث العربي الأرشيفي .

٢ - خلق وعي وثائقي في الدول العربية .

٣ - تعزيز التعاون بين الوثائقيين العرب وبينهم والمجلس الدولي للأرشيف .

# المؤتمر الدولي للأرشيفات واستخدامها في السياق العالمي

مادلينا كاتيلاس أنوز - أشبيلية



الوثيقة ١١٧

## مفهوم وتعريف السجلات الأرشيفية الإلكترونية :

إن السجل الإلكتروني يعني أنه سجل قابل لمعالجته واسترداده وتكييفه بواسطة نظام للكومبيوتر . وتختلف السجلات الإلكترونية عن السجلات التقليدية على النحو التالي :

* في استخدام الرموز .
* من حيث الارتباط بين المحتويات والوسيلة أو أداة التخزين . وللعلم، فأن السجل الإلكتروني غير مربوط بصفة دائمة بالوسيلة أو أداة التخزين .
* مواصفات الهيكل المادي والمنطقي .
* البيانات ما وراءها .
* تشخيص السجلات (الصحائف المبسطة ، والنظم متعددة الوسائل، وبعض أنواع قاعدة البيانات . . . الخ databases) .
* حفظ السجلات : الوحدات المادية (وسائل التخزين) . ويجب أن يتم التخزين في أحسن بيئة ممكنة آخذاً بالاعتبار بأن معظم نظم الكمبيوترات يصبح عتيق الزي بعد حوالي ١٥ أو ٢٠ سنة . ولن تكون محفوظـاتها متاحة بعد هذه المدة .

## دور ووظائف أمناء الأرشيفات :

إن إدخال التقنية الحديثة قد أحدث تغييرات جذرية عديدة في المجالات المختلفة للنشاط الإنساني وفي مواجهة التحديات والفرص المتاحة في حقل السجلات الإلكترونية الأرشيفية ، يجب على الأمناء المحترفين للأرشيفات أن يدركوا بأنه لا مفر من التغييرات الراديكالية في وظائفهم، وهي التغييرات في التدريب والتخصصات والمهام المعهودة لهم

وأدوارهم . وما دامت لم تحدث هـذه التغيرات، تفقد مهنة الأرشيف مصداقيتها تدريجياً . وتتحول المعاهد الأرشيفية إلى مجرد متاحف لبعض المحفوظات المعلوماتية .

والدور الذي يجب أن يلعبه أمين الأرشيفات في حياة السجلات الإلكترونية يمكن تعريفه بالقول بأنه عبارة عن سلسلة من الأنشطة، الهادفة إلى تشخيصها والاحتفاظ بها وصيانتها من أجل التأكد من سهولة منالها وقابليتها للفهم . ويمكن إحراز ذلك باتخاذ موقف متشابك متفاعل مع طيف المهام الأرشيفية ككل، في جميع مراحل دورات حياة السجلات الإلكترونية أي من مرحلة التخيل إلى مرحلة الإنشاء والصيانة وتشمل الصيانة الاحتفاظ بها وتوفير سهولة منالها . ويجب على أمناء الأرشيف أيضاً تركيزاً أكثر على المراحل المفاهيمية والإنشائية، وقد يجدون في الفترات الزمنية اللاحقة للحياة الإلكترونية بأن دورهم قد انتقص .

تدور الوظائف الأرشيفية حول ثلاثة مبادئ أساسية :

(أ) **التحكم على خلق السجلات** : مؤكداً على أنها موثوق بها ويمكن الاعتماد عليها وهي قابلة للاحتفاظ بها . وفي هذا المجال يجب على أمناء الأرشيفات أن يضعوا أمامهم دليلاً أو مرشداً يحدد لهم وظائفهم مما يسهل عليهم القيام بواجبهم بفاعلية مدعمين بمشاركة الخبراء من فروع مختلفة ومبدعي السجلات أنفسهم .

(ب) **التقييم** : يجب على الأرشيفات أن تمارس المراقبة الفكرية والعقلانية على السجلات الأرشيفية . وأن هذا التقييم الوظيفي المزعوم يجب أن يبنى على معلومات شاملة عن الهيئة التي أنشأتها وعن وظائفها وإجراءاتها، كما يجب أن يتم هذا في المرحلة التخيلية في دورة حياة السجلات الإلكترونية .

(ج) **الصيانة وسهولة الوصول إليها واستخدامها** : يجب على السجلات الإلكترونية الأرشيفية أن تكون في متناول اليد دائماً وسهلة الوصول إليها، وقابلة للفهم، وليست هذه سهلة نظراً لأن السجلات الإلكترونية تعتمد أساساً على التكنولوجيا المعلوماتية التي بدورها تتطور بسرعة .

## المسائل القانونية وسن القوانين :

يجب على المعاهد الأرشيفية والأرشيفيين أن يشاركوا بصورة فعالة في تطوير أساليب إنشاء السجلات الإلكترونية . وعلى الرغم من أنهم قد لا يكونون مرتبطين كلية بعملية تقييم واكتساب السجلات الإلكترونية إلا أنهم يستطيعون أن يؤثروا بقدر ملموس في تطوير القوانين والسياسات، وكذلك في وضع المقاييس والأعراف لإدارة السجلات الإلكترونية :

- الجوانب القانونية والسياسية .
- الجوانب التنظيمية .
- الجوانب الفنية .

## الاحتفاظ بالسجلات الإلكترونية :

وكلما تصبح نظم الكومبيوترات عتيقة والمعلومات التي تتضمنها تصبح غير متيسرة للأجيال المتتالية، يجب أن تنقل السجلات الإلكترونية إلى الوسائل الحديثة لضمان استمرارية تيسرها .

وللسبب نفسه يجب الاحتفاظ بتيسيرية السجلات الإلكترونية ، أي الاحتفاظ بالرقم الثنائي الذي يشكل السجل الإلكتروني ويحول إلى الأشكال التي يمكن للإنسان أن يقرأها . ويمكن تحقيقه بطرق مختلفة مع أن الطريقة الشائعة هي رؤية السجلات في شكلها الأساسي، بصرف النظر عن نوع السلع اللينة الأساسية :

- بواسطة "المنظارات" .
- بواسطة الرموز المعايرة .
- بواسطة الاحتفاظ بالصور الإلكترونية للوثائق .
- بواسطة الاحتفاظ بتصوير الورقة أو طباعة مظهر الميكرو للسجلات .

والاحتفاظ بقابليتها للقراءة قد يستلزم إدراك الحقيقة بأن بعض المعلومات لا تتضمنها السجلات . والمعلومات الموجودة في السجلات المتصلة بها قد تحتاج إلى تكملتها بالتوصيف الأرشيفي لمصدرها وسياقها التاريخي لإنشائها واستخدامها .

## أساليب توفير الوصول إلى سجلات الأرشيفات الإلكترونية :

إن الشرط المسبق لتوفير الوصول إلى السجلات الأرشيفية الإلكترونية هو تنفيذ الخطوات للاحتفاظ بها لضمان تيسرها وإتاحتها وقابليتها للفهم . والطرق المستخدمة لاستجابة الطلبات للوصول إليها، يجب أن تساعد المستخدم في معرفة السجلات التي تتواجد ومدى إفادتها لتفي بالغرض المطلوب وفي الوصول إليها وفهمها والتي تحتاج إلى مراقبتها الفكرية والعقلانية . وشرح محتويات وسياق وبنيان السجلات الإلكترونية .

وعلى العموم توجد ثلاثة طرق لتوفير الوصول إلى السجلات الإلكترونية الأرشيفية :

* النسخ على الوسائل المادية : الشريط المغناطيسي والقرص والقرص من طراز سي-دي-روم ويمكن تنسيخ الملفات الرقمية جزئياً أو كلياً (CD-Rom, Digital Files)

* التحويل عن طريق الاتصالات من بعد (Telecomunications) سلكياً أو لاسلكياً التي جعلها انتشار الإنترنت (Internet) سهلة المنال عن طريق "أون لاين" ولحد الإمكان يجب على (انتر فيس) السطح البيني المستخدم أن يكون منسجماً مع السطح البيني الوصفي .

* الاحتفاظ بالتوازن بين صيانة السجلات وتوزيعها فهو الدور الرئيسي للأرشيفيين . وتشمل الخبرة في هذا المجال في هذا العقد تحويل السجلات الرقمية إلى ميكروفيلم، وهي العملية التي قامت بها كل من الأرشيفات الوطنية في كندا، وجامعة ييل وجامعة كورنيل على سبيل المثال، وفي صيانة السجلات الأصلية وتوفير نسخ رقمية للاستشارة كما يحدث في الأرشيفات العامة للجزر الهندية . . الخ .

# صيانة وهجرة السجلات الإلكترونية :
# وضع الموضوع

**كنيت تيبودو**
مدير برنامج أرشيفات السجلات الإلكترونية

## مسألة صيانة السجلات الإلكترونية

تواجه الأرشيفات تحدياً متصاعداً في حاجتها للاحتفاظ بسجلاتها الإلكترونية . والمبررات وراء هذه التحديات واضحة وموثقة . وتعتمد المؤسسات أكثر فأكثر على التقنية الرقمية لنسخ ومعالجة وتخزين ونقل واستخدام المعلومات ضمن نشاطاتها العملية . وهكذا يزداد حجم السجلات المعدة إلكترونياً باستمرار . ويصبح هذا التحدي أكثر تعقيداً بسبب التطور المستمر في التقنية المعلوماتية في امتداد حدودها من حيث أقسام المعلومات التي يمكن لها أن تنتجها أو تعالجها، وكذلك من حيث تطبيقها في المجالات المختلفة . وهكذا تصبح السجلات المنتجة بصورة متزايدة أكثر تنوعاً وتعقيداً . ويكون لها تأثير ليس على السجلات الفردية فحسب بل على هيكل الأحجام الأرشيفية ككل . وبدورها تصبح هذه المسائل أكثر تفاقماً ناجماً عن سيف ذي حدين وهما التقدم المستمر في التكنولوجيا وجعل الأساليب القديمة بالية بسرعة فائقة .

## جوانب لمسألة الاحتفاظ بالسجلات الإلكترونية

إن ميدان التقنية المعلوماتية تجاهل مسألة صيانة المعلومات الرقمية على المدى البعيد عامة . ومع ذلك، في الأعوام الأخيرة، حصلت هذه المسألة على اهتمام متزايد في مجالات ومهن مختلفة . ولقد قدمت عدة اقتراحات في هذا الشأن . وتم اختبار بعضها

في إطار الوضع التجريبي وأقل منه بشكل عملي . ويمكن تصنيف أساليب الاحتفاظ بالسجلات الإلكترونية والأشياء المعلوماتية الأخرى في خمسة أصناف عريضة وهي :

* الاحتفاظ بالأسلوب الفني الأصل المستخدم في خلق أو تخزين السجلات
* استخدام الأسلوب الفني الأصل على رصيف جديد .
* نقل السلع اللينة الضرورية لاستعادة وتحويل واستخدام السجلات .
* ونقل السجلات لاستحداث الاستمارات .
* وتحويل السجلات لتطابق الأشكال القياسية

ولكل أسلوب مذكور أعلاه إيجابيات وسلبيات على السواء .

## ضرورة وضع أسلوب أرشيفي لصيانة السجلات الإلكترونية

إن الأساليب المذكورة أعلاه للاحتفاظ بالسجلات الإلكترونية لها قدر مشترك وهو إيجاد حل للمسائل الفنية الناجمة عن مرور الزمن . ولا يركز أي منها على وجه التخصيص على الاحتفاظ بالسجلات بالذات . وإن هذا التوجيه الفني ينقصه الصواب . والنجاح في إيجاد حل للمسائل التقنية لا يعني بالضرورة بأن الحلول المقدمة لها صلة بموضوع المتطلبات الفنية للاحتفاظ بالسجلات .

ومنطقياً، يجب على المبادئ الأرشيفية وأهدافها أن تملي الحاجات التي تفي بها الحلول الفنية . كما يجب على هذه الحاجات أن تكون مقاييس مستقلة يتم مطابقاً بها تقييم مستمر للحلول الفنية المقدمة وتعديلها وتقويتها بالإضافات أو استبدالها . ويجب على المتطلبات الأرشيفية للصيانة أن يكون أساسها مفهوم السجلات الإلكترونية، وذلك ليس كنتاج للتطبيقات الإلكترونية بل كأداة وحصيلة ثانوية للنشاط العملي في خلق السجل . والاحتفاظ بالأرشيف يتطلب أيضاً التقيد المستمر بمبدأ "الاحترام للخلفيات" في كافة فروعها . والميزان الأخير للنجاح في الاحتفاظ بالوثائق الإلكترونية يكمن ليس في مطابقته مع التجسيد الفني المطلوب بل هل هو لازال يوفر الثبوت القاطع للأنشطة التي خلق من أجلها ؟

## الهندسة المعلوماتية للاحتفاظ بالأرشيفات :

ومن دون شك تحتاج مهنة الأرشيف إلى بذل جهد شاق لتحديد متطلباتها الخاصة للاحتفاظ بالسجلات باختلاف أنواعها ولضمان مصداقية المصادر وأصالة خلفيتها عبر مرور الزمن . ومشروع "انترباريس" الذي أداره الأستاذ (دورانتي) من جامعة (بريتيش كولومبيا) في كندا يوفر فرصة لقاء بين الأرشيفيين من الجامعات المختلفة والمعاهد الأرشيفية وعلماء الكمبيوتر ومهندسي الكومبيوتر من سائر أنحاء العالم لينسقوا مجهودهم لوضع متطلبات أرشيفية خاصة من أجل الحفاظ على السجلات الإلكترونية الموثوق بها .

وجنباً إلى جنب هذا المجهود، أن الإدارة الوطنية للأرشيف والسجلات في الولايات المتحدة تكفل الأبحاث في مجال الاحتفاظ بالسجلات الإلكترونية . وتنفذ هذه الهندسة، مشروع منظمة المقاييس الدولية عن نظام معلوماتي أرشيفي مفتوح . وتمد الهندسة نطاق المرجع النموذجي بواسطة توضيح المتطلبات الأرشيفية ولمعالجة المسألة الأساسية الكامنة في تطور مستمر في التكنولوجيا، تقترح الهندسة أن تكون النظم المعلوماتية مستقلة عن الأسلوب الفني المستخدم في وقت ما . وبكلمات أخرى يجب أن تبنى النظم المعلوماتية بطريقة تمكن استبدال السلع اللينة المستخدمة في النظام بأقل تشويش في النظام ككل أو في السجلات المحفوظة .

## الاحتفاظ المستمر للمادة المبنية على جمعها :

إن هيكل إدارة المعلومات يتم تطويره من قبل "المشاركة الوطنية الأمريكية للمقومات الأساسية للحاسبات الآلية المتقدمة" وتعالج أبحاثها موضوع المتطلبات الأرشيفية للحفاظ على السجلات مع الاهتمام بمصادرها. وبدلاً من التركيز على المسائل الفنية، تركز هذه الطريقة على المواد التي يجب الاحتفاظ بها . والمواد هي عبارة عن السجلات وجمعها وتنظيمها وتصنيفها في حدود الأحجام الأرشيفية على اختلاف مستوياتها وطبقاتها . وإن طرق جمع المواد التي يجب الاحتفاظ بها متواصلاً تتضمن تلخيص سياق السجلات وهيكلها ومظهرها في الموديلات الرسمية . ومستخدماً اللغة المتمددة لتحديد العلامة (إكس — إم — إل) لتعريف الموديلات وكذلك مستخدماً اللغة على السطح العريض قابل

لامتداده (إكس – إس – إس – إل) لتعريف المظهر، تغلف هذه الطريقة السجلات بواسطة البيانات ما وراءها والتي جاء وصفها ضمن هذه الموديلات، وتحول السجلات إلى استمارة قد تكون مستقلة عن أية تكنولوجية خاصة . وإن هذا التحول، بالإضافة إلى صيانة السجلات إلى أمد غير محدد مستقبلاً، يجعل الاستفادة من التكنولوجيات المتقدمة ممكناً حتى التكنولوجيات المستقبلة غير المتواجدة حالياً في مجال إدارة وبحث ومتاحية وتوزيع السجلات .

## طريقة الاحتفاظ بالمواد المستديمة وقابليتها للتطبيق :

إن المبادرة لتطوير طريقة لجمع المواد المستديمة من السجلات الإلكترونية، لازالت في مرحلة التطوير والبحث، وستبقى في هذه المرحلة لفترة ما . ورغم ذلك توجد مبررات قوية، سواء في مجال التكنولوجيا أو الأرشيف، للاعتقاد بأنها لتنجح في مجال التكنولوجيا . ويجب التوكيد على حقيقتين : **أولاً**، أن الأبحاث غير موجهة لتطوير تكنولوجيات خاصة لتفي بمتطلبات الأرشيفات . بل إنها تقترح حلولاً أرشيفية بتطبيق التكنولوجيات المستقبلة الهادفة إلى استجابة طلبات جيل جديد من الإنترنت والبنية التحتية المعلوماتية والتجارة الإلكترونية والحكومة الإلكترونية . فعلى الأرشيفات أن تستفيد من الدعم الواسع السوقي للتكنولوجيا المساندة . **وثانياً**، حين تتوجه الأبحاث إلى المتطلبات الأرشيفية بالذات، ستكون لاستنتاجاتها تطبيقات أوسع في المجالات الأخرى مثل المكتبات الرقمية والمتاحف وجمع البيانات العلمية . وهكذا تستطيع المؤسسات الأرشيفية أن تتعاون مع المؤسسات الأخرى في تطوير التكنولوجيا المساندة في مجال الاحتفاظ طويل الأمد للسجلات والوصول إليها . وفي حقل الأرشيفات لقد أثبتت إفادة طريقة الاحتفاظ بالمواد المستديمة ضمن عدة اختبارات تجريبية أثناء تطبيقها على جمع مجموعات مختلفة بكميات واسعة . وإن هذه المظاهرة تطلبت نقل المجموعات إلى النظم المعلوماتية الأرشيفية من المصادر الخارجية، وفحص الوثائق، وقواعد البيانات، والطيف، والنظم المعلوماتية الجغرافية وفحص المواد الرقمية الأخرى التي تؤدي إلى خلق موديلات (إكس – إم – إل) وتحويل السجلات والاستيلاء على تنظيمات التجمع وفقاً لهذه الموديلات . وتخزين المجموعات المحولة والبيانات ما ورائية المربوطة بها،

واستعادة وتقديم السجلات المخزونة مستخدماً الأساليب التقنية المختلفة عما كانت مستخدمة عند خلقها في الأول .

# الوضع القانوني للسجلات الإلكترونية :

## دراسة مقارنة

**فيرني هاريس – جنوب أفريقيا**

إن مسألة الوضع القانوني للسجلات الإلكترونية تأخذ مكانها في إطار أرشيفي استراتيجي أوسع مستهدفاً كسب المراقبة على السجلات الإلكترونية ذات أهمية أرشيفية والتحديات في هذا الشأن على المستوى الدولي كالآتي :

## التشريع الأرشيفي :

وفي معظم البلدان يقصر التشريع الأرشيفي في جلب السجلات الإلكترونية بجدية في إطار الوسائل الأرشيفية . ويتم تقييم المسألة ضمن تحليلها المقارن بالتركيز على المشاكل التي تطرحها والحلول المكنة لتذليلها .

## القانون والشهادة :

إن قانون الإثبات يختلف من بلد إلى بلد . وعلى العموم تعتبر السجلات الإلكترونية شهادة ضعيفة حتى إذا قبلتها المحاكم . وهناك محاولات لإيجاد حلول لهذه المشكلة عن طريق وضع مقاييس ومعايير ووضع صيغـة للتشريع الجديد في هذا الشأن . ويجب تأكيد أهمية هذه المساعي خاصة بخصوص ترويج مصداقية السجلات في بيئة إلكترونية .

## مصداقية السجل :

لقد تم تلخيص الندوات حول مصداقية السجلات، كما تم تصميم المشاريع لوضع التعاريف والمفاهيم بهذا الخصوص . كما تم التأكيد على أهميتها المركزية للأرشيفيين . وهناك بوادر مشجعة بأن كلاً من منتجي السلع اللينة ومصممي النظم قد قبلوا ميزة المصداقية ووضعوا المعالم في هذا الاتجاه .

## الاعتبارات الاستراتيجية :

يقال أن المسألة الأساسية التي يجب على الأرشيفيين أن يفكروا فيها ويجيبوا عليها هي، هل يركزون مجهوداتهم ومواردهم لمواجهة التحدي في سبيل الحصول على المراقبة الأرشيفية على السجلات الإلكترونية التي تحتوي على مواد أرشيفية مهمة . والحجة معروضة داخل إطار التحليل المذكور وتركز على الحاجات الحقيقية على المستوى العالمي .

## الخاتمة :

يجب في الختام أن نؤكد على أمر يتطلب ممارسة الحذر . إن جميع محاولات الأرشيفيين للحصول على المراقبة على السجلات ذات مصداقية كمواد ثبوتية مقبولة في المحاكم قانوناً والمحسوبية في صيانة السجلات فهي محاولات ذات أهمية ثانوية والمهم في الحقيقة أولاً بأول هو المجهود الأرشيفي في البحث عن واكتشاف و تدقيق المعاني لمقتنيات الأرشيفات . ولأسباب استراتيجية قد يكون مهماً لمتخصص الأرشيف أن يلعب دور المدقق أو مصمم النظام أو محلل المخاطر أو المشرع . . الخ ولكن في نهاية المطاف. مهما كان مستوى ضمان السجلات مصداقية إلا أنها تحمل قدراً من الغموض والسرية من حيث معناها وأهميتها وارتباطها "بالحقيقة" . ما هي الحقيقة التي تنطق بها ؟ وعلى الأرشيفيين أن يبذلوا عنايتهم بهذه المسائل ويكونوا على اطلاع بأسرار المواد الأرشيفية في

حوزتهم، وألا يفقدوا ميزتهم الخاصة ويصبحوا مجرد موظفين مؤقتين يمكن الاستغناء عنهم .

# التكنولوجيا المعلوماتية وخدمات المستخدمين

كلاديا سالميني – البندقية – إيطاليا

يدور هذا البحث حول تحليل وتقييم بعض الجوانب المهمة جداً للصلات بين المستخدمين والتكنولوجيا المعلوماتية في مجال الأرشيفات . ويؤكد هذا البحث خاصة على الصلة بين الأساليب والأجهزة التقليدية والإلكترونية من جهة وإنشاء نظام معلوماتي لعامة الناس من جهة أخرى .

ويهدف هذا البحث إلى إيجاد وسيلة لتمثيل بيانات ذات عناصر متكررة ومتشابكة من حيث الزمان والمكان والمؤسسات والإدارة الأرشيفية وحل مسألة إيجاد ربط بينها وبين سياقها ومضمونها وهيكلها على اختلاف أحجامها .

وهناك مسألة أخرى تحتاج إلى حل . وهي عبارة عن كشف أداة مساعدة قديمة جداً، تنقصها بيانات ضرورية لمستخدميها لفهمها . وهذه البيانات "المفقودة" أو البيانات الضمنية تشكل أكبر عائق في سبيل إنشاء "سطح بيني" من أجل عامة الناس .

ويبنى هذا البحث على أهم المشاريع التي تحت التنفيذ حالياً في إيطاليا . والتحاليل والحلول المقدمة من قبل الأرشيفيين الإيطاليين . وبسبب التعقيدات التي تتواجد في تراث الأرشيفات الإيطالية، قد تساعد هذه الأمثال في توفير التبصر في حل المشاكل المماثلة في بلدان أخرى .

# تأثير التغييرات الفنية على نظرية الأرشيفات

لوسيانا دورانتي – كندا

إن العقد الأخير كان أكثر العقود غزارة في إنتاج المعلومات المسجلة بالمقارنة إلى العقود السابقة في مجال النشاط الإنساني . ومن سخرية الأقدار أن معظم هذه المعلومات

متاحة للناس بدرجة أقل بالمقارنة إلى الماضي . والنظم الخاصة للسلع اللينة تنتج المعلومات الرقمية وتديرها وتخزنها باستخدام التقنيات والوسائل المتملكة وأنها تخضع لديناميكيات صناعة الكومبيوترات . وتتلاشى وتختفي هذه المعلومات في حلقة تتجدد نفسها باستمرار وهي حلقة بالغة الثمن تصبح عتيقة الزي ومتعذرة الاستخدام بسرعة، وفي النتيجة لم يعد يشير مفهوم الصيانة الأرشيفية إلى الاحتفاظ بالوسيلة بل إلى معاني ومتاحية السجلات الإلكترونية .

وأكثر أهمية من ذلك أن المؤسسات والأفراد يخلقون السجلات المتعلقة بنفس الموضوع باستخدام الوسائل والأشكال المختلفة ومن الصعب إنشاء وصيانة الصلات الأرشيفية ما بين هذه السجلات وهي تحت الاستخدام فعلاً . وليس من الواضح إلى الآن كيف يمكن الاحتفاظ بهذه الصلات عبر زمن طويل . وعلى هذا الأساس لا تعتمد الصلات الأرشيفية على الاحتفاظ بترتيباتها بل على إمكانية وسلامة الملفات أو الوحدات العليا التي تعود إليها .

وفي نهاية المطاف فإن التكنولوجيا الرقمية جعلت مصداقية السجلات الحديثة الرائجة حالياً معرضة لتعقيد أكثر وهي حديثة العهد وكذلك تجعلها أكثر صعوبة في المستقبل . ولقد ظلت حرفة الأرشيف مهتمة بهذه المسائل منذ بعض الوقت . وإن عدداً قليلاً من المؤسسات الأرشيفية حاولت أن تعالج هذه المشاكل وعلى الرغم من أن هذه محاولات تشكل هيكل معلومات منهجية حالياً إلا أنها غير كاملة، ولا تعالج إلا مساحة ضيقة من السجلات الإلكترونية وتميل إلى معالجة المسائل الخاصة كلما واجهتها . والأمر الذي أبرزته هذه المحاولات هو أن مجرد تكنولوجيا لا تستطيع أن تحل المشاكل التي تطرحها السجلات الإلكترونية، وتحتاج إلى تطوير استراتيجيات وسياسات ومقاييس ملائمة لإدارة السجلات الإلكترونية طوال دوراتها الزمنية . مما يتطلب العودة إلى المفاهيم الأساسية لنظرية الأرشيفات . ويجب ألا تكون هذه العودة سلبية أن مفاهيم نظرية الأرشيفات بما فيها مفاهيم الدبلوماسية تحتاج إلى تطويرها في ضوء الحقائق الحاضرة . ومن أجل تحقيق هذا الهدف يجب أن نوضح معانيها الحقيقية بعد تجريدها من أثقالها الثقافية التي ألحقت بكل مفهوم في ظروف خاصة، وتوسعة كل جزء منه بقصد ضمها في نتائج مراقبة السجلات المعاصرة . ويعالج هذا البحث بعض المفاهيم

الأرشيفية / الدبلوماسية ويعرض كيف يمكن لها بعد تحديثها وتوسعتها أن تصبح وسيلة قوية لتطوير الاستراتيجيات والسياسات والمقاييس في إدارة السجلات الإلكترونية في مراحلها المختلفة من إنشائها إلى الاحتفاظ بها بصفة دائمة .

## المفاهيم الأرشيفية الأساسية :

إن المفاهيم الأرشيفية الأساسية التي تبنى عليها دراسة السجلات الإلكترونية والقرارات التي تتعلق بإدارتها هي من ناحية تسجيلها وموثوقيتها ومصداقيتها وصلاتها الأرشيفية وملفاتها وتسلسلها وأحجامها . وسيبحث مفهوم السجل في جميع أجزائه مع التركيز على دراسة أجزائه من حيث أشكاله العقلية والمادية للسجلات الإلكترونية المختلفة، ووظائفها من ناحية موثوقيتها ومصداقيتها عبر الزمن . ويتم مناقشة المفاهيم الأخرى من حيث ارتباطها بمفهوم السجل .

## الأساليب الأرشيفية الأساسية :

إن الأساليب الأرشيفية الأساسية التي يجب تطبيقها تطبيقاً صارماً في إدارة السجلات الإلكترونية هي في مجالات الانتخاب والترتيب والتوصيف والصيانة وتدعيم الموازين من حيث النظرية، وتوقيت ومسئولية الانتخاب والنتائج الناجمة عن تعريف الموثوقية بشأن السجلات الإلكترونية، ستدرس في ضوء الانتداب الرسمي من المؤسسات الأرشيفية . والغرض الأساسي من ترتيب وتوصيف السجلات الإلكترونية، سيوضع للبحث في ضوء المسائل النظرية المتعلقة بمتاحيتها بعد مرور الزمن . وإعادة النظر في الصيانة كعلم المنهج المرتبط بالمضمون والشكل والصلات العقلية، ستبحث ضمن الهجرة وقدرة الوثائق على أن تكون بمثابة المصادر .

## مستقبل النظرية الأرشيفية :

إن النظرية الأرشيفية، مثل نظرية أي فرع آخر للعلوم في تطور ونمو مستمر . ومفاهيمها وأساليبها يجب أن تتعرض لتحديات مستمرة، سواء كان داخلياً في تطبيقها

في نفس البيئة وعلى نفس المواد، أو خارجياً في بيئة جديدة، من أجل فهم ومراقبة السجلات المتنوعة الجديدة أو نظم السجلات في مواجهة المنافسات من المفاهيم والأساليب للعلوم المختلفة . ويحتاج ذلك إلى مواصلة الأبحاث واختبار الافتراضات ونتائجها . ومشاريع الأبحاث التي في انتظار التنفيذ لاحقاً، سيتم إعداد جدول قصير لها وتقديمها بهدف وضع المعالم المستقبلية للنظرية الأرشيفية .

# تطور العلم الأرشيفي كفرع من معرفة تثقيفية

هرمان رومشوتيل – بافاريا – ألمانيا

بعد الملاحظات التمهيدية عن المصطلحات والتعاريف يبدأ البحث بسرد الخلفية التاريخية ووصف قصير لمراحل تنمية العلم الأرشيفي وتحليله عبر زمن ممتد من الثورة الفرنسية إلى اليوم .

يركز البحث على تحرير العلم الأرشيفي من حيث النظرية والتطبيق العملي من نمطه السابق إلى أن يكون علماً تثقيفياً مستقلاً مكيفاً للأبحاث وتحديداً مفاهيمه منذ الخمسين سنة الأخيرة . ويبحث عن أهداف المعرفة والإدراك، والمواضيع (المحتويات والهيكل المنهجي) وأساليب ونتائج الأبحاث التي تمت إلى الآن، وقنوات المواصلات العلمية والعقائدية (المطبوعات والمؤتمرات والتنظيمات والتدريس المهني) . وفضلاً عن ذلك يعالج البحث أهمية التوجيه والتكييف والتأثيرات المتبادلة للعلم الأرشيفي والوصف المهني، وكذلك العلاقة بين العناصر الإقليمية والدولية للعلم الأرشيفي من حيث النظرية والتطبيق العملي له .

وختاماً يشير البحث إلى الرغبات الحاضرة في الأبحاث ودور المجلس الدولي للأرشيف في مزيد من التطوير للعلم الأرشيفي .

# تاريخ العلم الأرشيفي :

## استعراض التاريخ الرسمي

جان داهلين – مدير أرشيفات لوند الرسمية

كنقطة البداية يقدم هذا التقرير تقديماً قصيراً للملامح الرئيسية لتطوير كتابة التاريخ الرسمي وتاريخ العلم . وتركزت الأبحاث المبكرة على المؤرخين الكبار ونتاجهم . وتمت دراسة تأثير طرز التفكير المعاصر والسياسة الحاضرة، وكيف قام المؤرخون بتقييم نفس الحدث التاريخي بوجهات النظر المختلفة . وتعالج دراسة مهمة هذه الظاهرة حتى يتم تأسيس الكراسي الأكاديمية الجديدة وتؤخذ بعين الاعتبار تأثيرها على الأساتذة من حيث النظرية . ولقد أبدت الأبحاث الحديثة في كتابة التاريخ الرسمي ميولاً لدى المؤرخين للتحليل النظري للمدارس الفكرية أو نقابات المؤرخين مستخدماً أساليب العلوم الاجتماعية ونظرياتهم .

ويبحث التقرير وجهات النظر المختلفة المستخدمة في دراسة تاريخ العلم الأرشيفي ويشير إلى النماذج له في الأدب . والمشكلة الخاصة في دراسات تطوير العلم الأرشيفي هي الإلحاح لمراجعة المصادر داخل الحقل المهني الأرشيفي بصفة أساسية .

وفي الجزء الأخير يذكر التقرير المصطلحات المختلفة المتعلقة بدراسة تطور العلم الأرشيفي . وإن كان العلم الأرشيفي علماً متشابكاً مع عدة فروع للمعارف فلا يكون اصطلاح (علم كتابة التاريخ الرسمي) في محله بخصوص دراسة تطوير العلم الأرشيفي وقد يكون من الأفضل أن نشير إليه " كتاريخ العلم الأرشيفي" .

### مقدمة :

يناقش هذا التقرير وجهات النظر المختلفة في الدراسة التاريخية الأرشيفية ويقدم صورة إجمالية لهذا التاريخ وتبنى دراسة كتابة التاريخ الرسمي أو العلم الأرشيفي على

تحاليل المصطلحات الأساسية ومنها علم الأرشيفات وتاريخ العلم الأرشيفي وكتابة التاريخ الرسمية . وتتطلب هذه الدراسة مناقشة صناعة الأدب المعنية بها وما يجب الانتخاب منها .

## تاريخ العلم الأرشيفي:

إن التاريخ الرسمي للعلم الأرشيفي يثير جدلاً مشوقاً حول إذا كان الاصطلاح "تاريخ العلم الأرشيفي" ملائماً لعلم الأرشيف .

ومما لاشك فيه بأننا نستطيع أن نتعلم كثيراً من أدب علم التاريخ، ويجب على التقرير أن يعطينا ملخصاً قصيراً لوجهات النظر المختلفة عن علم التاريخ والمراجع المختلفة لدراسات هامة . وركزت الدراسات المبكرة في علم التاريخ على المؤرخين الكبار وكتاباتهم القيمة . وكان من أهم أساليب المعالجة هو الاعتماد على أسلوب التفكير المعاصر والسياسة الحاضرة . وكان موضوع الدراسة، هو اختلاف المؤرخين في تفسير نفس الحدث التاريخي . وفي الأبحاث الحديثة في علم التاريخ توجد ميول نحو التحاليل من حيث النظريات المنسوبة إلى المدارس أو نقابات المؤرخين مستخدماً أساليب العلوم الاجتماعية ونظرياتها . ويتناول التقرير ملخصاً قصيراً عن المداخل إلى علم التاريخ والمراجع الهامة المتعلقة بها .

ويقدم التقرير توصية أيضاً عن المصطلحات . وإن كان علم الأرشيف ذا علاقة بعدة فروع من المعارف، فقد يكون من الخطأ أن نستخدم اصطلاح علم التاريخ في دراسة تطوره . وقد يكون من المفضل أن نستخدم اصطلاح "تاريخ العلم الأرشيفي" .

## ما هو العلم الأرشيفي ؟

إن سؤالاً مهما لا يمكن الرد عليه بعد، هو هل يجب على التقرير أن يركز على العلم الأرشيفي كفرع من معرفة أكاديمية أم لا ؟ ويحاول التقرير أن يتعرف على التعاريف المختلفة للعلم الأرشيفي، والمتطلبات العلمية المختلفة للعلم الأرشيفي والمواضيع

المختلفة التي درسها الباحثون عامة في بلدان مختلفة . ومن أجل القيام بذلك يجب توزيع رسالة مع استبيان في ظرف مدة شهرين .

## انتخاب الأدب الذي يجب أن يكون موضع الدراسة :

إنني أقترح بأن يركز التقرير على منتجات المدارس الأرشيفية المختلفة والمجلدات الدولية والمجلات الوطنية الهامة .

# تاريخ العلم الأرشيفي في آسيا

دونج كوان يانج – مدير الأرشيفات الصينية

توجد أقدم آثار لإدارة وصيانة الأرشيفات في آسيا حيث يعود تاريخ تراث أرشيفي عبر ٣٠٠٠ سنة . ويهدف هذا البحث إلى استعراض الممارسات والإنجازات في حقل العلم الأرشيفي في آسيا من ناحية كتابة التاريخ الرسمي له . ويستهل البحث بذكر أقدم المواد الأرشيفية وتقييم أهميتها مع ذكر مستودعاتها وذكر الأرشيفيين وأنشطتهم كما كان في غرب آسيا في حوالي ٢٠٠٠ق.م. ومن ثم يكتشف البحث تاريخ النشاط الأرشيفي الصيني عبر ٣٠٠٠ سنة وتأثيره على البلدان المجاورة . ويأتي البحث بتفاصيل النظم الأرشيفية القديمة للاستنساخ وأساليب التخزين في البيوت الحجرية والدواليب المعدنية المصقولة . وتاريخ أكبر مستودع أرشيفي في العالم الذي يعود إلى ١٠٠٠ سنة، وضوابط وقوانين إدارة الأرشيفات الدقيقة، والمفاهيم المبدئية السائدة آنذاك عن الأرشيفات . ثم يتطرق البحث إلى معالجة نشوء وتطوير العلم الأرشيفي الآسيوي في ٨٠ سنة الأولى لهذا القرن واستحداثه، والتركيز على تحليل نشوء التدريب المهني في مجال الأرشيفات، ونشر الكتب والمجلات الأرشيفية، وتنظيم المعاهد والمنظمات المهنية، وإنشاء فرع لدراسة التاريخ الأرشيفي . وفي الختام، يناقش البحث ميزات تطور العلم الأرشيفي في آسيا منذ الثمانينات في القرن العشرين .

# نحو نظام التعليم الأرشيفي النموذجي

آنا ماريا دي ألميدا كارماجو – البرازيل

في عشية الألفية الثالثة ليس العلم الأرشيفي وحده في إعادة تقييم هيكله التنظيمي ومراجعه . كما أنه ليس وحده في البحث عن الثوابت في التدريب الأرشيفي من حيث التنظيم والتدريس والمواد الدراسية، في مواجهة التغييرات الهائلة التي يتميز بها العالم المعاصر . وأن القوانين التي تستجيب لديناميكيات العصر الذي يطرح تحديات معقدة على المجتمع بسرعة فائقة لا تترك مجالاً لاستيعاب إضافات جديدة، مما يثقل سوياً على الحقول المختلفة كافة، فيتذبذب ويتقلب الميزان بين الطلب للإجماع والعمومية من جهة، وتحديد الحدود والهويات من جهة ثانية . وقد تعرض العلم الأرشيفي لمثل هذه القوانين بطريقة صارمة البتة .

وإن كان هناك إجمال حول مكانته العلمية أي من حيث استقلاليته كمجال من مجالات المعرفة، فلا يتفق المؤلفون على انسجامه مع فروع المعارف الأخرى . وهذه اللعبة في التقدير التقريبي باسم الانسجام والتناغم في المواد الدراسية والاقتصاد في استخدام الموارد في تدريس وتدريب المهنيين، لم تساعد في تكامل المفهوم الأرشيفي كي يتفق الجميع عليه بشكل فعال .

إن التشعب يؤثر في الاستراتيجيات المهنية . وبجانب التعليم التدريجي التداخلي المتصف بالنظريات في المعاهد الأكاديمية، يوجد أشخاص يؤيدون التدريب المستمر في بعض المهارات لمن لا توجد لديهم المؤهلات غير التي تطلب منهم سوق العمل بصفة عامة أو لديهم مقدرات عملية وفورية في نطاق العمل . وما مدى إمكانية تصنيف الأوضاع الخاصة المتنوعة التي قد يواجهها الأرشيفيون كقواعد أساسية يبنى عليها علم الأرشيف ؟

إن البرامج الدراسية، بدورها، حتي إذا كانت موجهة إلى نواة المواضيع الأساسية، تنشئ أقساماً مستقلة تظهر متنازعة فيها حتى من حيث النظرية . وعلى سبيل المثال يمكن ذكر المادة الدراسية التي فيها تبويب للأرشيفات الحاضرة مقابل الأرشيفات الدائمة، والأرشيفات العامة مقابل الأرشيفات الخاصة، والوثائق النصية مقابل الأيقونات . . الخ . ومن المعضلات الماثلة : التعليم العام إزاء التعليم الخاص . وإلى أي حد تتوافق هذه التقاسيم مع المواقف الواعية يختارها الأشخاص المكلفون بالتدريب المهني للأرشيفيين ؟

يفترض كل إجراء تعليمي، ترويج وتطوير بعض القدرات الخاصة ملائمة لتطبيقها على العمل المهني، وخلق روح انتقادية، وتحقيق إتقان في عملية جمع المعلومات وتوزيعها في مجالاتها المختلفة . ونستهدف دراسة إمكانيات إثارة هذه الاستفسارات بشكل متوازن من خلال الدورات التدريبية التأهيلية للأرشيفيين بصرف النظر عن مستوى مؤهلاتهم السابقة . وبعد طرح المواد غير الضرورية وعدم إضافة المهام الضمنية (مثل الإدارة المؤسساتية) يجب على الحرفيين في مهنة الأرشيف أن يكونوا قادرين على الأعمال الآتية :

١ — استخدام اللغة الملائمة .

٢ — إيجاد وكشف المعلومات .

٣ — التقييم الدقيق للمظاهر والوصف التوصيفي و / أو التوضيحي النموذجي للحقل .

٤ — وضع النماذج البديلة .

٥ — نقل المفاهيم إلى الظروف غير المتوقعة .

٦ — تحديد حقول معارف خاصة وتكاملها مع مجالات مرتبطة بها .

٧ — تطبيق أدوات مناسبة في العمل .

٨ — إيجاد منتجات ناجمة عن المواصفات .

# حقول جديدة وأرشيفات جديدة

ليوبولد كامير هوفر – النمسا

## النقطة البدائية – ميول العصر الرقمي

إن العصر الرقمي الذي يؤثر على كل شيء وكل شخص قد أدى إلى فائض هائل في المعلومات، ويرجع سببه إلى كل من "كثرة الكلام والوهم وإدخال البيروقراطية والتطور السريع في العلوم والتكنولوجيا، ووجود الكمبيوتر وآلات الطباعة والورق في كل مكان . وهناك فرق أساسي بين المعلومات (الرقمية) والسجلات الأرشيفية التقليدية (المماثلة) . وتحويل السجلات إلى الرقمية يتطلب ترجمة الكلمات والصور إلى تركيبات رقمي الصفر (٠)والواحد (١) ومعناه أن مضمونها أو رسالتها لم تعد مرتبطة بالوسائل المادية الخاصة كالورق والبرشمان أو الشريط والفلم . . الخ .

وفي الوقت الحاضر، حسب الميول العالمية، يوجد ارتباط قوي بين الأفعال الفردية وأنماط الحياة المحلية، مما يؤدي إلى التمركزية (عملية المنطق) واللاتركيزية (الوظيفة وتطبيق العمليات) والعولمة وانهيار حواجز الزمان والمكان، وشطب التقارب الجغرافي كأساس وحيد للصداقة والتعاون والنزهة وحسن الجوار .

ويرجع الفضل إلى المرونة وتعبئة الطاقات المتزايدة لإثارة الشكوك حول النماذج التنظيمية في الإدارة والإنتاج (التمركزية وهيئات السلطة والإنتاج على نطاق واسع) واختيار أشكال راديكالية أكثر نظراً لمتاحية المعلومات غير المحدودة وإدخال الأساليب الديمقراطية . وتستهدف تطبيق العقلنة والذاحركية في الأعمال الروتينية تحريض الإدارات والحكومات إلى قبول "الحكومة الإلكترونية" أي (حكومة شفافة) وتحويل إجراءاتها نوعاً إلى الشفافية .

وتحل أساليب العمل الديناميكية ، مبنية على قاعدة تكنولوجية متغيرة بسرعة فائقة، محل الطبقات الإدارية المستقرة . والمواصلات الحديثة التي تستخدم الإنترنت

تورد تغيرات جذرية في المواقف التقليدية في التشريعات التي تهم المواصلات العامة والخاصة .

نحن نعيش الآن في وقت، لم تعد الأرشيفات ومن يعمل بها بعيدة ومخفية عن أنظار العالم وراء الأبواب المغلقة كما كان الوضع في الماضي . وقد مضت أيام تدوين الوثائق التاريخية من وراء الستار . وإن الأرشيفات الكلاسيكية التي احتوت على كنوز القرون الماضية ليست إلا تراثنا الثقافي . والأرشيفيون معرضون بشكل متزايد لأنظار عامة الناس المحدقة . كما تصعد مطالب الجمهور للاستفادة من هذا التراث . ويبدو أن التكنولوجيا المعلوماتية تطرح أمامنا حلولاً جاهزة لتحقيق هذا الهدف . (الاستخراج الرقمي والوصول إلى "أون لاين")

وقد أدى العصر الرقمي إلى الإفراط في كمية المعلومات . وفي نفس الوقت هناك غزارة المعلومات الخاطئة . وإن مراكز البيانات والشبكات الحديثة تحمل أحجام السجلات الأرشيفية ما يفوق طاقتها لاستيعابها . وتتعلق السجلات لمواضيع شتى مما يجعل التمييز على المستوى الجغرافي والذهني بين الحياة اليومية الحاضرة من جهة وبين الماضي والأرشيفي من جهة أخرى غير وارد أو على الأقل تغيرت ملامحه .

إننا نحافظ اليوم على السجلات الأرشيفية أكثر من أي وقت مضى لأسباب الزهو أو من أجل الأجيال القادمة . غير أن رجلاً مسناً ذا ذاكرة قوية يحافظ على المعلومات لمدة أطول من حياة الأجهزة الأرشيفية العصرية . وإن مفهوم "السجل الأرشيفي" قد اكتسب أهمية حديثة وأصبحت السجلات جزءاً للوقت الحاضر، وسرعان ما تتلاشى في وقت قصير وتستبدلها سجلات جديدة .

## السجلات الأرشيفية الجديدة :

إن دورة حياة السجلات الإلكترونية تتأثر بسبب كثرة المعلومات التي تنتج بغزارة وسرعة وسهولة، ويتم إعادة إنتاجها وتوزيعها واستعادتها بواسطة نظام اعتباطي ( أي يمكن عزلها عن النظام التشغيلي) كما يمكن إتلافها بشكل لا يمكن التحكم فيه .

وليست السجلات الإلكترونية مجرد صنف جديد "للمصادر" كسجلات البرشمان، والميكروفورم والخرائط والأفلام بل إنها قد أدت إلى تغير جوهري في معادلات نظرية الأرشيفات والعمل بها .

تؤثر الرقمية في كافة مجالات الحياة سواء خاصة أو عملية . وستسيطر على العقود القادمة في أشكالها المخلوطة (أي الرقمية جزئياً والذرائع التقليدية جزئياً) والذرائع ما فوقها (هايبر) ومنتجات الوسائل المتعددة، وكميات كبيرة من السجلات الورقية . وفضلاً عن ذلك، إن العملية الرقمية ستمتد ليس إلى منتجات الفيديو والتليفزيون فحسب بل تشمل تسجيل الصوت وسجلات الأملاك ودفاتر الشركات والأشعة السينية ومشاريع البناء والهندسة المعمارية وكذلك جزءاً من موجودات الثقافة الكلاسيكية المتواجدة في الأرشيفات (الأيقونات والفيديو والوسائل الصوتية أيضاً) .

إن النظم متعددة الأنواع تقضي على الترتيب التسلسلي للسجلات أو على تصنيفها حسب فئات مختلفة . وهكذا "توحد" التقاليد الشفهية والنتاجات الكتابية للبيروقراطيين والمنتجات السوقية متعددة الوسائل، وكلها أو (نحو ذلك) بالشكل الرقمي المترابط بالوسائل الفوقية (هايبر) والمتاحة عن طريق "أون لاين" . غير أنه من المفيد أن نفرق بين الفئات المختلفة الآتية :

١ — أن السجلات الإلكترونية المبنية على نظم إدارة السجلات أو نظم جريان العمل (وورك فلو) أو السجلات المنظمة بالطرق الأوتوماتيكية أو شبه الأوتوماتيكية ( المحولة إلى الرموز جزئياً مع التوقيع الرقمي) .

٢ — نظم المعلومات الجغرافية والخدمات المعلوماتية العامة(الموسم والتوقيت والمرور والسياحة) .

٣ — الطب التلفازي (الطيف ونظم تدوين المعلومات في المستشفيات والنظم المعلوماتية للأطباء والمستشفيات، والتاريخ الشخصي الإلكتروني للمرضى والتشخيص عن بعد، والتشخيص عن طريق الطب الإشعاعي، وجعل الأساليب التشخيصية أوتوماتيكية، والنظم المعلوماتية الصحية، وفي نطاق أوسع، ما يتعلق بالأدوية وإجراءات الحصول

على الموافقة للأدوية وتوثيقها، وتدوين تأثيراتها الثانوية مع البيانات من عدة مصادر .

٤ – القواعد المعلوماتية العلمية كمصدر للسجلات المتعلقة بتاريخ العلم واستخدام المعلومات .

## السجلات السمعية والبصرية :

ومن المنتظر أن التسجيلات السمعية البصرية ستزداد بسرعة حجماً . والطلب الهائل للمواد السمعية البصـرية ستؤدي إلى تطوير التقنيات التسويقية والتوزيعية الجديدة .

ويصبح الراديو والتليفزيون الوسائل الرقمية وتوفر لنا حرية الوصول المطلقة إليها جزافاً مثل الجرائد والكتب . ولم يعد المستمع أو الشاهد مقيداً بالأوقات المحددة مسبقاً للنشر أو الإنتاج . ويتطلع الناس إلى الالتقاط بدلا من البث (تلفاز على الطلب مقابل دفع الأتعاب) .

– إن التنسيق بين التليفزيون والاتصالات بعيدة المدى والتكنولوجيا المعلوماتية سيؤدي إلى ظروف جديدة للإنتاج والتشغيل في حقل الراديو والتليفزيون . وفي معظم الأحيان تضطر السجلات السمعية البصرية إلى التنافس مع النظم المخلوطة المعقدة (الورق وميكرو أفلام والوسائل السمعية البصرية التقليدية والوسائل الرقمية) . وإن مزايا السجلات السمعية البصرية ستبقى كمـــا هي (متانة الوسائل المادية والاحتفاظ بالمعلومات) . وبالإضافة إلى إدخال الرقمية إلى الأفلام القديمة والمسارات الصوتية توجد منتجات رقمية جديدة ما فوق الوسائل (معلومات تربط ما بين الوسائل بقدر عال) ويمكن وصفها كمجموعة "الوسائل اللينة" التي يمكن تجسيدها بطرق مختلفة بصرف النظر عن قواعد البيانات التي أخذت منها .

**– وفيما يلي مثالان لهذه الظاهرة :**

١ – مشروع يورو لوسائل الإعلام لتطوير "الأساليب الأرشيفية" ومحركات البحث للوصول السريع (الوصول من بعيد) إلى الوصف والمضمون. وفي نفس الوقت يتم

تطوير المقاييس من أجل السجلات الرقمية متعددة الذرائع، وأدوات الفيديو الأوتوماتيكية التوصيفية والنظم العقلانية القادرة على أن تتميز طيف الذاكرة متكرراً (تمييز الموديل التكييفي) .

٢ – الطلب من بعيد (نظم الاتصالات والتسجيل الأرشيفي للصور، والتشخيص بواسطة الأشعة) في مركز الصحة الاجتماعي في فيينا . والمشاريع لاستحداث النظم الصحية في بلدان العالم الثالث ( بتمويل من البنك العالمي) .

## المهام الجديدة :

لقد أدى التطور في التكنولوجيا المعلوماتية إلى أزمة حادة في هوية مهنة الأرشيفات . غير أن المهام الأرشيفية الأساسية والحرفية عند التنفيذ تتطلب اليوم مهارات أكثر من أي وقت مضى . (تقييم القيمة الأرشيفية وانتخاب المواد الأرشيفية وصيانتها وتوزيعها وتوصيفها كضمان لمتاحيتها في المدى البعيد) . وفضلاً عن ذلك تجري حالياً إعادة تقييم "السجلات" أو "بيانات غير متداولة" في مجالات واسعة النطاق (الإدارة والاقتصاد وصناعة الفراغ)، ويتنبأ الناس بأنه في المستقبل يشيع استخدام الوقب في الإنترنت كما تستخدم القوابس في الكهرباء اليوم . وإن صح التعبير، تنبثق المعلومات من الوقب، وتعمل الأرشيفات والمكتبات والمتاحف "كمحطات الطاقة" لأغراض هذا النوع من "الطاقة" .

ونظراً إلى التقدم الهائل السريع في إنتاج السجلات قبل أن تصبح الأرشيفات. يجب أن تجرى مناقشات مستمرة عن النظريات والممارسات الأرشيفية مستهدفاً مواصلة الأبحاث من خلالها في مجالات التكنولوجيا المعلوماتية وإيجاد السجلات .

إن المبادئ الأرشيفية (المصدر والاستراتيجية التقييمية والموثوقية ومتانة السجلات وتقنيات الاستعادة، التوزيع والتوصيف، والخدمات لعامة الناس والأبحاث) يجب أن تكيف وفقاً للأشكال الجديدة للسجلات التاريخية كي تتطابق مع مهام مراقبة بعض الأنشطة الإدارية والإجراءات الإنتاجية . وإلا هناك مخاطرة ضياع المعلومات ( مع مهام إنتاج من غزارة المصادر المتطابقة) كلها أو قد تتولى مهن أخرى مهام الأرشيف مستقبلاً .

ويبدو أن التركيز على "السجلات" الحاضرة قد يجعل "السجلات الأرشيفية القديمة" مهملة . وعبر أزمان طويلة، قد جعلت عناصر الحسد والسرية والكسل وكذلك الإتلاف المتعمد لمكتسبات الحكمة والثقافة، نقل المعرفة صعباً جداً أو مستحيلاً . غير أن تكاثر الألغام الأرضية، وأنقاض الفضاء، النفايات النووية والتكنولوجية الجينية . . الخ تفرض علينا "وضع نظام أخلاقي متكامل جديد يصلح للأجيال المتداخلة" (الاتفاقية ما بين الأجيال) . وأن وضع أساس للتقليد عن طريق الانتخاب الحرفي والممارسات التقييمية فهو من المهام الرئيسية للجالية الأرشيفية . ويجب على الأرشيفيين ليس الحفاظ على المعلومات فحسب بل على السياق والمهام والبيانات ما بعدها . فخبرتهم المهنية تفرض عليهم مسئولية بناء جسر الاتصال بين العالم المعاصر والأجيال القادمة ونقل المعلومات إلى الأخلاف .

إن وفرة المعلومات ميزة من ميزات الوقت الحاضر . ولا أحد يكسب الحكمة من مجرد جمع المعلومات . (فيمكن لأي ولد أن يجمع المعلومات عن طريق الإنترنت) لكن الأمر الذي يميز الخبرة المهنية والسعادة الشخصية هو القدرة على "رفض المعلومات" . و "اكتشاف واختيار المهم والكشف عن عدم موثوقية المادة، وإخراج معلومات غير مفيدة، وتطهير الذهن من الغير مفيد مثلما يحصل بخصوص القرص الصلب أو المكتبة أو الأرشيفات . ويصبح هذا مهمة هامة لدى الأفراد والثقافات كافة والإنسانية جمعاء" .

والتقليل المتزايد في الإجراءات البيروقراطية والتحرك نحو "حكومة مفتوحة" أو "حكومة إلكترونية" تسهل الوصول إلى المعلومات، يثير السؤال حول إذا كانت هناك حاجة للأرشيفات . وتفيد الخبرة السابقة بأن التسهيلات في الإجراءات البيروقراطية في الحقيقة لا تهدد وجود الأرشيفات . وبالعكس إن حجم مقتنياتها وحقول معاملاتها تتوسع أكثر، كلما حاولت الإدارة محو المعلومات غير المفيدة من الجهاز التشغيلي . وأن الإجراءات الإدارية في الإدارات العامة قد أصبحت متكاملة أكثر فأكثر في تطبيقات أخرى " والاحتفاظ بالسجلات الإلكترونية" (محو السجلات من النظم التشغيلية) يتوارى تدريجياً كتطبيق مستقل . ويتم تحويل السجلات الإلكترونية إلى الخدمات التي تخضع لتطبيقات أخرى . فتأخذ شكلها تلقائياً حسب مفاهيم تطبيقات التكنولوجيا المعلوماتية .

وفي نهاية المطاف يحصل الانضمام بين إدارة المعلومات وصيانة السجلات، وإذا لم يتقدم الأرشيفيون بمهاراتهم فيفقدون مصداقيتهم في دورة حياة السجلات الإلكترونية (وفي المسائل الأرشيفية على العموم) . لذلك يجب على الأرشيفيين أن يلعبوا دوراً نشيطاً في تحديد الأوضاع النسبية بخصوص مراقبة الإجراءات الإدارية . وذلك عن طريق تحديد المعلومات التي يجب على الإدارة أن تحتفظ بها والتي يسمح توزيعها والتي تحذف . وفي النتيجة، تكسب مسألة استقلالية الأرشيفات ومهامها ( الأرشيفات الموزعة أو الوكالات المركزية المالكة) والتشابك مع "الشبكات الثقافية" الإقليمية والدولية أهمية أساسية .

وبدأت كل من الإدارة العامة والشركات والراديو ومحطات التليفزيون تحس أهمية البيانات كعامل اقتصادي واندماجها إلى إدارة الأعمال للشركة . وتوضع هذه البيانات في الهيكل الأرشيفي ويتم تقييمها حسب إفادتها في الإنتاجات المقبلة والعمليات التجارية والخطط الاستراتيجية . ولقد أدى هذا الميل والفائض في المعلومات إلى الحاجة إلى تدوين الوصف الأرشيفي وتقييم وتوصيف السجلات بالمنظور الحرفي لتجنب الانتخاب الخاطئ وهو التناقض الناجم عن المعلومات غير الدقيقة المتزايدة . إن انتخاب المعلومات ذات قيمة أرشيفية (أو المعلومات التي يمكن إعادة استخدامها) وحذف المعلومات غير المرغوب فيها، هما مقياسان مهمان . وتفقد المهنة الأرشيفية وصايتها إذا لم تجد طرقاً جديدة للاحتفاظ بها . وفي المستقبل المنظور فإن استراتيجيات البحث وانتخاب المعلومات ستتم من قبل مشغلي المكائن وتصبح المشاركة الفعالة في تصميم الهندسة المعلوماتية المستقبلية . و "المعلومات، خاصة المعلومات المرتبة مع التعليقات تجعل "نقل المعلومات" عاملاً اقتصادياً هاماً وحيوياً في المستقبل .

## التحديات والفرص والمهام والكفاءات

تطرح التكنولوجيا المعلوماتية تحديين للأرشيفات والأرشيفيين وهما :

١ — المراقبة على إيجاد الحجم .

٢ — وتطبيق التكنولوجيا على الخدمات الأرشيفية .

وفي نفس الوقت تقدم التكنولوجيا المعلوماتية فرصاً عديدة إذا اهتمت مهنة الأرشيف بها وأعادت حساباتها ومواقفها تجاهها لتستفيد منها .

### التعريف والمكان

الاهتمام بإيجاد العمليات الأوتوماتيكية وضمان الإجراءات الأرشيفية والعودة إلى مهام الصيانة وراء الكواليس للخلفيات التاريخية، ومبادئ التدخل والمبادرة، والتعامل "بالشبكات الثقافية المحلية والإقليمية" .

### الكفاءة المنهجية

تتعرض أساليب العمل والتنظيم لتغييرات جذرية . و "أية مادة يمكن تكرارها ستعود مستقبلاً إلى المكائن للإنجاز" . وإن إدارة المعلومات ومراقبة القدرات المعلوماتية ستكون لهما أهمية كبيرة . وإنتاج الوثائق الإلكترونية يستند إلى مراقبة تطبيقات الكومبيوتر بصورة متزايدة . ويجب على الأرشيفيين أن يساهموا بشكل فعال في مفاهيم هذه التطبيقات، ويعدلوا مناهجهم ومراقبة أساليبهم في ضوء مهاراتهم الخاصة في تعريف العناصر الأرشيفية . وفي المستقبل يأتي الوصف تلقائياً . كما يتم إعداد الخلفية وترتيبها في مرحلة إنتاج السجلات . وتتخذ قرارات لفتح السجلات وإلغائها وانتخابها على أساس المفاهيم المدونة مسبقاً .

### الكفاءة الفنية

ومثل الأطباء والمعماريين يجب على الأرشيفيين أن تكون لديهم مهارات فنية لممارسة مهنتهم بالكفاءة الحرفية والمهارة . وكسب المهارات الحرفية يساعد في تقييم المخاطرة والتقيد .

### الكفاءة في الجوانب القانونية

(حقوق الطبع والحقوق الأخرى والقيود المفروضة على استخدام الأرشيفات، والتشريعات الأرشيفية عن الوصول إلى المعلومات) .

**المسئوليات المالية**

(تخمين التكلفة ومراقبتها)

**الإفادية**

(الخدمات تضاف إليها القيمة) وإفاديتها للإدارة العامة

**توجيه الخدمات وتكييف المستخدمين**

التوزيع والمطبوعات : دور الأرشيفات والأرشيفيين في النظم المعلوماتية "أون لاين"

**المواصلات والتنظيم**

إعادة تعريف المواصلات الداخلية (داخل المؤسسة أو المهنة) والمواصلات الخارجية (ذات صلة بفروع المعارف المختلفة، وعبر الحدود، والعالمية) .

**التدريب الرسمي وغير الرسمي والتدريب المستمر**

لن يكون رد الفعل من المعاهد التدريبية سريعاً للاحتياجات المتغيرة . مما يجعل التدريب غير الرسمي داخل مؤسسة أو في بعض المجالات الحرفية يكسب أهمية متزايدة (مثل التدريب المبني على الكومبيوتر) .

# مكانة الأرشيفات في المستندات القانونية

جوزي ماريا ديسانتي كوانتر – أسبانيا
جامعة مدريد

- مفهوم السجل الأرشيفي .
- السجلات الأرشيفية .
- أنواع السجلات .

يجب أن ننظر إلى مفهوم السجل الأرشيفي الأساسي كنقطة البداية لتوجيه نقاش حول الموضوع المطروح . ومن أجل ذلك علينا أن نفرق بين الوظيفة القانونية للسجلات وبين وظيفتها المعلوماتية . وفضلاً عن ذلك أن تصنيف السجلات الأرشيفية يجب أن يتم بشكل يوفر مفهوماً عاماً يمكن تبنيه في كافة مجالات القانون التي تتعلق بالأرشيفات .

## الأرشيفات ولوائحها

- التصنيف التقليدي للسجلات الأرشيفية .
- التحديد القانوني للحقائق الأرشيفية .
- دراسة مقارنة للتشريعات عن السجلات الأرشيفية

يحدد القانون بعض الحقائق التي يراها مفيدة لأي سبب ما لينظمها كي يراقبها ويحميها ويروجها ويطورها . والمجالات القانونية ليست متماثلة في جميع الحالات الخاصة ومنها السجلات الأرشيفية باختلاف أنواعها .

فمن الضروري أن نضع نمطاً لتصنيف السجلات الأرشيفية بصفة عامة لنفرق بين السجلات الأرشيفية العامة والخاصة، وعلى سبيل المثال أن نفرق بين السجلات الورقية والإلكترونية . وإن هذه الافتراضات، بالإضافة إلى مصادقة تنظيم الأرشيفات بالقانون، بصرف النظر عن هوية المنظم، تفيدنا في توفير إطار لتسجيل نتائج الدراسات المقارنة عن التشريعات حول السجلات الأرشيفية . ولهذا الغرض يجب وضع جدول بخطوط إحداثية تظهر أصناف السجلات والمستندات القانونية .

## الاعتبارات الدستورية والعالمية عن الوثائق

- اللوائح الدستورية عن الوثائق .
- مراجعة الوثائق العالمية .

والقوانين العامة من الأجزاء التعسفية للدستور تميل إلى النظر إلى السجلات الأرشيفية كتراث وطني قابل للاحتفاظ به وليس من وجهة نظر حق المواطن في الحصول

على المعلومات والوثائق . وفضلاً عن ذلك نجد في الدساتير الحديثة، ذكر "إعلان حقوق الإنسان" للمنظمة الدولية المؤرخة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م كحق أساسي، والمواثيق والاتفاقات المنبثقة عنه . وحتى إذا لم تذكر هذه المواثيق على وجه التحديد في الدساتير صراحة، غير أنها تعتبر قابلة للتطبيق تلقائياً على أساس عضوية الدول للمنظمة الدولية . وكذلك تخضع هذه الدول الأعضاء، للاتفاقات والمواثيق الأخرى التي توقع عليها . وتشكل هذه الأعراف الدولية ليس جزءاً فقط من نظام القانون الوطني بل جزءاً هاماً له على أساس كونه اعترافاً بحقوق الإنسان وحمايتها في نطاق أوسع .

**أ – دراسة مقارنة في التشريعات الأرشيفية**

– التعاريف والمفاهيم العامة .

– الأرشيفات بصفتها .

– مصادقة للتشريعات .

– مستودعاً ثقافياً .

– شهادة تاريخية .

– مصدراً للمعارف العلمية .

– مصدراً يشجع المعلومات .

– المفاهيم الأخرى الأقل أهمية .

إن دراسة المستندات القانونية المتعلقة بمراجعة السجلات الأرشيفية في بعض البلدان المنتخبة الواقعة في المناطق المختلفة جغرافياً وثقافياً، هي التي تشكل محور البحث، وتوفر لنا الخلفية لوجهات النظر المختلفة التي تبنى عليها التشريعات الأرشيفية . وعلى الرغم من أن نقطة البداية هي "السجلات الأرشيفية" إلا أن التشريعات تأخذ بعين الاعتبار مقاييس عديدة من ناحية منظميها . وتختلف هذه المقاييس من بلد إلى بلد وفقاً للمجالات والأهداف التي يراعيها البلد . وتبقى العناوين مفتوحة للإضافات كما يقتضي الأمر في إطار المقاييس الرئيسية . وتساعد هذه المعايير في عملية تأليف وتقديم الدراسة .

## الأرشيفات في الاتحاد الأوروبي

- أرشيفات الاتحاد الأوروبي .
- توجيهات الاتحاد الأوروبي لتنظيم الأرشيفات .

قد يفيدنا لو قمنا بدراسة وتقييم التشريعات من أجل التوافق بينها لأنها تتجاوز حدود أكثر من دولة ، وهي عملية تجري الآن على قدم وساق في الاتحاد الأوروبي . ورغم أن الدرب طويل إلا أنه يجب تبني اللوائح والقوانين في المدى القصير والمتوسط من قبل دول الاتحاد الأوروبي في ضوء التوجيهات الصادرة من الاتحاد .

## نحو مفهوم دولي عن السجلات الأرشيفية

وختاماً تم تقديم مفهوم عن السجلات الأرشيفية قد يكون صالحاً للجميع رغم التنوع في المفاهيم الوطنية بل وبسبب هذا التنوع نفسه . ويجب أن ندرك بحق الشعوب في ثقافاتهم الخاصة . وفي نفس الوقت علينا أن نفهم أن مصدر جميع الثقافات هو بنو آدم . والإنسانية جمعاء مكونة من الرجال والنساء من الأجيال الحاضرة والماضية والمستقبلة وهم من أشرف المخلوقات على سطح الأرض . وتضمن الأرشيفات المحاورة بين الأجيال المختلفة .

# دور الأرشيفات في مجتمع متمهل

### جوزي برنال ريفاس – كوستاريكا

وللتعرف علي دور الأرشيفات في مجتمع متمهل يناقش هذا البحث أولاً مفهوم وقت الفراغ وثانياً علاقته بالتطورات في مجالات التكنولوجيا المتقدمة المتواجدة في المجتمع . ومن ثم يذكر البحث الأرشيفات والتكنولوجيا المعلوماتية وتوزيعها والنتائج المترتبة عليها . وأخيراً يورد البحث المسائل المتعلقة بمستخدمي الأرشيفات وحرية الوصول إليها والاستفادة بها في نطاق الحاجة إلى المعلومات .

وبالنسبة لمفهوم وقت الفراغ لقد تغير معناه بمرور الزمن من القرون الوسطى إلى الوقت الحاضر من خلال ثقافات مختلفة . ويتناول البحث في هذا المجال وجهات نظر كل من علم الاجتماع وعلم الإنسان وعلم النفس عن وقت الفراغ .

وفي نطاق ضيق هناك صلة بسيطة بين الوقت الحر أو وقت الفراغ، والتقدم العلمي والفني، ويحتاج إلى التمعن فيه من ناحية العمل . ولقد أدى التقدم في العلوم والتكنولوجيا إلى إيجاد أوقات الفراغ في حقول مختلفة مما يفتح أمامنا طلبات جديدة في مجالات التسلية والاستجمام والمعلومات .

وفي نفس الإطار تبرز إلى حيز الوجود حاجات متزايدة للمعلومات خارجياً وداخلياً نظراً لكفاءات الأجهزة الحديثة التي لا تقتصر على معالجة الأشكال المادية فحسب بل عن طريق استخدام الشبكات البعيدة أيضاً . لذا يرتبط حق المواطن للوصول إلى المعلومات بواجب السياسيين بوضع إجراءات تنفيذية لضمان توافر المعلومات للأجيال القادمة . ويجب أن يتمتع كل فرد بحرية لاستخدام أحدث أجهزة معلوماتية لديه للاستفادة من الأرشيفات دون تفرقة أو عائق بحجة السرية أو الخصوصية .

ويجب توفير الأموال اللازمة للأرشيفات كما يجب استخدام تلك الأموال بصورة عادلة، وليس لنفع البعض على حساب الآخرين، وكذلك ضمان المساواة بين كافة المستخدمين من حيث الأجهزة وتوزيع المعلومات .

## التسويق : التجارب والمقترحات

**فليب مارشال كير ويرد - ماستريخت**

إن المعاهد والأشخاص الذين يملكون الأشياء الأثرية كتراث ثقافي مثل القطع الموسيقية والأعمال الفنية وأعمال النحت وألحان الرقص . . الخ، يستطيعون الاستفادة من مقتنياتهم للمنفعة المالية بعد وفاة أصحابها الأصليين وورثتهم .

وهذا ما تقوم به المتاحف والمكتبات الخاصة يومياً بواسطة فرض رسوم للدخول والتصوير والعرض والاستخدام . . الخ . ومن هذه الناحية تعتمد التجارة الرابحة على امتزاج عنصرين بصورة سليمة ومنهما ندرة الأشياء وقدرها . وباختصار، إن قانون العرض والطلب ليس بغريب في المجال الثقافي أيضاً .

وأحد مقاييس النجاح لمشروع ثقافي هو ربحيته تجارياً . وينظر المستثمرون في المؤسسات الثقافية مثل المكتبات والمتاحف والفرق الموسيقية، إلى الأرشيفات كأنها تفتقر إلى الميزات التجارية .

ورغم أنهم يحرسون الوثائق الهامة من تاريخ العالم كوثيقة عن حقوق الإنسان والوثيقة العظمى . . الخ إلا أن الأرشيفيين فشلوا في جعل مهنة الأرشيفات مهنة رابحة تجارياً وفشلوا في منافسة زملائهم .

وأود في هذا البحث أن أقوم بتحليل الأسباب التي تكمن وراء هذه الظاهرة بما فيها حقوق التمليك بين الناس والمهام الرئيسية للأرشيفات والإجراءات الإدارية والمواقف المتحفظة للأرشيفيين واحتياج المجتمع وحقه في المعلومات دون عوائق .

وأواصل البحث عن إمكانية جعل السجلات الأرشيفية قابلة لاستخدامها تجارياً على أساس تعادلها مع المشاريع الثقافية الأخرى الرابحة، ويكون ذلك ممكنا عندما تعترف الجهات الرسمية بأن الأرشيفيين يتمتعون بحقوق الملكية في مقتنياتهم ويمكن استثمارها من أجل الأرباح .

ومن الممكن أن نؤسس مؤسسات مستقلة عن الخدمات الأرشيفية للحفاظ على حق المواطن في المعلومات المعتمدة عليها .

## تثقيف مستخدمي الأرشيفات

إبراهيمة لو – السنغال

يتناول هذا البحث متطلبات التدريب والمعلومات لمستخدمي الأرشيفات كما رأيناها في كل من الأرشيفات الوطنية في السنغال ومركز الأرشيفات عبر البحار في فرنسا . وإن مشاهداتنا في هذين المكانين ذات أهمية لأنها أبدت تشابهاً كاملاً في متطلبات التدريب

والمعلومات عبر العالم على الرغم من التباين في الأرشيفات المختلفة . ويعالج البحث الموضوعات التالية :

- فئات المستخدمين .
- موضوعات الأبحاث عند المستخدمين .
- مواصفات المصادر التوثيقية في المخازن . الواحد والعشرين، يكون من المفيد أن نحدد ثلاثة مجالات أساسية للتركيز عليها مما يساعد في تغطية متطلبات التدريب لمجموعات مختلفة تستخدم الأرشيفات الوطنية في السنغال ومركز الأرشيفات عبر البحار .

فأقترح برنامجاً ذا ثلاث نقاط :

١ – المعلومات للهواة .

٢ – التعرف على الأبحاث .

٣ – التدريب في القيام بأبحاث في المواد المخزونة في الأرشيفات الوطنية ومركز الأرشيفات عبر البحار .

- مواصفات أدوات البحث من حيث أنواعها وجودتها .
- موقع التقنيات الجديدة في توزيع المعلومات والبروتوكولات المتبعة في الوصول إلى الوثائق . . الخ .

ومن أجل توفير المظهر الجانبي المركز على تدريب المستخدمين على عتبة القرن

# مكانة الأرشيفات في المجتمع

جوليا شي – سنغافورة

## المنظور الإجمالي عن الأرشيف

في عام ١٩٧٥م قالت "مارجريت نورتن" أمينة الأرشيفات في ألينويس، بأن الناس عموماً ينظرون إلى الأرشيفات كمجموعة من الأوراق القديمة البالية المغبرة والملفات ذات الصفحات الورقية والجلدية الفاسدة" . وصرحت بأن هذه الرؤية متضمنة في مهنة الأرشيف نفسها لأن الأرشيفيين انطوائيون ولا يتجاوز اهتمامهم نطاقاً ضيقاً مركزاً على كيفية الحصول على الوثائق وتقييمها وترتيبها وتوصيفها وتخزينها والاحتفاظ بها . فليس الغريب إذن رأى الناس عامة في الأرشيفات والعمل فيها كعملية تنفذ في القاعات الخلفية، ويعتبرون أمين الأرشيف كمن يعالج الملفات الميتة في البدروم . فمن الضروري

أن نعيد النظر وقد دخلنا إلى القرن الحادي والعشرين، في مهمتنا ونغير الانطباع العام عن الأرشيف . وهذا ليس بعملية صعبة لأن المجتمع الحديث يمر بتغيرات بيئية سريعة نحو الاستحداث وهذا ما يضعنا في موضع ملائم .

وتسمح لنا التكنولوجيا المتطورة بيسر وكفاءة، بإيجاد المعلومات واختزانها في الاستمارات والوسائل المختلفة، وتوزيعها وتخزينها واستخدامها . ويجادل أكثر الناس بأن التغييرات التكنولوجية في إدارة المعلومات تطرح أمام الأرشيفات تحديات جديدة غير أنها تكون لصالحنا إذا استخدمناها بشكل سليم . وإذا وضعنا أنفسنا في مقدمة إدارة المعلومات فلم يعد موقعنا في القاعات الخلفية . وأوردت التكنولوجيا جيلاً جديداً من مستخدمي التكنولوجيا المعلوماتية يطلب معلومات فورية . وقد دعم هذه الفكرة تطوير نظام اقتصاد مبني على المعلومات، حيث اكتسب دور المعلومات والتكنولوجيا والمعرفة تركيزاً جديداً . فيجب على الأرشيفيين أن يتماشوا مع التغيرات في طلبات مستخدمي الأرشيفات ويتكيفوا مع وجهات نظرهم وأساليبهم مطابقاً لجريان العمل الحالي . وذلك لمواكبة تطورات التكنولوجيا الحديثة لتقديم معلومات للجماهير على المستوى العالمي بواسطة "أون لاين" والموصلية وعرض المقتنيات على العالم على نطاق أوسع .

وإذا استخدمنا التكنولوجيا المعلوماتية للاتصالات على نطاق أوسع، يكون ذلك قناة لجذب انتباه عامة الناس وإدراكهم لأهمية الأرشيفات وفائدتها لهم ولمجتمعهم . لكنه يجب علينا ألا نتوقف هنا بل نندفع إلى الأمام بحماس ونشارك المؤسسات الأخرى المهتمة بتزويد المعلومات كالمكتبات في إنشاء مركز منسق منسجم للمعلومات، مما يفتح المجال للتعاون المتبادل وإثراء محتوياتنا ويؤدي إلى زيادة عدد زبائننا . وإذا خدمنا طلبات الناس فيعلو دورنا الاجتماعي .

## الرؤية المتغيرة والاندفاع إلى الأمام :

## الأرشيفات الوطنية في سنغافورة

وأريد في هذا البحث أن أوضح اقتراحي أكثر مستخدماً الأرشيفات الوطنية على سبيل المثال . وكانت الأرشيفات الوطنية في سنغافورة في العقد الماضي من الزمن قد قامت بتكثيف فعالياتها بتوسيع اتصالاتها وتوزيع المعلومات على نطاق واسع . وأدى ذلك إلى التغيير في انطباعات الناس عن الأرشيفات من الجهل عنها إلى الارتباط الوثيق بها .

وقامت الأرشيفات الوطنية عبر الـ ٣٣ سنة الأخيرة بإنشاء وسيط شامل لجمع الصور والخرائط وتصاميم البناء وتسجيلات الفيديو والوثائق الورقية والسجلات الإلكترونية . وزاد حجم الاستفادة من مقتنياتها الأرشيفية كما زاد عدد المستخدمين من مهن مختلفة كالتربية والتعليم والإدارة والاستفسارات من جهات متنوعة نتيجة برامجنا لتوسعة اتصالاتنا .

وفي هذا البحث أتناول بشكل عابر كيف تشكلت صورتنا المهنية نظراً لأنه في عام ١٩٩٣م كانت الأرشيفات الوطنية في سنغافورة والمتاحف الوطنية قد وضعت تحت إدارة لجنة التراث الوطني . فنساهم في رسالة مشتركة لنشر وصيانة تاريخ وتراث سنغافورة وسمح لنا ذلك ، بتمركز أنشطتنا الهادفة إلى الاتصالات الخارجية ، نتقاسم الموارد والأفكار والاختبارات .

## خاتمة

يجب أن تتغير الأرشيفات مع الزمن وتقوم بإعادة النظر في دورها من حين لآخر . وتغير استراتيجيتها نحو إدارتها وتغطية احتياجات الناس .

وبالنسبة إلى مجهودها لتوسعة نطاقها للاتصال الخارجي يجب أن يعطى له الأسبقية كي تصبح الأرشيفات شفافة للجميع . ولكي نجعل الأرشيفات مقبولة لدى الخاص والعام، سواء كانوا أكاديميين أم من عامة الناس، علينا أن نفتح أبوابنا لهم وأحياناً ندق على أبوابهم . وإن أحسن طريقة لنغير انطباع الناس عنا هو أن نغير أنفسنا في التعامل معهم . وعلينا ألا نتردد في أخذ زمام المبادرة في هذا الشأن .

# السطح البيني مع المواطن : قائمة الاستراتيجيات

### اليكسي كيسليف – روسيا

تعتمد كافة استراتيجيات الاتحاد الأرشيفي لمدينة موسكو على مهامه الرئيسية وهي صيانة وتوفير وتوصيف وتخزين الوثائق المختارة المتعلقة بالحياة اليومية في موسكو وسكان موسكو . ويخزن الاتحاد ليس وثائق مجلس البلدية (دوما) ومكتب رئيس البلدية وهيئات البلديات الأخرى فحسب، بل يضم الاتحاد ٧ أرشيفات :وهي كل من الأرشيفات التاريخية، وأرشيفات البلدية، وأرشيفات الحركات الشعبية، وأرشيفات

توثيق الشئون العلمية والتكنولوجيا، والأرشيفات عن الوسائل الإعلامية الخاصة، وأرشيفات الأدب والفن، والأرشيفات لجمع الوثائق .

وتبنى كافة الاستراتيجيات على ثلاثة مبادئ وهي : أن الأرشيفات تكون في متناول الجميع، وكلما ارتفع عدد المستخدمين تتحسن الخدمة، وتتوسع مهام ودور الأرشيفات في المجتمع المعلوماتي .

## ١ - الأرشيفات كوسيط تقليدي بين الوثائق والشعب

يتم تمويل الاتحاد الأرشيفي من ميزانية المدينة لمجرد تنفيذ الأعمال التقليدية . ومنها : توفير الظروف الملائمة للباحثين لقراءة الوثائق في قاعة المكتبة، وتزويدهم بها، وتلبية الطلبات لكل من سلطات البلدية وعامة الناس فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية والقانونية .

(أ) يزور أرشيفات الاتحاد بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ زائر سنوياً أي حوالي من ١١،٠٠٠ إلى ١١،٥٠٠ زيارة . وأساساً تهدف إلى الأبحاث التاريخية التي تقوم بها المعاهد الأكاديمية والجامعات في حقل الأنساب وتاريخ العائلات والتاريخ المحلي . ويطلب الباحثون أولاً الوثائق المتواجدة في الأرشيفات التاريخية وأرشيف الحركات الشعبية، ووسائل الإعلام الخاصة . وأن إعادة بناء المركز التاريخي في موسكو قد أدت إلى استخدام واسع للوثائق المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيا . وإنشاء قاعات المكتبة المجهزة بالأدوات المطلوبة بتمويل من البلديات مما أدى إلى مراجعات واسعة للوثائق الموجودة في مكتبات الاتحاد المختلفة في موسكو .

(ب) الطلبات الاجتماعية : يطلب الناس كثيراً ما الوثائق التي تمنح لهم امتيازات اجتماعية . لذلك أدخل نظام "الطلب" بالكومبيوتر مما يسرع تقديم الخدمة الأرشيفية للناس . ويعمل هذا النظام على الشبكة المحلية . وله الأسبقية .

ومن حيث المجموع تتلقى الأرشيفات سنوياً من ١٧ إلى ١٨ ألف طلب . وتستجيب أرشيفات موسكو لبعض الطلبات الأخرى التي تقع خارج نطاق التمويل من ميزانية المدينة . لذلك تفرض الرسوم على بعض الخدمات مثل التنسيخ وإعداد مجموعات من الوثائق (عن الأنساب . . الخ) . وأخيراً زاد حجم الخدمات مقابل تسديد التكلفة

ويؤديها الأشخاص المؤهلون . وتهتم الأرشيفات بهذه الخدمات المعلوماتية والفنية وتصدر الإعلانات عنها . إن تمركز الخدمات المعلوماتية والفنية يسمح للاتحاد في موسكو أن يخفض التكاليف ويكسب الوقت في تلبية المطالب .

تنشر أرشيفات موسكو الدلائل والمراجع التي تعكس الوضع الراهن عن المقتنيات . وقد نشرنا أخيرا ٣ دلائل و٦ كتب أخرى متضمناً المعلومات عن الأرشيفات السبع على مبدأ الأصول . وتساعد هذه الاستراتيجية الباحثين في دراسة الوثائق المتعلقة ببعض المعاهد والمؤسسات المخزونة في الأرشيفات المختلفة . وتم نشر الدلائل في دار النشر الخاصة بنا . وهي رخيصة . وهناك مزيد من إمكانيات النشر لاحقاً .

وينشر الاتحاد بانتظام مجموعات الوثائق التي يجمعها من أرشيفات موسكو . ويتطلب إعداد المطبوعات ترتيبات تسويقية مسبقة ومشاركة العلماء المتخصصين . ومقابل الدلائل، تخص هذه المجموعات من لا يزورون الأرشيفات، فالوثائق مزودة بالتعليقات والصور طبق الأصل . ويعد المركز المطبوعات التجارية أيضاً بناءً على طلب من حكومة مدينة موسكو . ونشر الاتحاد حوالي ٦٠,٠٠٠ نسخة من الكتاب "موسكو في الحرب" ١٩٤١ — ١٩٤٥م .

## ٢ – الأرشيفات حاملة للحقائق

وفي العصر الحاضر يجب على الاتحاد أن يحسن ويوسع استراتيجياته . ونعتبر دورنا الاستجابة لمتطلبات العصر . وتقوم أرشيفات موسكو بواجباتها بنشاط أكثر بشأن المصادر لتقوية فاعلية هذه المعاهد . كذلك تحاول أرشيفات موسكو أن توسع رسالتها في المجتمع مما يتطابق مع بعض الميول في تطور مجتمعنا مثل زيادة الاهتمام بالتاريخ والتاريخ المحلي والأنساب . . الخ .

والمبادئ الأساسية التي تكمن وراء المطبوعات والمحاضرات والمعارض هي بأن الأرشيفات "حاملة" للحقائق، وأنها تبسط المعلومات التاريخية بين الناس، وتشكل جزءا من كنز معارف الوطن وذاكرته .

وتشكل المطبوعات كاستراتيجية مركزية للاتحاد . وكلما زادت نشاطات دار النشر زادت هيبة العلم الأرشيفي لأن المطبوعات توضح أهمية الأرشيفات للسلطات التشريعية والناس عامة . وأن المبادئ الأساسية لإصدار المطبوعات هي :

١ — نشر الوثائق التي لم تكن في متناول يد الناس سابقاً .

٢ — متاحية ومقبولية النص .

ومن أجل ذلك ننشر مجموعات من الوثائق المصورة والألبومات التي هي مقبولة بين الناس . وننشر الأبحاث في التاريخ المحلي كمقالات في عدد محدود أي حوالي ألف نسخة . وكذلك سلسلة من التقاويم كتقاويم موسكو . والأبحاث التي يتولاها الاتحاد تجد طريقها للنشر بشكل الكتب أو المقالات، والمشاريع الدولية مثل : "باريس وموسكو — التغييرات الدورية ١٨١٩ — ١٩٢٥م" .

## المحاضرات العامة

ينظم الاتحاد محاضرات عامة تحت عنوان : "روسيا والعالم على عتبة القرن الحادي والعشرين" ويوجه الدعوة للمعاهد الطليعية الأكاديمية لإلقاء المحاضرات، كمعهد التاريخ الروسي، ومعهد اللغة الروسية وآدابها . . الخ . ونستهدف توجيه الدعوة لمعلمي المدارس لنشر المعلومات التاريخية . ونعلن عن مقتنياتنا وأنشطتنا تلبية لطلبات المدارس بخصوص المواد الدراسية في التاريخ كما نتعاون مع وسائل الإعلام في هذه المجالات .

## الدروس المدرسية

يعمل الأرشيفيون كمدرسين لنشر الوعي الأرشيفي بإدخال الوثائق الأرشيفية في المواد الدراسية مدعمة بالصور الوثائقية وعن طريق عرض الأفلام التربوية وتنظيم دراسات في تاريخ موسكو من أجل تكييف الطلاب اجتماعياً .

## الأبحاث التاريخية والمؤتمرات الأكاديمية

المبادئ الاستراتيجية : المواضيع التي تهم عامة الناس والعلماء، وأصحاب المشاريع الخاصة . وهناك دائرة للأبحاث الخاصة لتولي المشاريع المشتركة مع الأساتذة من الأكاديمية الروسية للعلوم والجامعات، مثل "الأشخاص المحرومون من حق التصويت في موسكو في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين" و "مجلس مدينة موسكو (دوما) ١٨٦٣—١٩١٧م" و "المؤسسات الخيرية في موسكو" . وإعادة تصنيف الوثائق في أرشيفات موسكو حسب خطة مدروسة على أساس طلبات الباحثين، وحسب الأوضاع السائدة حالياً، والمحاضرات والمطبوعات والمقابلات حول إعادة تصنيف الوثائق .

## المعارض

عقد المعارض في الشوارع والمعارض السنوية والمشاريع المشتركة . ينظم الاتحاد المعارض للمقتنيات وفي هيئة الاتحاد يوجد أشخاص متخصصون في تنظيم المعارض . كما توجد لدى الاتحاد تجهيزات ومعدات لتنظيم المعارض . وتقام المعارض في الشوارع في مناسبات خاصة مثل ذكرى ٢٠٠ سنة لبوشكين، وذكرى ٨٥٠ سنة لموسكو، وذكرى مرور ٣٠٠ سنة على القوات البحرية الروسية . ومن نشاطات أرشيفات موسكو يذكر تنظيم المعارض التي تجمع بين العلم والثقافة وكذلك ينظم الاتحاد المعارض لعامة الناس مثل : "مالك عزبة النبيل في القرن التاسع عشر في موسكو" و "موسكو في الحرب ١٩٤١ — ١٩٤٥م" و "قيصر وقصور الإمبراطور" . وفي نفس الوقت نأخذ بعين الاعتبار مصالح تنظيمات عديدة في المدينة كمجالس البلدية وفئات خاصة من سكان موسكو . كما نقوم بتنظيم المعارض تلبية لمطالب البلديات التي تنعكس نشاطات مختلفة لها . وتزايدت الطلبات من هذا النوع أخيراً مما أدى إلى التحسن في الوضع المالي للاتحاد . وكذلك شارك الاتحاد في عدد من المعارض المشتركة بالتعاون مع المتاحف الوطنية والمكتبات والأرشيفات (ومنها متحف بوشكين للفنون الجميلة والأرشيفات الرسمية للاتحاد الفيدرالي الروسي والمكتبة الروسية الرسمية. . الخ) . وعقدت المعارض في أحسن صالات العرض المتواجدة في موسكو . وأود أن أذكر بعض المسائل المتعلقة بالمعارض الدولية والتعاون مع وسائل الإعلام .

## التعليم

يشكل التعليم أهم الاستراتيجيات الواعدة . ويساهم الاتحاد مساهمة فعالة في تطوير المادة الدراسية التاريخية في المدارس الثانوية . وأساساً تتعلق هذه المادة بالدورات في تاريخ روسيا وموسكو . وأرسيت مناقصة دائرة التعليم في موسكو لإعداد ونشر كتاب في التاريخ لطلاب الثانوية، على الاتحاد . وتعد أرشيفات موسكو أفلام فيديو أيضاً عن الأحداث والأماكن المختلفة . والآن نعد تصميماً لمشروع عن تاريخ موسكو عن طريق الإنترنيت .

## متعددة الوسائل

يخزن الاتحاد الوثائق من أنواع مختلفة من الوسائل . وتستخدم دار النشر الخاصة به الصور الرقمية لهذه الوثائق كما يهتم الاتحاد بصيانة الوثائق المبنية على متعددة الوسائل . والمشاريع الأرشيفية على هذا الأساس لاستخدامها من قبل الباحثين والمدارس والجامعات والشباب . . الخ، وفي أوقات الفراغ، وكهواية . وأرشيفاتنا مفتوحة للباحثين باختلاف تخصصاتهم كعلماء الجيولوجيا وهواة التاريخ والباحثين في الوثائق عن أحداث خاصة أو القضايا المتعلقة بأوضاع الحياة في المدينة . ونحرص على بعض القيود مثل صيانة والاحتفاظ بأصول الوثائق وإطاعة قوانين الأرشيف . ويحتاج الهواة إلى التدريب في الاستفادة من الوثائق الأرشيفية والخدمات الآلية المتوفرة في قاعات المكتبة . ويوجد فريق في الاتحاد لهذا الغرض .

# الأداء الأرشيفي في الإدارة الممتازة في القطاع العام والخاص

آني ماني شورتليش – استراليا

## ماهي الإدارة الممتازة ؟

إن اصطلاح الإدارة الممتازة كان من المصطلحات الإدارية المتداولة منذ أواخر السبعينات من القرن العشرين . ويركز هذا الاصطلاح على التحسين في الإجراءات الإدارية من حيث المراقبة والأداء لإرضاء الزبائن . ويستخدم في الصناعات والخدمات المختلفة كالتصنيع والطباعة والنقليات والحساب والمصرفية والإحصاء .

يؤكد مؤيدو الإدارة الممتازة بأن تنفيذ برنامج في الإدارة الممتازة بصورة جيدة ومتواصلة يستطيع أن يحسن الأمور التالية :

- كفاءة الإدارة والمراقبة .
- ارتياح الزبائن .
- الربحية .

- معنويات أعضاء الهيئة .
- المواصلات .
- الانتاجية والتخطيط .
- جودة المنتجات والخدمة .

ويقال أن التنظيمات الإدارية الممتازة لاحظت تخفيضاً في الأمور التالية :

- النزاعات الداخلية .
- الشكاوى من الزبائن .
- التغيير في أعضاء الهيئة .
- تكلفة التشغيل .
- التعرض للأعباء المالية .
- الضياع والمجهود المضاعف .

يتناول البحث باختصار طبيعة الإدارة الممتازة ويستعرض الاتجاهات في الإدارة الممتازة .

## هل هناك علاقة بين الإدارة الممتازة وتدوين السجلات ؟

إن المقاييس الدولية كالوارد في وثيقة رقم ٩٠٠٠ مقبولة بصفة عامة لتخمين جودة الإدارة الممتازة . وتتضمن المقاييس الوطنية والدولية المفردات عن إيجاد وصيانة الوثائق والسجلات بوفرة . وإصدار شهادة الجودة لأي تنظيم يتطلب تدقيق وثائقه وسجلاته ونظم صيانة دفاتره . ويكون من المنطقي إذا قلنا أن نظام تدوين السجلات يدعم الإدارة الممتازة .

وإذا راجعنا ما ورد عن تقييم الجودة قبل إصدار شهادة الإدارة الممتازة، نجد أن التنظيمات تفشل في الحصول على الشهادة بسبب فشلها في إيجاد وصيانة السجلات .

ويعالج هذا البحث موضوع صيانة السجلات والنقائص والسلبيات في هذا الصدد التي نصادفها كثيراً . ويقـــدر مساهمة الإدارة الممتازة في تحسين مستوى صيانة السجلات .